د. مصطفى عثمان إسماعيل

الربيع العربي.. ثورات لم تكتمل بعد

علاقات العرب عبر العصور ومستقبلها بعد ثورات الربيع العربي



مكتبة مدبولي

(الربيع العربي.. ثورات لم تكتمل بعد)
علاقات العرب عبر العصور ومستقبلها
بعد ثورات الربيع العربي

عثمان ، مصطفى
الربيع العربي.. ثورات لم تكتمل بعد
تأليف: د. مصطفى عثمان إسماعيل
ط ١. - القاهرة : مكتبة مدبولي، ٢٠١٣م.
١٥٦ ص ١٧ × ٢٤ سم.
تدمك : 2-957- 208 – 977
١ – العالم العربي – تاريخ – العصر الحديث
٢ – العالم العربي – تاريخ – الثورات
أ – العنوان
ديوى / ٩٥٦
رقم الإيداع : ١٥٥١٩/ ٢٠١٢م
مكتبة مدبولي
٦ ميدان طلعت حرب – القاهرة
ت : ٢٥٧٥٦٤٢١ – فاكس : ٢٥٧٥٢٨٥٤
الموقع الإلكتروني : www.madboulybooks.com
البريد الإلكتروني : info@madboulybook.com

د. مصطفى عثمان إسماعيل

الربيع العربي.. ثورات لم تكتمل بعد

علاقات العرب عبر العصور ومستقبلها
بعد ثورات الربيع العربي

مكتبة مدبولي
٢٠١٣

شكر وتقدير

أود بهذه المناسبة، مناسبة ظهور هذا الإصدار الجديد بعنوان: الربيع العربى.. ثورات لم تكتمل بعد، علاقات العرب عبر العصور ومستقبلها بعد ثورات الربيع العربي، أود أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من ساهم في إكمال هذا الإصدار، خصوصًا الإخوة الزملاء العاملين بمكتبي وأخص بالذكر الأخوين الكريمين الأخ الصديق الدبلوماسي الأديب الدكتور خالد فتح الرحمن والأخ حاج حمد محمد نور الزاكي الذي كان له الدور الأكبر في الجهد الذي بذل ليرى هذا الإصدار النور.

والله نسأله التوفيق والسداد

المقدمة

ترجع فكرة هذا الكتاب إلى دعوة تلقيتها من مدير معرض القاهرة الدولي للكتاب الذي ينظم سنويًا في العاصمة المصرية القاهرة في شهر فبراير من كل عام، دعيت لإلقاء محاضرة بعنوان "مستقبل العلاقات العربية الإفريقية بعد ثورات الربيع العربي" وقدر الله أن ظرفًا حال دون ذلك فسافرت إلى الأردن واعتذرت عن مشاركتي في معرض القاهرة للكتاب كما كان مقررًا لها وأثناء وجودي بالعاصمة الأردنية عمان دعيت من قبل المهندس مروان الفاعوري الأمين العام للمنتدى العالمي للوسطية لإلقاء محاضرة في مقر المنتدى فألقيت المحاضرة بذات العنوان الذي كان مقررًا لمحاضرتي بمعرض القاهرة الدولي للكتاب، وبعد عودتي إلى الخرطوم قدمت لي دعوة من الدكتور أسامة بابكر لتقديم ورقة في المؤتمر السنوي لجمعية العلوم السياسية السودانية وذلك في الأسبوع الأول من مايو ٢٠١٢م وقدمت المحاضرة وكانت بعنوان "مستقبل علاقات العرب بالعالم بعد ثورات الربيع العربي" من خلال الحوار الذي صاحب محاضرتي الأولى في الأردن وفي الخرطوم أثناء مؤتمر جمعية العلوم السياسية السودانية ومن ملاحظاتي أثناء تدريسي لطلاب العلوم السياسية في جامعة أم درمان الإسلامية، خصوصًا تلك المتعلقة بالجغرافية السياسية للشرق الأوسط، شعرت أن هناك حاجة إلى إصدار مثل هذا الكتاب.

يبدأ هذا الكتاب بفصل حول العلاقات الدولية والنظريات الحديثة في علم العلاقات الدولية وجاء الفصل الثاني ليركز على علاقات العرب عبر العصور وتحديدا في الجاهلية وبواكير الإسلام وتحليل هذه العلاقات والأسس التي كانت تستند عليها، أما الفصل الثالث فقد تركز حول علاقات العرب بعد ظهور الإسلام وحتى قيام ثورات الربيع العربي لنقف فيه على المحطات الرئيسية التي كان يبرز فيها العرب كقوة مؤثرة على الأوضاع الدولية والإقليمية والمحطات التي لم يكن للعرب فيها أي دور يذكر في القضايا الدولية والإقليمية.. وما هو القاسم المشترك في هذه المحطات مرورًا بالأسباب التي قادت إلى قيام ثورات الربيع العربي والدور الذي لعبته التيارات العروبية واليسارية

والليبرالية والإسلامية في هذه المرحلة.. في الفصل الرابع تطرقنا إلى ثورات الربيع العربي طبيعتها ومرجعيتها وشعاراتها، القوى التي صعدت إلى الحكم نتيجة لثورات الربيع العربي وفرص نجاحها وإخفاقها، في الفصل الخامس تحدثنا عن مستقبل علاقات العالم العربي بالعالم بعد ثورات الربيع العربي على ضوء القوى التي صعدت للحكم نتيجة لثورات الربيع العربي، وما هي مرجعياتها وتوجهاتها، وإلى أي مدى يمكن أن تؤثر في علاقات العرب الإقليمية والدولية.

ومن خلال تحليل عميق لماضي وحاضر العلاقات العربية بالعالم واستقراء لمستقبل هذه العلاقات بعد ثورات الربيع العربي أوردنا بعض الرؤى والأفكار والمقترحات التي ستحكم مستقبل علاقات العرب بالعالم، نأمل أن يجد القارئ الكريم خصوصًا القارئ العربي وبالأخص طلاب العلوم السياسية والعلاقات الدولية ومراكز البحوث السياسية ما يمكن أن يشكل فائدة لهم وإضافة إلى المكتبة الحديثة.

والله الموفق

﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾

د. مصطفى عثمان إسماعيل
أستاذ العلاقات الدولية بجامعة أم درمان الإسلامية
وزير خارجية السودان الأسبق

الفصل الأول
العلاقات الدولية ومراحل تطورها

نسعى من خلال هذا الباب إلى تعريف العلاقات الدولية وتعقيداتها، ثم نتناول بالدراسة اتجاهات التحليل في العلاقات الدولية وأشهر مناهج التحليل التي حاولت أن تجعل من مجال العلاقات الدولية مجالاً قابلاً للدراسة بمناهج علمية تزيل بعضًا من التعقيدات التي صاحبت موضوعاته والتداخل الذي يربطه بمجالات أخرى والتجدد الذي لازمه عمليًا منذ نشأته كعلم يحاول أن يفسر الواقع ويتنبأ بما ستؤول إليه الأوضاع الدولية في حالة سلوك الوحدات الدولية سلوكًا محددًا. نحاول أن نركز على المناهج والاتجاهات ذات الصلة بموضوع العلاقات.

العلاقات الدولية من المفاهيم التي تعرضت لتطور مستمر بتطور البشرية وحاجاتها إلى التواصل والترابط أو التنافس والعداء فيما بينها.

تسعى الدول من خلال صيغ متعددة، إلى إيقاع التأثير السياسي بعضها في البعض الآخر، يعكس هذا السعي الجانب السياسي لعملية التفاعل الدولي فقط، وهذه العملية لا تقتصر على الجوانب السياسية فحسب بل تشمل الجوانب الاقتصادية والثقافية والاجتماعية وغيرها، فظاهرة العلاقات الدولية ترتبط بمجموع الأفعال وردود الأفعال وأنماط التفاعل الدولي الناجمة عنها، سواء كانت ذات طبيعة سياسية أم غير سياسية، والجارية بين جميع الوحدات الدولية، وعلى جميع الأصعدة.

لذلك يمكن القول إن ظاهرة العلاقات الدولية تعكس في آن واحد، ظواهر الصراع والتعاون الدولي، تشكل بالتالي جوهر مجمل علاقات وعمليات التفاعل الدولية، السلمية وغير السلمية إلى العلاقات الدولية. وكما أن السياسة الخارجية تؤدي حتمًا إلى تكوين السياسة الدولية، كذلك تؤدي السياسة الدولية إلى تكوين العلاقات الدولية، وللترابط الصاعد من الأسفل لا مبالغة في القول بأن السياسة الخارجية هي أساس جميع التفاعلات

الدولية، فبدونها تنتفي هذه التفاعلات أصلاً وهذا ما يؤكده جملة من أساتذة العلوم السياسية أمثال كورت لندن، وليك وموسون وشارلس ليرج وغيرهم.

تعريف العلاقات الدولية:

يعرفها سبيكمان بأنها "العلاقات بين أفراد ينتمون إلى دول مختلفة، والسلوك الدولي هو السلوك الاجتماعي لأشخاص أو مجموعات تستهدف أو تتأثر بوجود أو سلوك أفراد أو جماعات ينتمون إلى دولة أخرى"(١) هذا التعريف هو تعريف بسيط غير معقد ولكنه غير محدد ولا يستوعب تعقيدات العلاقات الدولية في الوقت الحاضر، ويمكن لهذا التعريف أن يصلح لمراحل تاريخية معينة، حيث كانت العلاقات بين الأمم والإمبراطوريات لا تحكمها القوانين والمحددات الدولية الحالية. والمعروف أن سبيكمان من علماء الجيوبولتكس أو الجغرافيا السياسية، فقد ركز في تحليله لظاهرة الصراع الدولي على الاعتبارات المكانية، وقد استند في ذلك على نظرية ألفريد ثاير ماهان وهلفورد ماكندر صاحب النظرية الجيوبولتيكية الشهيرة المعروفة بقلب الأرض Hinterland.

ويعرفها جيمس بأنها هي التي "تتناول علاقات الدول والشعوب فيما بينها"(٢) هنالك العديد من التعريفات البسيطة الشاملة لكنها غير محددة. ظهرت تعريفات جديدة بصدد هذا الموضوع خلال الفترة من ١٩٥٠م- ١٩٧٠م ومن أبرز هذه التعريفات التي وردت في أفكار هانز مورجانثاو، كينث تومسن، ستانلي هوفمان، جون بيرتن، جورجي شافينزاروف، ماكيلان، كابلن، فرانكل وغيرهم.

هانز مورجانثاو أستاذ العلاقات الدولية الشهير يرى أن "جوهر العلاقات الدولية هو السياسة الدولية.. وأن موضوع السياسة الدولية هو الصراع بين الدول المستقلة من أجل القوة".(٣)

---

(١) جيمس دورتي وروبرت بالستغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة د. وليد عبد الحي، مكتبة شركة كاظمة للنشر والتوزيع، ط الأولى، بيروت ٩٨٥، ص ٧.

(٢) د. منصور ميلاد يونس، مقدمة لدراسة العلاقات الدولية، جامعة ناصر، ١٩٩١م، ص ١٢٨.

(٣) ناصيف يوسف حتى، النظرية في العلاقات الدولية، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م، ص ٨.

أما ستانلي هوفهان الذي راجت أفكاره في الستينيات يقول: "إن حقل المعرفة للعلاقات الدولية يعني العوامل والنشاطات المؤثرة في السياسات الخارجية وفي قوة الوحدات الأساسية المكونة لعالمنا".(٤)

ويعرفها د. محمد سامي عبد الحميد بأنها "كل علاقات ذات طبيعة سياسية أو من شأنها إحداث انعكاسات وآثار سياسية تمتد إلى ما وراء الحدود الإقليمية لدولة واحدة".(٥)

يقول جيمس دورتي وروبرت بالستغراف في كتابها النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية: إن الفكر البشري يواجه تحديات عميقة سواء لفهم العملية البيولوجية أو العملية السياسية التي تجري في إطار النظام الدولي وذلك بهدف السيطرة على العمليتين لتحقيق أهداف معنوية وفكرية، ولا ريب أن الفهم العميق هو الذي يوفر إمكانية ظهور نظرية لمثل هذه الموضوعات.

مناهج دراسة العلاقات الدولية:

من الواضح أن العقل البشري والمصلحون قد حاولوا محاولات مستمرة لدراسة العلاقات غير المستقرة بين الجماعات الكبيرة أو الإمبراطوريات القديمة. وقد كانت هنالك مناهج متعددة لدراسة العلاقات الدولية. وقد تطورت هذه المناهج من المناهج التقليدية أشهرها المنهج التاريخي والقانوني، والمنهج الواقعي أو منهج سياسات القوة، ومنهج المصالحة القومية. وكذلك المناهج المعاصرة لدراسة العلاقات الدولية.

المنهج التاريخي:

بالنسبة إلى المنهج التاريخي فإنه يضع أهمية كبرى على تطور التاريخ الدبلوماسي بناءً على أن العلاقات الدولية في صورها ونماذجها المعاصرة جذورًا وامتدادات تأريخية سابقة،

---

(٤) د. محمود خلف، مدخل إلى علم العلاقات الدولية، منشورات المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، ص٦٦-٧٠.

(٥) د. محمد سامي عبد الحميد، العلاقات الدولية، مقدمة لدراسة القانون الدولي العام، الدار الجامعية للطباعة والنشر، لبنان بيروت، ص ١٠-١٣.

ويتميز هذا المنهج بقدرته على تحري أسباب النجاح أو الفشل لقادة الدول في انتهاج سياسة خارجية معينة في ظروف دولية معينة. وأصحاب هذا المنهج يعتقدون أن التأريخ وتجارب الأمم مثل معمل التجريب والاختبار للعلاقة التي تنشأ بين الأسباب والنتائج في السياسة الدولية. ولكن يمكن القول إن لكل موقف دولي ظروفه ومتغيراته التي لا يمكن أن تتكرر على ذات النحو، وأعتقد أن هذا المنهج يصلح لاستقراء والتنبؤ بنتائج اتخاذ خطوات محددة تجاه المجتمع الدولي ولكن نسبة صحة نتيجة التنبؤ لا يمكن الجزم بحدوثها، وذلك أن المجتمعات والدول قد لا تتصرف بطريقة واحدة في كل مراحل حياتها، وأن موقف السياسة الدولية لا تتكرر على نحو واحد.

المنهج القانوني:

يركز هذا المنهج على العوامل والاعتبارات القانونية التي تحدد علاقات الدول بعضها ببعض، ومن أمثلة ذلك "الالتزامات التي تنشأ نتيجة لتعاقد الدول مع بعضها البعض بموجب معاهدات أو اتفاقيات أو مواثيق دولية محددة تؤمن بها مصالحها المشتركة، أو تحدد عنصر المسؤولية عن التصرفات التي تلجأ إليها الدول وتمثل خرقًا لالتزاماتها التعاقدية، أو التمييز بين صور الاعتراف الدولي المختلفة وبالتحديد الاعتراف القانوني والاعتراف بالأمر الواقع، أو تقرير الوسائل المتبعة في تسوية المنازعات الدولية سلميًا، ومن ذلك أساليب الوساطة والتوفيق والتحكيم وتقصي الحقائق والمساعي الحميدة".(٦) وكأن أصحاب هذا المنهج قد تصوروا أن دعوة الدول إلى التقيد بقواعد القانون الدولي في علاقاتها المتبادلة، وحثها على انتهاج أساليب التسوية السلمية في حل الخلافات والمنازعات القائمة هو ضمان اجتثاث العنف والصراعات المسلحة من جذورها بين الدول المختلفة في النظام الدولي القائم. في واقع الأمر هذا يعتبر تبسيطًا لتعقيدات الواقع الدولي ويعتبر هذا الاتجاه مفهومًا شكليًا ضيقًا لا ينظر إلى العلاقات الدولية إلا هذه الترتيبات القانونية منعزلة عن مسبباتها ودوافعها والعوامل التي تؤثر عليها والضغوط

(6) http:www.islamonline.net
Accessed on 15.2.2008.

التي تتعرض لها الدول جراء انتهاجها سلوكًا دوليًا محددًا، والتي تـؤدي إلى عـدم تطـابق السلوك الفعلي للدول مع التزاماتها القانونية الرسمية، بل اكتفى هـذا المنهج بـالأعراض الخارجية، كأن الصراع الدولي طبقًا لهذا التـصور لا يتولـد عـن ضـغوط الواقـع الـدولي وتناقضاته ومفارقاته بقدر ما هو نتيجة حتمية من نتاج السلوك القومي غـير المنـضبط أو غير المقيد بقواعد القانون الدولي وأحكام المواثيق الدولية التي قبلت بها الـدول بمحـض إرادتها. هذه النظرة أحادية الجانب ولا تدخل العوامل التـي ذكـرت آنفًـا مـن تعقيـدات الوضـع الـدولي والـضغوط إضـافة إلى المـشاعر المتعلقـة بـالخوف والـشك والكراهيـة والاضطهاد والذل التي هي عوامل هامـة في تفجـير الـصراعات الدوليـة، فالـصراعات الدولية لا تنشأ من فراغ إنما تنبع من سياق العلاقات التي تجمع بـين الـدول خـلال كـل المراحل التاريخية التي تمر بها وتكون من خلالها منظومة قيمية من الصعب الانفكاك عنها.

المنهج الواقعي:

الذي يستند إلى المنطق الذي يزعم أن القوة هي القاعدة المحورية في العلاقات الدولية وإن كانت الأخيرة تتذرع وتُغلف بالـشكليات القانونيـة والمـبررات الأخلاقيـة. ورغـم المحاولات المتواصلة لإيجاد مبررات قانونية وأخلاقية فإن المجتمع الـدولي لا يفـسر هـذا السلوك إلا بناء على توازن القوى في العلاقات الدولية، والقوة هي التي تتحكم حتى فيما هو أخلاقي أو غير أخلاقي. والذين يدافعون عن هـذا المـنهج هـو أنـه يحـاول أن يفـسر السلوك الدولي تفسيرًا منطقيًا عقلانيًا"(٧) يستند إلى معطيات الأمر الدولي القائم وحقائقه الثابتة دون أن يتجاوزه إلى تصور العلاقات الدولية من زاوية ما يجـب أن يكـون عليـه كـما يفعل المثاليون. يقول جيمس دورتي في تعريفه للمنهج الـواقعي أو المدرسـة الواقعيـة كـما سماها تَعْتَبر المدرسة الواقعية أن القوة هي المفهوم الأساسي في العلـوم الاجتماعيـة مثلهـا مثل الطاقة في الفيزياء، إلا أن علاقات القوى تختفي غالبًا خلـف مـصطلحات أو تعـابير أخلاقية وقانونية، كما أنهم يحددون وظيفة النظرية في العلاقات الدولية بالعمل على تقديم

---

(٧) يستبعد القانون والأخلاق.

تفسير منطقي وعقلاني للأحداث لا العمل على تشكيل هذه الأحداث على نحو أو آخر".(٨)

وقد وجه الواقعيون نقدهم للمثاليين على أنهم يتيحون المجال لأهدافهم المتخيلة "ما يجب أن يكون" لتشويه تقنية التحليل العلمي. ويَعْتَبِر الواقعيون أن عجز الرأي العام في الحفاظ على السلام وعجزه عن الحيلولة دون وقوع العدوان في منشوريا أو أثيوبيا هو مثال لفشل المثالية في إيقاف الحروب وتأكيد أهمية التفكير الواقعي، وهكذا في الوقت الذي يفترض المثاليون بتغيير قد يسمح بنزع السلاح يواصل الواقعيون انشغالهم بالأمن القومي والحاجة إلى القوى العسكرية لدعم العمل الدبلوماسي.

يقول مارتن وايت أحد أقطاب المنهج الواقعي "إن أهم ما يميز التاريخ الحديث عن التاريخ الوسيط هو تفوق فكرة القوة على فكرة الحق، وعندما نصف العلاقات الدولية بأنها ليست أكثر من صراعات قوى فإننا لا نبالغ"(٩) وقد أبرز شوارو نبرجر نفس الاعتقاد باعتبار القوة هي محور الارتكاز في العلاقات الدولية، ويعزي ذلك إلى غياب مجتمع دولي حقيقي، وأن المجموعات الدولية المتنافسة تتصرف بناء على ما تمتلكه من قوة تتمثل في الإمكانات المادية والعسكرية ولا اعتبار لديها لأي منطلق قانوني أو أخلاقي. ويشرح مفهوم القوة عنده بأنها ليست قوة تدميرية فقط بل هي مزيج من القدرة على الإقناع persuasion والقدرة على الإكراه Coercion. ويعمل هذا المفهوم على أنه ليس لكل دولة طبيعة عدوانية توسعية، وأن كل دولة تسعى إلى تعزيز قواها ليس مؤشرًا على نيتها استخدام هذه القوة كسلاح للإكراه والضغط، ذلك أن القوة عادة ما تستخدم في الدفاع عن الكيان القومي، أو الأمن أو النظم والمعتقدات السياسية أو المصالح القومية الأساسية للدول، وقد يكون الهدف من الحصول على القوة هدفًا اقتصاديًا أو النفوذ الدولي.

ويرى ستراوس هوبيه Huppe وهو محلل واقعي أن دافع الحصول على القوة هو عصب القوة المحركة للصراع الدولي، وأن هذا الدافع ينبع من الطبيعة الإنسانية نفسها،

---

(٨) جيمس دورتي، مرجع سابق، ص١١.

(٩) إسماعيل صبري مقلد، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م، ص ١٧.

ومظاهر نزاعات القوة عنده متعددة مثل: اتجاه بعض الدول لفرض أيديولوجيتها السياسية على دول أخرى، أو تبني بعض المطالبات الإقليمية التوسعية، أو اتخاذ مشكلات الأمن القومي كذريعة للتسلط الخارجي، أو سعي نظام سياسي إلى التعامل من مركز قوة ضد خصومة الخارجين، أو محاولة حل صراع دولي اقتصادي معين على حساب الغير أو التعبير عن السيكولوجية القومية لبعض الدول بشكل عدواني. هذا التحليل يتفق مع ما يحاول فرانسيس فوكوياما في نهاية التاريخ أن يقوله بصراع الحضارات، وصمويل هنتجنتون الذي يرى أن الصراع الدائر هو صراع قوة بمدلولاتها المختلفة.

أما تحليل نيكولاس سبيكمان فيرى أن تأمين القدرة على البقاء والاستمرار يرتهن بالقوة التي تعني في التحليل الأخير المقدرة على تحريك الآخرين في الاتجاه المطلوب ويتحقق ذلك إما بالإقناع أو الإغراء، وإما بالمقايضة، وإما الإكراه، وإما بأي من الوسائل الرئيسية للقوة القومية المتاحة للدول.

ويقول مورجانثاو: "إن القوة السياسية هي علاقة نفسية بين من يمارسونها ومن تمارس ضدهم، فهي تمنح الأولين سيطرة على بعض ما يقوم به الآخرون من أعمال عن طريق النفوذ الذي يملكونه على عقولهم وقد يمارس هذا النفوذ بأسلوب الأمر، أو التهديد، أو الإقناع أو بمزيج من تلك الوسائل معًا".

وهذا يعني أن السياسة الدولية عند مورجانثاو هي صراع على القوة بغض النظر عن أهدافها النهائية البعيدة، والقوة السياسية في تصوره هي المقدرة على السيطرة على تفكير ومسلك الآخرين.

ويرى مورجانثاو أن الصراع لأجل القوة ظاهرة طبيعية وتحدث في داخل الدول وهي ظاهرة شاملة زمانًا ومكانًا. ويرى أن الفرق بين السياسات الداخلية والدولية في مجال استخدام العنف المنظم، والصراع على القوة هو فرق في الكم وليس الكيف.

أجد نفسي أتفق مع كار Carr في نقد كلا المنهجين الواقعي والمثالي، باعتبار أن الأول ينظر إلى التاريخ نظرة تشاؤمية في الوقت الذي يتجاهل فيه الثاني الدروس المستفادة من التاريخ نفسه والنقد الآخر الذي يمكن أن نوجهه إلى المدرسة المثالية هو أنها افترضت

حرية الاختيار لصانع القرار كأنه لا توجد عوامل أخرى تحدد أو تضغط صانع القرار في اتجاهات محددة وتحصره في خيارات ضيقة. وكذلك نجد أن المثاليين يخلطون بين المصالح الذاتية القومية والمبادئ الأخلاقية العالمية بينما الواقعيون يحصرون أنفسهم في غلبة المصالح الذاتية متجاهلين الأفعال أو التصرفات البناءة أو المفيدة، وهذا الأمر هو الذي يجعل الواقعيين ينكرون إمكانية تعديل السلوك الإنساني من خلال الفكر.

أدرك الباحثون في العلاقات الدولية أن هنالك فجوة بين منظري الميدان السياسي وأصحاب النظرة المثالية من ناحية والنظرة الواقعية من ناحية أخرى. ويُعزى ذلك إلى طغيان النظرة الأكاديمية البحتة في البحث عن تجنب الحرب والبحث عن السلام الدولي من خلال الحوار بين المدرستين الواقعية والمثالية.

المنهج المتعلق بمنهج المصالح القومية: هو المنهج الذي يعتبر أن السعي نحو تحقيق المصلحة القومية للدول هو الهدف النهائي والمستمر لسياستها الخارجية. وهذا يعني أن المصلحة القومية هي حجر الزاوية في تخطيط السياسة الخارجية لأي دولة في العالم.

المناهج المعاصرة في نظرية العلاقات الدولية:

لا يمكن الفصل بين فترات تطور نظرية العلاقات الدولية لأن تطور الفكر دومًا يبنى على ما قبله، فالمناهج المعاصرة تقوم على الإرث الذي خلفه الباحثون والمفكرون، وعليه فهو ينبني على هذا الأساس.

تاريخ العلاقات الدولية:

من الواضح أن العقل البشري قد حاول محاولات مستمرة لدراسة العلاقات غير المستقرة بين الجماعات الكبيرة أو الإمبراطوريات القديمة، ويرجع الباحثون الدراسات الأولى إلى الهند والصين واليونان. "بدأت محاولات التنظير في العصور القديمة في الهند والصين واليونان"(١٠) إذ يعتقد الكاتب أن دراسة المؤرخ اليوناني توكيدس التي تتناول

(١٠) جيمس دورتي وروبرت بالستغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة د. وليد عبد الحي، مكتبة شركة كاظمة للنشر والتوزيع، ط الأولى، بيروت ١٩٨٥، ص ٧.

تاريخ الحرب البلوبونزية تمثل بحثًا كلاسيكيًا يمكن أن يفيد الباحث في العلاقات الدولية في الوقت الذي يشير فيه إلى قلة أو ضحالة الإشارات الواضحة في دراسات أفلاطون وأرسطو، بينما يثمن كتابات ميكافيللي ويشير إلى كتابه "الأمير ودانتي" مشيرًا إلى كتابه "الحكومة العالمية" والمحامي الفرنسي بيير دبوا الذي دعا إلى تكتل الدول القومية في إطار كونفيدرالي أو عصبة أمم، إضافة إلى جان جاك روسو وبنثام وكانت. ويعتبر الكاتب أن كل هذه الكتابات كتابات تقليدية يصعب معها القول بأن دراسات العلاقات الدولية شهدت تطورًا منتظمًا قبل الحرب العالمية الأولى.

وصف مارتن ويت Martin Wight الدراسات الخاصة بالعلاقات الدولية في فترة ما قبل القرن السابع عشر بأنها "دراسات مبعثرة وغير منهجية وغالبًا ما كانت عسيرة الفهم على القارئ العادي إلى جانب أنها في معظمها غير متسقة ويصعب متابعتها".(١١)

العلاقات الدولية قبل الحرب العالمية الأولى:

وهي الفترة التي سبقت قيام الحرب العالمية الأولى في أغسطس ١٩١٤م وقد حصرها الباحثون في الفترة من ١٦٤٨م-١٩١٤م كما يراها دورتي كانت تمثل في التاريخ الأوربي مرحلة ازدهار ثلاثة موضوعات، هي الدبلوماسية وتوازن القوى والقانون الدولي. وقد انصب جهد الفكر السياسي على الدولة القومية ذات السيادة، وتحديد وظائف الدولة وحقوق الأفراد داخل نطاق الدولة، وحق تقرير المصير والاستقلال.

ويمكن القول إنه خلال هذه الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى قد انصبت الدراسات في مجال العلاقات الدولية بشكل رئيسي في دراسات التأريخ الدبلوماسي والقانون الدولي والنظرية السياسية، ولم تتناول الكيفية التي تعمل الدول في إطارها للحفاظ على وجودها.

كثير من الباحثين يعتبرون أن ما قبل ١٩١٤م مرحلة تختلف عما بعدها في مجال

---

(11) .Martin Wight, Why there is no International Theory- International Relation, April 1960, P. 35-48, 62, cited in.

جيمس دورتي وبالستغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، مرجع سابق.

العلاقات الدولية كما يحدث الآن بعد سبتمبر ٢٠٠١م يختلف عما قبلها وما قبل ١٩٩٠م (انهيار الاتحاد السوفيتي) يختلف عما بعدها. هي نقاط تحول كبيرة في واقع العلاقات الدولية وبالتالي في النظريات والفكر.

العلاقات الدولية ما بعد الحرب العالمية الأولى:

فما بعد ١٩١٤م أي ما بعد الحرب العالمية الأولى والتي لفتت أنظار الباحثين إلى العوامل الاقتصادية والسياسية والتاريخية والسكانية والجغرافية والاستراتيجية لفهم أسباب الحرب، والتطور في العلاقات الدولية بتغير هذه العوامل. وتعتبر هذه الفترة هي الفترة التي بدأت فيها دراسات جادة للخروج بنظريات تعالج الوضع الدولي القائم وتجنب العالم كارثة كالتي حدثت في الحرب العالمية الأولى.

وبرزت خلال تلك الفترة مدرستين من المنظرين في العلاقات الدولية، هي المدرسة المثالية والمدرسة الواقعية.

المدرسة المثالية:

تقوم المدرسة المثالية على نظرة متفائلة مثالية ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالتوجه الأنجلو أمريكي آنذاك الذي يفترض وجود مجال اختيار واسع أمام صانع القرار السياسي في تقرير الشكل الذي تتخذه سياسة بلاده الخارجية. يستند المذهب المثالي على "كيف يجب" أن يتصرف السياسيون في العلاقات الدولية لا على أساس "كيف يتصرف هؤلاء فعلاً"، لذا نجدهم قد وقفوا موقف الرفض من مجموعة المبادئ السائدة في العلاقات الدولية لمبدأ توازن القوى المرتبط تأريخيًا بأوروبا، ومبدأ استخدام القوة في الشؤون الدولية والمعاهدات السرية والتقسيم المجحف خلال الحرب العالمية الأولى، تمثل التيار المثالي في الحقل الأكاديمي بدراسة وتدريس القانون الدولي والمنظمات الدولية بغية القضاء على النزاعات التي نشبت عقب الحرب العالمية الأولى، وإقامة تنظيم أفضل للعالم وخدمة أهداف السلم ودعم وتطوير التفاهم الدولي. تقوم المدرسة على فكرة خضوع الدول لقواعد القانون الدولي العام ودور القانون الدولي في ضمان وصيانة الأمن والسلام العالمي. اهتمت المدرسة المثالية بدراسة المنظمات الدولية دورها في المتجتمع الدولي وقد

ساهم ميثاق عصبة الأمم في بلورة مقاييس كثيرة استملتها المثالية كمعايير لمدى توافق سياسات الدول مع السلوكية الدولية التي يُفْترض أن ينتهجوها. والمصادر الفكرية والفلسفية للمدرسة المثالية هي مناهج عديدة وكانت سائدة في القرون الماضية في أوروبا وقد كانت المثالية فردية من حيث اعتبار الضمير الإنساني الحكم الأعلى في القضايا الأخلاقية.

في الواقع المدرسة المثالية تجاهلت كثيرًا من حقائق الواقع الدولي التي كان يجب أن تأخذها في الحسبان. إذ شكلت مقتربًا أخلاقيًا – قانونيًا ركز على بناء أفضل عالم خالٍ من النزاعات، وانطلقت من مسلمات فلسفية تفاؤلية حول الطبيعة البشرية، لهذا نجدها في إطار دراسة العلاقات الدولية لم تركز على مفهومي الدولة والنظام الدولي بقدر ما اتجهت فرضياتها ومقترحاتها نحو الفرد والرأي العام والبشرية. والشقة كانت كبيرة بين الواقع المتمثل في الحرب العالمية الأولى والطموح لبناء عالم خالٍ من الحروب.

ازدادت الفجوة في الثلاثينيات بين النظرية المثالية من جهة والواقع السياسي الدولي من جهة أخرى والذي تمثلت مظاهره في غزو اليابان لمنشوريا في ١٩٣١م وإيطاليا لأثيوبيا في ١٩٣٥م وبروز النازية في ألمانيا، إذ فشلت القوانين والأخلاق والرأي العام في إيقاف هذه الحروب وازدادت التحديات الواقعة على النظرية المثالية وثبت عجزها وفشلها، وبساطتها في التعامل مع قضايا معقدة مثل الحروب والصراعات.

المدرسة الواقعية:

تمثل مدرسة الواقعية السياسية التي نشأت بعد الحرب العالمية الثانية ردة فعل أساسية على تيار المثالية. هدفت الواقعية إلى دراسة وفهم سلوكيات الدول والعوامل المؤثرة على علاقاتها مع بعضها البعض. لقد جاءت الواقعية لكي تدرس وتحلل ما هو قائم في العلاقات الدولية، وتحديدًا سياسات القوة والحرب والنزاعات، فقد طرحت مبادئ تمثلت في "الحقوق والالتزامات القانونية الدولية والتناسق الطبيعي بين المصالح القومية كوسيلة للحفاظ على السلام العالمي، والتركيز على دور العقل في إدارة الشؤون العالمية وإبداء الثقة في الوظيفة التي يمكن أن يقوم بها الرأي العام".(١٢) وقد هدفت المدرسة

(١٢) جيمس دورتي، مرجع سابق، ص ١١.

الواقعية إلى الحصول على أجوبة لأسئلة ما زال يطرحها الأكاديميون والمهتمون بالشؤون الدولية منذ الستينيات وحتى اليوم، إذن هدفت المدرسة الواقعية إلى تقديم نظرية سياسية لتحليل وفهم واستيعاب الظواهر الدولية. ويرى هانز مورجانثاو وهو من أبرز منظري المدرسة الواقعية يرى بأن السياسة الدولية تتميز وتتفرد كفرع أكاديمي عن دراسة التاريخ والقانون الدولي والأحداث الجارية والإصلاح السياسي. ويمكن القول بأن المدرسة المثالية قد حفظت التوازن للنظرة المتشائمة للمدرسة الواقعية التي تركز على القوة والمصلحة.

المسلمات الأساسية في الفكر الواقعي:

يمكننا استنتاج المسلمات الأساسية للمدرسة الواقعية كالتالي:

١. إن السياسة لا يمكن أن تحددها الأخلاق كما يقول المثاليون بل العكس هو الصحيح، وبالتالي فالمبادئ الأخلاقية لا يمكن تطبيقها على العمل السياسي. وهنا يكمن الفرق بين الفكر الإسلامي في جملة شأنه ومن ضمنها العلاقات الدولية أو ما نطلق عليه اليوم العلاقات الدولية، إذ تمثل الأخلاق مرتكزًا أساسيًا في الوقت الذي يكون فيه القانون فاعلاً وظروف الواقع الدولي موضوعة في الحسبان.

٢. النظرية السياسية تنتج عن الممارسة السياسية وعن تحليل وفهم التجارب التاريخية ودراسة التاريخ.

٣. وجود عوامل ثابتة وغير قابلة للتغيير تحدد السلوكية الدولية، وبالتالي فمن الخطأ - كما فعل المثاليون - الرهان على أن المعرفة والثقافة يمكن أن تتغيرا بسهولة في الطبيعة البشرية وفي الرأي العام.

٤. إن أساس الواقع الاجتماعي هو الجماعة، فالأفراد في عالم يتسم بندرة الموارد يواجهون بعضهم بعضًا ليس كأشخاص إنما كأعضاء في جماعة منظمة متمثلة في الدولة.

وقد أضافت إحدى الدراسات الحديثة أهم افتراضات المدرسة الواقعية على النحو التالي:

١. تعتبر الدول أهم العوامل في السياسة الدولية، وبذلك فإن التركيز على الدول - وليس المنظمات الدولية، أو الشركات متعددة الجنسية - كوحدة تحليل أساسية تساعد على فهم طبيعة التفاعلات في المجتمع الدولي.
٢. تحليل السياسة الدولية على أساس أن الدول تتصرف من منطلق عقلاني في تعاملها مع بعضها بعض. وعليه فمن المفترض أن الدول ستقوم بدراسة البدائل المتاحة بشكل عقلاني وبراجماتي Pragmatic وسوف تتخذ القرارات التي تخدم مصالحها العليا والتي عادة ما تكون زيادة القوة موجهة نحو زيادة قدرة الدولة وقوتها. وقد تقوم بعض الدول بذلك على الرغم من عدم حوزتها على معلومات كاملة وواضحة كل الوضوح حول كل الخيارات البديلة. وفي هذه الحالة قد تتخذ قرارت غير صائبة.
٣. النظر إلى الدولة كوحدة واحدة على الرغم من أن متخذي القرار في الدولة الواحدة أشخاص متعددون (رئيس الدولة، وزير الخارجية، الجهاز التشريعي.. إلخ) فإن الدولة تتعامل مع العالم الخارجي ككيان واحد متماسك. وبناء على هذا الافتراض فإن المدرسة العقلانية تعتبر أن انعكاسات السياسات الداخلية حاسمة في مواقف تلك الدول خارجيًا.
٤. اعتبار النظام الدولي بمثابة غابة نتيجة غياب سلطة مركزية تحتكر القوة وتستطيع فرض إرادتها على الكل كما هي الحال في داخل الدولة.
٥. اعتبار العامل الأمني العامل الأهم في سياسة الدولة الخارجية، فالدولة تبذل قصارى جهدها لكي تحافظ وتعزز وتقوي أمنها بشتى الوسائل حتى لو تطلب الأمر طلب قوى (دول) أخرى لكي تساعد على صيانة هذا الأمن.

المدرسة السلوكية في العلاقات الدولية:

نشأت المدرسة السلوكية في منتصف الخمسينيات وتبلورت بشكل أساسي في الستينيات. وهدفت إلى إيجاد نظرية تعليلية تفسيرية وتنبؤية. استعمل السلوكيون مناهج علمية وخاصة مناهج كَمية في أبحاثهم واهتموا بتقديم واختيار فرضيات بشكل مقارن

وقاموا ببناء نماذج ونظريات تقوم على فرضيات ومفاهيم محددة بدقة ومترابطة منطقيًا.

اهتم السلوكيون بالأنماط المتكررة وليس بالحالات الفردية كمحور للبحث، حيث يقوم بناء النظرية حسب رأي المدرسة السلوكية على القدرة على التعميم وإطلاق الأحكام العامة. ويقوم هذا بدوره على إثبات الفرضيات. وظهر التحول مع السلوكية نحو المناهج العلمية القائمة على الإحصاءات وساهم في ذلك كله استعمال الحاسب الإلكتروني والرياضيات.

اعتمدت المدرسة السلوكية في كثير من المجالات على النتائج التي توصل إليها علماء الاجتماع وعلماء النفس وعلماء الأنثربولوجيا الذين درسوا سلوكيات الأفراد والجماعات الاجتماعية. واستفادت المدرسة السلوكية من ذلك في بناء نظريات جزئية أو متوسطة في العلاقات الدولية، وذلك انطلاقًا من أن سلوكيات الدول أساسًا هي سلوكيات الأفراد والجماعات الرسمية وغير الرسمية في تلك الدول.

الشرط الضروري عند السلوكيين لتحويل الوقائع والأحداث إلى معلومات وبيانات يتمثل في وجود إجراءات وقواعد تصنيف وترتيب واضحة ويمكن تكرارها. وبذلك تدعو السلوكية إلى استعمال قواعد ومناهج علمية تقوم بمجملها على القياس الكمي للمتغيرات.

وتعتبر المدرسة السلوكية من المدارس الحديثة في دراسة العلاقات الدولية، والنقد الذي يمكن توجيهه للمدرسة أنه في العلاقات الدولية هنالك عوامل لا يمكن تحويلها إلى أرقام أو معلومات إحصائية قابلة للمعالجة الإحصائية. وكذلك ليس بالضرورة أن يتكرر سلوك الفرد أو الدولة المحددة بذات الوتيرة.

نظريات القوة في العلاقات الدولية:

ويطلق عليها النظريات الواقعية، وهي نظريات فرضت نفسها على اتجاهات التحليل النظري لحقائق السياسة الدولية في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى كنتيجة مباشرة لتفاقم الصراعات الدولية واتجاه بعض القوى الكبرى إلى خلق مراكز قوة تستطيع بثقلها وتأثيرها أن تصنع واقعًا دوليًا يحقق لها مصالحها ويحقق لها تفوقًا على خصومها مهما كانت

المضاعفات التي يتركها هذا المسلك على توازن النظام الدولي واستقراره. ونظرية القوة تتخذ الدولة كمحور أساسي لتحليلاتها، وتعتبرها النواة الأساسية في السلوك الدولي وفي النظام الدولي ككل.

تفترض النظرية عدم وجود توافق في المصالح القومية الأساسية للدول الأطراف في النظام الدولي، وعدم وجود هذا التوافق هو الذي يتسبب في الصراعات الدولية وتؤدي إلى وقوع الحرب عندما تفشل أساليب التسوية السلمية لإنهاء النزاع وإزالة أسبابه. هنا تقوم القوة بدور بالغ التأثير في تقرير مجرى تلك الصراعات وتحديد نتائجها النهائية. والقوة التي نتحدث عنها لا تعني القوة العسكرية فقط بل وسائل الإكراه المادي بمعناه الضيق أيضًا، ولكنها القوة القومية "National Power" بمفهومها الشامل بمختلف عناصرها ومكوناتها المادية وغير المادية ومنها على سبيل المثال السكان، الموارد الطبيعية، الموقع الاستراتيجي، مستوى التطور التكنولوجي، الجهاز الإنتاجي، نظم الحكم ومؤسساته، الزعامة السياسية، والأيديولوجية، الدبلوماسية، الدعاية، الرأي العام، مستوى التسلح... إلخ.

وتعتبر نظرية القوة حاليًا من أهم النظريات "ويربط المحللون بين دوافع الحصول على القوة وتحريكها في اتجاه التأثير على الآخرين وصولاً إلى الأهداف النهائية التي تحددها الدولة لنفسها، والطبيعة الإنسانية التي تتحكم فيها نزعات غريزية كامنة لا يمكن تخليصها منها أو فصلها عنها وهي تحديدًا نزاعات القوة والرغبة في إخضاع الآخرين والتسلط عليهم كنوع من السلوك الهادف إلى إثبات الذات وتأمين القدرة على البقاء والاستمرار في مواجهة كل أشكال التهديد والتحدي الخارجي".(١٣)

أي كما يرى إسماعيل صبري مقلد أنهم ينظرون إلى هذه الطبيعة الإنسانية تمثل الحقيقة الأولى المتحكمة في السلوك الخارجي للدول وأن ما عدا ذلك من العوامل يأتي في المرتبة التالية من الأهمية.

(١٣) إسماعيل صبري مقلد، مرجع سابق، ص ٥٠.

العلاقات الدولية ما بعد الحرب العالمية الثانية:

أدت الحرب العالمية الثانية والفترة التي تلتها إلى تحول كبير في التفكير في العلاقات الدولية من المثالية إلى الواقعية أي من القانون والتنظيم إلى عنصر القوة. ونتيجة لهذه التغييرات ظهر ما عُرف بالحرب الباردة وزيادة التداخل في العلاقات بين الدول وظهرت أصوات تنادي بإنهاء عزلة الولايات المتحدة الأمريكية وتعزيز دور القوى الاقتصادية في التجارة الدولية والاستثمار الخارجي.

في فترة الأربعينيات من القرن الماضي تركزت الدراسات على منهج القوة في دراسة العلاقات الدولية بل وصف الباحث البريطاني جورج تشوارينبرغر القوة بأنها المتغير الأصيل في السياسات الدولية.

"في غياب مجتمع دولي شامل فإن الجماعات داخل النظام الدولي يُتوَقع منها أن تتصرف على أساس عمل ما تستطيع تحقيقه بالقوة المادية بدلاً من عمل ما يجب أن نعمله من الناحية الأخلاقية ولذا لا يجوز اعتبار القوة بأنها مجرد نوع من الشهوة المدمرة بل إنها مزيج من الإقناع والإكراه، إذ أن أولئك الذين يستخدمون القوة يفضلون عادة تحقيق أهدافهم من خلال التهديد باستخدامها بدلاً من اللجوء إليها فعلاً، والتهديد يستهدف الإقناع في حين يرتبط الإكراه بالاستخدام الفعلي للقوة".(١٤) هذا النوع من التحليل والتبرير أدى إلى ما يعرف بسباق التسلح والذي يسعى فيه كل طرف إلى امتلاك أسلحة متقدمة دون الحاجة إلى استخدامها فعلاً، وزيادة القوة عند البعض لا يعني الرغبة في فرض ضغوط على الآخرين بمقدار ما يكون مدفوعًا بدوافع ذات طبيعة اقتصادية أو سيكولوجية أو ثقافية.

يقول جيمس دورتي:

"إن القوى العظمى التي أرست من الناحية التاريخية أسس التنافس السياسي في حالة صراع دائم فيما بينها، فتاريخ العلاقات بين الدول مزيج من الصراع والتعاون، ومع ذلك

---

(14) Martin Wight, Power and Politics, looking forward Pamphlet, No 8, London, Royal institute of international affairs 1946, P11.

فإن هذه الدول لا تتورع من اللجوء إلى استخدام قوتها أو التهديد باستخدامها للدفاع عما تعتبره مصالحها الحيوية".(١٥)

وهذا دليل على لا مركزية كل من القوة أو القيم وأن ليس ثمة قيم مشتركة كافية على صعيد هذا النظام تسهل التعاون والتنظيم بين وحداته، وتحول دون اللجوء إلى العنف.

ويعتبر جيمس دورتي أن دراسات هانز مورجانثاو هي الأكثر تأثيرًا في البحوث الصادرة في الولايات المتحدة خلال السنوات العشرين التالية للحرب العالمية الثانية من حيث دورها فبتأكيد دور القوة في العلاقات الدولية واعتبارها تعبيرًا عن المصلحة القومية، وربما تعزز هذا الاتجاه في العقد الأخير من القرن العشرين بانهيار منظومة الاتحاد السوفيتي وسيطرة القطب الواحد على إدارة لعبة القوة. وقد انصبت الدراسات بعد الحرب العالمية الثانية حول مصادر وعوامل هذه القوة كمفهوم في العلاقات الدولية كالمتغيرات الجغرافية أو السكانية أو المواد الخام... إلخ، دون إهمال للموضوعات التي تناولتها دراسة العلاقات الدولية في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية كالقانون الدولي والتنظيم الدولي والتسوية السلمية للمنازعات الدبلوماسية وإدارة العلاقات الخارجية إلى جانب بروز موضوعات جديدة كالقومية والإمبريالية والاستعمار وظهور ما عرف بالعالم الثالث والأيديولوجيا والدعاية والتحالف والتكامل الدولي والإقليمي ونزع السلاح والرقابة على التسلح أو عدم الانحياز والعزلة أو دراسات تاريخية أو معاصرة لنماذج من السلوك الخارجي لبعض الوحدات السياسية الكبرى.

أما ما بعد ستينيات هذا القرن خطت دراسة العلاقات الدولية خطوة للأمام بوضع مناهج وتقنيات البحث في العلاقات الدولية، ويرز ذلك في دعم بعض الحكومات لهذه الجهود وإقامة مراكز الأبحاث وعقد المؤتمرات، وتشكيل منظمات غير حكومية، وبروز سلسلة من الدوريات لا سيما في الولايات المتحدة تتناول هذه المسائل. كما فرض التطور العلمي في الميدان العسكري الاهتمام بموضوعات كالردع ومراقبة التسلح، ونزع

(١٥) جيمس دورتي، مرجع سابق، ص ١٥.

السلاح. وما تهتم به دراستنا هو تلك المرحلة التي ظهرت فيها موضوعات الردع والتي تطورت فيها بعد لما يعرف بالضربات الاستباقية. كل هذا يعتبر تطور للمدرسة الواقعية التي تجعل من القوة محور العلاقات الدولية والعامل الحاسم فيها.

نحتاج إلى تقسيم اتجاهات التحليل في العلاقات الدولية في فصل مختلف ثم الحديث عن نظريات القوة أو النظريات الواقعية ثم التطرق إلى النظريات الأخرى باختصار ثم التركيز على نظريات الصراع الدولي مع التركيز على النظريات الاستراتيجية والأمنية.

الفصل الثاني
علاقات العرب في الجاهلية وبواكير الإسلام

أولاً:

من هم العرب؟

كلمة عرب أو العرب المعرفة إذا أردنا أن نبحث في معناها وأصلها قد يرد قائل بأنها واضحة المدلول وذلك لكثرة ألفنا على الكلمة ومدلولها لكن السؤال الذي أريد أن أتعرض له: كيف ومتى نشأت هذه التسمية؟ وهل خضعت لتطورات أو تعديلات خلال العصور الماضية؟ تشير الدراسات والبحوث أن أقدم نص وردت فيه كلمة عرب هو نص آشوري يرجع إلى عام ٨٥٠ ق.م ويذكر صاحب كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام الدكتور جواد علي أن الكلمة لم تكن تعني عند الآشوريين ما تعنيه عندنا اليوم، بل المقصود منها مشيخة في البادية المتاخمة للآشوريين يحكمها شيخ عربي يسمى (جنيبو) وليست تعريفًا شاملاً للعرب. وربما تطورت الكلمة بمرور الزمن وأخذت تدل على المعنى الشامل لكلمة عرب ويمضي الدكتور جواد علي ويذكر أن بعض المعاجم العربية القديمة قد أبانت أن العرب كانوا يعرفون جزيرتهم باسم عربة وأن اسم العرب مشتق منها. وقد جاء في لسان العرب المحيط لابن منظور (اختلف الناس في العرب لم سموا عربًا فقد قال بعضهم: أول من أنطق الله لسانه بلغة العرب يعرب بن قحطان، فنشأ نسله على هذه اللغة. ويعرب بن قحطان هو جد العرب إذ كان باليمن العرب القحطانيون فرع من ثلاث دول كبرى هي الحميرية، السبأية، المعينية. وجاء القحطانيون من الدولة المعينية ومنهم أخذ العربية نبي الله إسماعيل عليه السلام عن طريق قبيلة جرهم التي حطت رحلها ونزلت حول الكعبة المشرفة التي بناها سيدنا إبراهيم عليه السلام. والمؤرخون يؤرخون تلك الفترة بـ١٩٠٠ق.م.

أما جد العرب عدنان الذي يقف نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم كرواية صادقة عنده فتقدر فترته بفترة ٦٠٠ سنة قبل الميلاد ومنه تفرع معد كبطن والذي انحدر منه

سلالة ونسب الرسول الكريم.

يقول الشاعر الصحابي حسان بن ثابت رضي الله عنه:

تعلمتم من منطق الشيخ يعرب *** أبينا فصرتم معربين ذوي نَفرِ

وكنتم قديمًا ما بكم غير عجمة *** كلامٌ وكنتم كالبهائم في القفرِ

وتعتبر قبيلة قريش العربية الأخيرة في تاريخ الفصاحة العربية حيث كانت تقام في أشهر السنة أسواق للمبارزات وإلقاء القصائد والأشعار والمعلقات ومن هذه الأسواق سوق عكاظ، حيث تبرز القبائل فحولها من الشعراء للمفاخرة. ولكلمة العرب معانٍ أخرى غير الذي نعنيه في هذا الكتاب مثل كلمة العرب أو مشتقاتها التي تدل على الفحولة والنكاح، فالعارب هو الناكح والعروب هي المرأة الملمة بأمور النكاح (عربًا أترابًا).

لقد نزل القرآن بلغة العرب (لغة قريش الفصحى) وتكونت الوحدة باللغة العربية بين العرب رغم تكون لهجات محلية بين القبائل والتي ظهر منها اللغة العامية العربية. لا شك أن القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي على نبي عربي له الفضل الرئيسي في توحيد اللغات المحلية العربية. وقد جاء في القرآن الكريم ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [سورة النحل:١٠٣] وكذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [سورة فصلت: ٤٤] لم تخضع الجزيرة العربية في الجاهلية للاحتلال الأجنبي، خلا اليمن التي وقعت تحت الاحتلال الحبشي، ثُمَّ الفارسي، غير أنها لم تكن بمنأى عن نفوذ الدولتين العظيمتين في ذلك الزمن، فقد كان أمراء الحيرة اللخميون صنائع للفرس، وأمراء الشام الغساسنة صنائع للروم، أما إمارة كندة فقد كانت موالية للروم ذات مظهر يمني. ولم تقصر الفرس والروم علاقاتها السياسية على المناذرة

والغساسنة من العرب، فقد استفادتا من المنافسة بين شيوخ القبائل، فكانوا يكلفونهم بضبط القبائل، والسيطرة عليها، وحماية مسالك التجارة الفارسية والرومية مقابل أعطيات سنوية.

وللتجارة أهمية خاصة في علاقة العرب مع جيرانهم، فقد كانت جزيرة العرب طريقًا تجاريًا، يصل أطراف العالم المعمور آنذاك، فهي ملتقى أهم طرق التجارة الموصلة بين عالمي الشرق والغرب، وكان للمصالح التجارية أثر كبير في العلاقة السياسية القائمة بين الفرس والمناذرة والقبائل الواقعة على ممرات التجارة، وكذلك بين الروم والغساسنة وتلك القبائل، واليمن وقبائل العرب الشمالية، فقد كان لا بد من نفوذ في الشمال، يضمن لها سلامة قوافلها، وتسويق مصنوعاتها.

ولم تكن المصالح السياسية والتجارية العربية، حاضرة وبادية، تؤلف وحدة منسجمة، بل كانت على النقيض من ذلك، فالنواة الضعيفة للشعور القومي لم تتكون إلا قبيل فجر الإسلام، ومرد ذلك إلى أن العصبية القبلية تقوم على رابطة الدم والنسب وليست الأرض عنصرًا فيها، فالبدوي الذي ينتقل من مكان إلى آخر يتبدل وطنه باستمرار، وكل أرض يرحل عنها تصبح في نظره أرضًا غريبة، وقد منع ذلك من ظهور مفهوم واسع للوطن، فضلاً عن تعارض المصالح القبلية والأهواء والنزعات الفردية لسادات القبائل، كل هذه العوامل منعت من تكون الشعور القومي الجامع، وبقيت تلك القبائل وحدات متجانسة في تركيبها الاجتماعي، متنافرة في علاقاتها السياسية. لذلك كان من الهين على أولئك العرب أن يكونوا عونًا للفرس أو الروم أو الأحباش على أبناء جلدتهم، إذا اقتضت مصالحهم السياسية أو التجارية أو ولاؤهم الديني ذلك.

العرب والروم:

لم تكن مهمة حفظ حدود الإمبراطورية الرومية المتاخمة لجزيرة العرب سهلة على الروم، فقد وقف أعراب البادية وقفة تربص وتأهب، يرقبون بذكائهم وخبرتهم أوضاع الروم. فإذا أصابوا منهم غرة أغاروا على المناطق الحدودية، فأعملوا فيها السلب والنهب، وإذا أحسوا فيهم ضعفًا ووهنًا، أو كانت جيوشهم مشغولة بحرب الفرس، تطاولوا على

الأرضين الخصبة ذات الكلأ والماء، فتربعوها. وقد علم الروم أن قواتهم النظامية غير قادرة على ضبط الأعراب، وكبح جماحهم، لسرعة فرارهم إلى الصحراء وعجز الروم عن تعقبهم، ومطاردتهم في تلك المهالك والبوادي، وسرعة كرّهم والروم فارون. فعمد الروم إلى اصطناع شيوخ بعض القبائل العربية الكبيرة بالهدايا، والأعطيات السخية، والامتيازات والألقاب، وساعدوهم في إنشاء إمارات قوية على أطراف البادية من بلاد الشام، ليقوموا بحراسة الحدود ومراقبتها، وتعقب القبائل التي قد تتجاسر فتغزو الحدود، ليقوموا بحراسة الحدود، منتهزة مواطن الضعف والثغرات ذلك أن هذه القبائل بما هي عليه من خبرة بالحياة القبلية العربية هي أقدر الناس على التعامل مع أعراب الجزيرة، وعلى المحافظة على أمن مناطق الحدود الرومية. فالتجؤوا إلى الضجاعمة، وإلى سكان تدمر، ثم إلى الغساسنة فيما بعد.

وقد روى المؤرخون أن نشأة الإمارة الغساسنية قد ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بمصالح الإمبراطورية الرومانية، فقد ذكروا أن غسان لما نزلت أرض الشام، وثارت على ملوكها الضجاعم فقتلتهم، أرسل إليهم ملك الروم "ديقيوس" يصطنعهم، فقال: أنتم قوم لكم بأس شديد وعدد كثير، وقد قتلتم هذا الحي، وإني جاعلكم مكانهم، وكاتب بيني وبينكم كتابًا: "إن دهمكم دهم من العرب أمددتكم بأربعين ألف مقاتل من الروم بأداتهم، وإن دهمنا دهم من العرب فعليكم عشرون ألف مقاتل على أن لا تدخلوا بيننا وبين فارس" فقبل ذلك ثعلبة زعيم غسان، ووفد على الروم، فكتب ميثاقًا معهم بذلك، وتوّجه ديقيوس ملكًا، فكان أول ملوك الغساسنة. ولما هلك ثعلبة ملّكت الروم ابنه الحارث(١).

وقد أدرك الغساسنة الدور الخطير الذي كانوا يقومون به، والخدمات الكبيرة التي كانوا يؤدونها للروم، فصاروا يتحينون الفرص السانحة، والظروف المواتية لإرغامهم على رفع جعالاتهم، وزيادة امتيازاتهم، وإلا أضربوا عن الحراسة، وأثاروا الأعراب، وقد حدث أكثر من مرة خلاف بين أمراء الغساسنة والروم، فانسحب الغساسنة إلى الصحراء، وامتنعوا بها، فأوكلت الروم حراسة حدودها إلى بطاركتها الأشداء، لتعقب الغساسنة والأعراب، وإنزال ضربات بهم. غير أن الروم لم يتمكنوا من ذلك، وقام الغساسنة

والأعراب بغارات على المناطق الرومية، واضطرب حبل الأمن، وسنحت الفرصة لأمراء الحيرة، ليشنوا هجمات قوية على بلاد الشام، وينزلوا ضربات موجعة بالروم، مما اضطر الروم إلى استرضاء الغساسنة، والاستجابة لمطالبهم في زيادة المنح والهدايا والحصول على امتيازات جديدة تزيد على امتيازاتهم السابقة الممنوحة لهم. وقد حكم المنذر بن الحارث بعد أبيه الحارث بن جبلة، ورغب المنذر في الحصول على امتيازات جديدة من الروم، وعلى لقب ذي شأن كبير، لم يحصل عليه أمراء جفنة من قبل، فأبى القيصر عليه ذلك، ودبّر مؤامرة لقتله، فتمرد على الروم وامتنع في البادية. وقد انتهز ملك الحيرة هذه الفرصة، فأمعن في غزو بلاد الشام، وإيقاع الرعب في نفوس السكان. فاضطرت الروم إلى مراسلة المنذر والتودد إليه، ثم أرسلوا البطريق "يوسطنيانوس" إلى المنذر، فاجتمع به في مدينة "الرصافة" وأقنعه بترك موقفه من الروم، وتم عقد الصلح بينهما عام ثمانية وسبعين وخمسمائة للميلاد، وعاد المنذر إلى ملكه، وقام بالدفاع عن حدود الشام(٢). وقد وفد المنذر على القسطنطينية فاستقبل باحترام وتبجيل، وعاد بهدايا وألطاف سنية، ويقال إن "طيباريوس" قد أنعم على المنذر بلقب REX وهو لقب كان له شأن كبير في بلاد الروم، وبالتاج، ولم تمنح الروم لعمالها العرب في بلاد الشام قبل ذلك إلا الإكليل وهو دون التاج(٣).

وبادية الشام أرض مكشوفة وأبوابها مفتوحة، فإذا جاء سيد قبيلة من الصحراء، طامعًا في أرض وملك، ووجد في قبيلته كثرة وشوكة، نافس أمراء الأقوام الذين نزلوا قبله. فإذا تمكن من غلبة تلك الأقوام، وفرض نفوذه على تلك الأراضي، ووجد الروم فيه شخصية قوية، تخلوا عن حليفهم القديم، وجنحوا إلى مداهنة السيد الفتي واسترضائه، فيبرمون معه المعاهدات والاتفاقات، ويدفعون له جعالة سنوية، ويهدونه الهدايا والألطاف، ويخلعون عليه الخلع، ويمنحونه ألقابًا مشرفة، ليتعهد بحماية مصالحهم. وقد ذكر "ملخوس الفيلادلفي" في تاريخه، أن سيد قبيلة عربية اسمه امرؤ القيس، قد ارتحل من الأرض العربية الخاضعة لنفوذ الفرس إلى أرض قريبة من حدود الروم، وأخذ يغزو منها الأرض الخاضعة للفرس والعرب المقيمين في الأرض الخاضعة للروم، وتوغل في

العربية الحجرية فبلغ البحر الأحمر واستولى على جزيرة "أيوتابا" وكان الروم قد اتخذوها مركزًا لجمع الضرائب من السفن الذاهبة إلى المناطق الحارة والآية منها، فطرد جباة الروم، وصار يجبيها لنفسه. وقام بغزوات للمواضع المجاورة لهذه الجزيرة وأعالي الحجاز، وكذلك للمناطق الخاضعة لنفوذ الفرس، فأبدى القيصر "اليون" رغبته في وفادة امرئ القيس عليه، والتفاوض معه. فوفد امرؤ القيس إليه، فاستقبله استقبالاً حسنًا، وأجلسه على مائدته، ومنحه لقب "بطريق" وأدى ذلك إلى استياء رجال القصر من سياسة القيصر هذه مع رجل مشرك. وقبل عودة امرئ القيس إلى إمارته أهداه القيصر صورة ثمينة، وهدايا نفيسة، وحث رجال الدولة على أن يجزلوا له الهدايا والأعطيات، ثم منحه درجة "فيلارخ" على الجزيرة التي استولى عليها، وعلى جميع ما استولى عليه، وعلى أرض جديدة لم يكن قد أخذها من قبل(٤).

وقد ذكر جواد علي أن حكم القيصر "اليون" دام من سنة سبع وخمسين وأربعمائة إلى سنة أربع وسبعين وأربعمائة للميلاد(٥). وبذلك تكون وفادة امرئ القيس ومنحه لقب "فيلارخ" قد وقعت في زمن الغساسنة. ونجد أن الروم قد حالفوا منافسًا قويًا لأمراء غسان، مع علمهم أن هذا الحلف سيلاقي استياء شديدًا عند حلفائهم القدامى. وعلى الرغم من أن الغساسنة يدينون بدينهم، وأن الحليف الجديد على الوثنية، فقد كان الروم يسعون إلى حماية مصالحهم الاقتصادية، ومسالك تجارتهم، وبسط نفوذهم على جزيرة العرب، وطرد النفوذ الفارسي منها، وكل سيد فتي يساعدهم في الوصول إلى هذه الغاية حليف لهم، وسرعان ما يتخلون عن هذا الحليف عندما تفتر قوته، وتضعف همته.

أما إمارة كندة التي قامت في قلب نجد بدعم ظاهر من ملوك اليمن فقد كانت موالية للروم ذات مظهر يمني، حيث إن انتزاع نجد من سيطرة المناذرة، وقيام مملكة كندة عليها كان في مصلحة الغساسنة والروم لأنه يوصل النفوذ الرومي إلى مكان جديد في جزيرة العرب. وقد روى المؤرخان البيزنطيان "ثيوفانيس ونونز" أن الإمبراطور "أنستاسيوس" أرسل إلى الحارث بن عمرو، أعظم أمراء كندة، سفيرًا رفيع المستوى، فعقد معه صلحًا(٦). ويرجّح المستشرق جونار أولندر أن يكون عقد الصلح قد احتوى على قيام

حلف بين الرومان والحارث الكندي على فارس وعمالها في الحيرة(٧). وكذلك نجد أن امرأ القيس الكندي الشاعر، بعد مقتل أبيه حجر، وضياع ملكه، قد عمد إلى قيصر الروم، يستمده العون على أعدائه العرب من المناذرة وبني أسد:

ولو شاء كان الغزو من أرض حِمْيرٍ ولكنه عمدًا إلى الروم أنفًا.

وقد اصطحب معه في رحلته عمرو بن قميئة الشاعر البكري، ويقال إن قيصر قبل مساعدته ووضع تحت تصرفه جيشًا كثيفًا، إلا أنه عدل عن مناصرته. ويروي الإخباريون العرب في ذلك قصصًا وطرائف، غير أن عمر فروخ قدم أسبابًا وجيهة لعزوف الروم عن مساعدة امرئ القيس، فقال: إن "العميل" الغساني مسؤول عن مشكلات المنطقة، والنجدة التي طلبها امرؤ القيس كبيرة جدًا، والجيش الرومي غير معد للحرب في الصحراء، ثم أن الإمبراطورية الرومية كانت مهددة بهجمات البرابرة، وكان "يوسطنيانوس" محتاجًا إلى جنود للدفاع عن إمبراطوريته وعاصمته.

ولقد استخدم الروم والفرس الدين سلاحًا لرعاية مصالحهم الاقتصادية والسياسية في الجزيرة العربية، فخاضوا المعارك الدينية قاصدين من ذلك التأثير في عقول العرب، ليكسبوا ولاءهم، ويسخروهم في خدمة مصالحهم ومآربهم تحت غطاء الوحدة في العقيدة. ولأن اليمن آنذاك كانت طريق التجارة العالمية، فضلاً عن ثرواتها، وصناعتها الراقية، فقد كانت محط أطماع الدولتين الكبيرتين، فسعى الروم إلى تغلغل نفوذهم فيها، وإبعاد النفوذ الفارسي عنها، وكذلك سعى الفرس، وكان الدين أحد الوسائل التي استخدمها الأجنبي في تقوية نفوذه في اليمن، فأرسل الروم المبشرين إلى هناك يدعون إلى النصرانية، وتوددوا إلى سادات القبائل لتنصرهم، وشيدوا الكنائس العظيمة لتبهر العرب، كما اتصلوا بملوك الأحباش، وكانوا على النصرانية، فتوددوا إليهم واستمالوهم إلى جانبهم، وسعى الفرس إلى تشجيع اليهودية التي كان يدين بها جمهرة أهل اليمن، كما سعوا في الحيرة وغيرها إلى تشجيع المذاهب النصرانية المعارضة لمذهب بيزنطة.

واحتدم الصراع الديني ذو البعد السياسي بين اليهودية والنصرانية في اليمن، فقام ذو نواس ملك اليمن، وكان يدين باليهودية، بغزو النصارى في نجران، وعرض عليهم أن

يدخلوا في اليهودية فأبوا ذلك، فخدّد لهم الأخاديد، وحرّقهم بالنار، وحرّق الإنجيل، وهدم الكنائس، وعاد إلى اليمن. فركب رسول من نجران يدعى "دوس ذو ثعلبان" إلى بلاد الروم، حتى دخل على القيصر، وأخبره بالبلاء الذي حل بالنصرانية في بلاده. فكتب القيصر إلى نجاشي الحبشة، بنصرة أهل نجران، وأن يغضب للنصرانية، ويطأ بلاد اليمن، وأرسل إليه سفنًا لركوب البحر. وخرج دوس ذو ثعلبان بكتاب قيصر إلى ملك الحبشة، فجهز النجاشي جيشًا عدته سبعون ألفًا، على رأسه أرياط أحد قواد جنده، ودخلت الأحباش اليمن.

لقد اقتتلت العرب في عقائد سعى الأجنبي في نشرها، لتكون ذريعة لتدخله السياسي والعسكري، فجعل من أرض الجزيرة مناطق نفوذ تابعة له، وجعل من أهلها أزلامًا وخولاً، لا إخوة في الدين، وقد كانت الغاية الأخيرة جلية واضحة، في حديث قيصر مع دوس ذي ثعلبان، فقد قال له القيصر، بعد أن وعده بنصرة الأحباش: "إن هذا الذي أصنعه بكم أذل للعرب أن يطأها سودان ليس ألوانهم على ألوانهم، ولا ألسنتهم على ألسنتهم، فقال دوس: الملك انظر لأهل دينه، إنما هم خوله".

العرب والفرس:

بعد أن استقر أمر الأحباش في اليمن، خرج رجل من أشرافها يدعى "أبو مرة ذو يزن" إلى الحيرة، راجيًا من أميرها عمرو بن هند الوساطة لدى الفرس، ليمدوه بالعون لتحرير اليمن، فوفد ابن هند على كسرى واصطحب معه ذا يزن، وطلب ذو يزن من كسرى أنوشروان أن يوجه معه جيشًا لطرد الأحباش من اليمن، فيزداد بها ملك كسرى، فاعتذر أنوشروان بصعوبة المسالك إلى اليمن ووعده أن ينظر في الأمر، وأمر بإنزاله وإكرامه، فلم يزل مقيمًا عند كسرى، حتى هلك(١٤).

ولم يقدم المؤرخون أسبابًا كافية لتخلي الفرس عن مساعدة ذي يزن، ولا بد أن هناك أوضاعًا دولية أو داخلية، منعت الفرس من التدخل في شؤون اليمن. أما ما ذكر من تعلل كسرى بصعوبة المسلك فهو أمر غير مقنع، وركوب البحر إلى اليمن أمر هيّن على الفرس، وقد حدث ذلك فيما بعد.

وقد طال البلاء على أهل اليمن، ثم مشت وجوهها إلى سيف بن ذي يزن، تكلمه بالخروج على حكم الأحباش. فعمد سيف إلى قيصر الروم، فخاب سعيه، حيث قال له القيصر: "الحبشة على ديني ودين أهل مملكتي، وأنتم على دين يهود"(١٥).

ويدل مسعى سيف لدى قيصر الروم على عدم درايته بأمور السياسة، والعلاقات الدولية، فقد ذهب يطلب النصرة من الحليف القوي لعدوه، الذي تتحقق مصالحه باستمرار الاحتلال الحبشي لليمن. وقد ذكر النويري أن قيصر أمر لسيف بعشرة آلاف درهم، فأبى سيف أن يقبلها(١٦). فإن صح ذلك، فهذا يعني أن ملك الروم رغب في اصطناع الزعامة اليمنية، وترويضها لصالح الحبشة.

وبعد وفادة سيف على قيصر، ارتحل يائسًا من ديار الروم، عامدًا إلى كسرى الفرس أنوشروان فلما انتهى إلى الحيرة، دخل على النعمان بن المنذر، وكلمه في حاجته، فقال له النعمان: إن لي وفادة على كسرى، وهذا حينها، فلما خرج النعمان إلى فارس اصطحب معه سيفًا، وأدخله على كسرى، فقال سيف: "أيها الملك، غلبنا على بلادنا، وغلب الأحابيش علينا، وقد جئت لتنصرني عليهم، وتخرجهم عنا، ويكون ملك بلادي لك فأنت أحب إلينا منهم"(١٧) فجمع كسرى رجال دولته وشاورهم في الأمر، فأشاروا عليه أن يبعث معه السجناء وعددهم ثمانمائة رجل. فجهز كسرى السجناء وولّى عليهم راميًا شجاعًا منهم، يقال له وهرز، وحملهم في البحر في ثماني سفن، ونزل الجيش على ساحل عدن، وقاتل الفرس بأمرة وهرز، واليمنيون بأمرة سيف بن يزن، حتى انتصروا على الأحباش، وحكم سيف اليمن لكسرى وبقيت أحرار فارس في اليمن"(١٨).

وذكر المسعودي أن كسرى أنوشروان قد اشترط على ابن ذي يزن شروطًا، لإرسال الحملة الفارسية، منها أن يحمل إليه خراج اليمن، وبذلك تكون اليمن قد استبدلت بالاحتلال الحبشي احتلالاً فارسيًا.

أما المناذرة فتتشابه الأسباب والعوامل في نشأة إمارتهم في الحيرة مع الأسباب والعوامل في نشأة الغساسنة في الشام، فقد نشأت مملكة المناذرة في كنف الإمبراطورية الساسانية، وكان للفرس مصلحة في استقرار ملوك الحيرة، وتوطد حكمهم على حدودها

الغربية، ليقوموا بدور الحراسة على حدودها، ضد اعتداءات الروم، وعملائهم من الغساسنة، ولضبط القبائل العربية، وكبح جماحها عن التطاول على السواد، والتربع فيه، ولتأمين سلامة القوافل التجارية الذاهبة من فارس إلى مكة واليمن وغيرها من أسواق العرب، والآيبة منها. وقد اتصفت الحيرة وما يليها من السواد بخصب الأرض، ووفرة المياه، وطيب المناخ، مما ساعد على استقرار حكم المناذرة وقوتهم. وقد عاش المناذرة حياة حضرية مترفة، اصطبغت بالصبغة الفارسية. واعتمدوا الأساليب الفارسية في بناء الجيش والحروب. وعرف أهل الحيرة الكتابة فاستخدمهم الفرس في أمر الترجمة بينهم وبين العرب.

ولم يكن بسط السلطان على القبائل العربية، ودخولها في طاعة المناذرة، والتزامها عدم الإغارة على السواد أمرًا هينًا، فالقبائل إذا وجدت في نفسها اقتدارًا وقوة، ووجدت في الملك ضعفًا ووهنًا، شقت عصا الطاعة، وقامت بالغزو والإغارة والسلب والنهب، فالخروج على دين الملوك طبع أصيل فيهم. لذلك وضع الفرس كتيبة من الجند تحت إمرة المناذرة، وقاموا بتقديم المساعدات المالية والأعطيات السنوية لهم.

ولم تكن ثقة الفرس بالمناذرة شديدة ولا سيما في أواخر عهدهم، فقد عجز ملوكُ الحيرة المتأخرون عن منع القبائل العربية من الإغارة على حدود الساسانيين، وعن حماية قوافل التجارة الفارسية الذاهبة إلى اليمن، وعن حماية لطائمهم الذاهبة إلى أسواق العرب، فقد ذكر ابن حبيب أن قيس بن بلعاء الكناني، اعترض لطائم النعمان مرتين، وأن البراض الكناني قتل عروة الرحال، وكان مجيرًا للطيمة النعمان(٢٠) ولم يعد في قدرة ملوك الحيرة أن يختاروا وريثًا لملكهم، وأصبح هذا الأمر بيد كسرى، فالمنذر بن المنذر لم يختر أيًا من أولاده لملكه بعد موته. وأوكل كسرى بن هرمز حكم الحيرة إلى إياس بن قبيصة الطائي، ريثما يرى رأيه في أولاد المنذر. ويبدو أن الشك بولائهم بلغ درجة عظيمة، دفعت كسرى إلى التفكير باحتلال الحيرة، وإدارتها من قبل الفرس مباشرة، فقال: لأبعثن إلى الحيرة اثني عشرة ألفًا من الأساورة، ولأملكنّ عليهم رجلاً من الفرس، ولآمرنهم أن ينزلوا على العرب في دورهم، ويملكوا أموالهم ونساءهم". ولكن كسرى رأى مخاطر هذه السياسة،

فشاور عدي بن زيد في الأمر، فاقترح عدي عليه أن يولي أحد أولاد المنذر، وكان عدي كاتبًا في ديوان كسرى وموضع ثقته، وكان ميالاً إلى النعمان بن المنذر، فتلطف له عند كسرى، فملكه، وخلع عليه وألبسه تاجًا قيمته ستون ألف درهم فيه اللؤلؤ والذهب(٢١).

ولم يدم عهد المودة طويلاً بين النعمان بن المنذر وعدي بن زيد، فقد ضغن النعمان على عدي، وأودعه السجن، فلما علم بذلك كسرى بعث رسولاً إلى النعمان، وحمّله كتابًا يأمره فيه بإرسال عدي إليه. فأقدم النعمان على قتل عدي، ورشا الرسول ليبلغ كسرى أن عديًا قد مات قبل وصوله الحيرة بأيام قليلة(٢٢).

ولمعرفة البواعث التي دفعت النعمان إلى الضغن على عدي بن زيد، فحبسه، ثم قتله، تحسن العودة إلى تاريخ عدي، فعدي من أسرة آرامية رباها الفرس في بلاطهم، وعرفت بإخلاصها وتفانيها في خدمتهم. فقد ولي أبوه زيد بن حماد بعض أقسام البريد (نقل الأخبار)، وعمل عدي كاتبًا في ديوان كسرى، وكلفه بمهام ذوات خطر، فقد بعثه في سفارة إلى "طيباريوس الثاني" قيصر الروم، ثم جعله كاتبًا في بلاط الحيرة، فكان عينًا لكسرى على المناذرة، وقد ذهب عمر فروخ إلى أن الحكم الفعلي في الحيرة كان لعدي بن زيد لا للمناذرة، وأن أعمال عدي هي في مصلحة الفرس أكثر مما هم في مصلحة المناذرة، وأدرك ذلك النعمان، فحبسه، ثم قتله(٢٣).

بعد مقتل عدي تولى زيد بن عدي الشؤون العربية في ديوان كسرى، والمكاتبة إلى أمراء العرب وشيوخها، ليكون عينًا للفرس على العرب والمناذرة خصوصًا، ويروي الإخباريون العرب أن زيدًا تمكن من الإيقاع بالنعمان عند كسرى، عندما أقنع كسرى أن يطلب نسوة من أهل بيت النعمان، وكانت العرب تتكرم عن العجم، فأبى النعمان. وسكت كسرى أشهرًا على ذلك، ثم استدعاه، فاستجار بسادات العرب، ثم بدا له أن يقدم على كسرى فلما وصل المدائن أمر به كسرى، فألقي في السجن بخانقين، وبقي في السجن حتى مات بالطاعون(٢٤). وقيل ألقي تحت أرجل الفيلة(٢٥).

لقد اهتم الإخباريون بالأسباب الظاهرة والطريفة والمسلية خصوصًا، دون البحث

الجدي عن الأسباب التاريخية للأحداث فإذا سلمنا أن كسرى طلب نسوة من النعمان، فإن هذا الطلب لا يعدو أن يكون سببًا مفتعلاً للأحداث، ولا يمكن أن يكون تفسيرًا لحدث تاريخي مهم، ذي أبعاد خطيرة، كان له أثر كبير في العلاقة بين العرب والفرس، وكان من أولى نتائجه يوم ذي قار. فمن الواضح أن ولاء المناذرة للفرس لم يكن خالصًا، وإن مخاوف الفرس من النعمان قد بلغت درجة عظيمة، فقد بدأت نواة الشعور القومي بالتكون، في هذه الفترة المتأخرة من تاريخ الجاهلية. وبدا ميل النعمان إلى قومه العرب واضحًا جليًا، فلقد تميزت علاقته مع سادة العرب ووجوهها بالمودة والإكرام، فكانت تجتمع إليه وفود العرب في كل عام، تتفاخر بقبائلها وأنسابها، ثم يخلع على أعزها قبيلاً حلة، ويمنحهم الهدايا والأعطيات(٢٦) ويروى أن للنعمان وفادة على كسرى، تلقي بعض الضوء على شخصيته، وعلى طبيعة العلاقة بينه وبين الفرس، فقد افتخر فيها بالعرب، وفضلهم على جميع الأمم، في مجلس ضم وفود الروم، والصين، فلقد تحدثت وفود الأمم، وفخرت بملوكها وبلادها، ففخر النعمان بقومه العرب، وفضلهم على غيرهم، ولم يستثن الفرس، فغضب كسرى، وأخذته العزة، فتنقص العرب، وفضل عليهم جميع الأمم، ولم ير للعرب شيئًا من خصال الخير(٢٧).

وإذا كانت هذه الوفادة من رواية الكلبي، وهو راوي متهم، ويقتضي الحذر ألا نثق بكل ما ورد فيها، فهي على أي حال تدل على بداية تكون الشعور القومي العربي، وعلى عصبية النعمان لقومه العرب، وضعف ولائه للفرس. وهذا يكشف جانبًا مهمًا من مخاوف الفرس من النعمان، ومن البواعث الحقيقية لقتله. وقد ظهرت هذه المخاوف جلية واضحة في مقالة زيد بن عدي لكسرى، فقد ذكر البيهقي أن النعمان قدم المدائن، ودخل على كسرى ودخل زيد بن عدي بعده، فقال زيد لكسرى: أيها الملك، إن هذا العبد إذا جلس على سريره، ووضع التاج على رأسه، ودعا بشرابه، لم يظن أن لك عليه سلطانًا، فأمر كسرى بالنعمان أن يلقى بين أرجل الفيلة (٢٨) لقد خشي الفرس أن يتقلص نفوذهم عن الحيرة، فافتعلوا طلب المصاهرة، ثم بادروا إلى استدعاء النعمان إلى المدائن، وتخلصوا منه.

ولم تقتصر علاقة الفرس بالمناذرة من العرب، على الرغم من أنهم أوكلوا إليهم أمر الأعراب، فقد ساهمت الظروف الطبيعية والسياسية في قيام علاقات بين الفرس والقبائل العربية، ففي سنوات القحط والجدوبة لم يكن أمام القبائل العربية في نجد من مخرج إلا الهجرة إلى أرض العراق، حيث الخضرة والماء، ليحافظوا على حياتهم وحياة إبلهم، غير مبالين بما سيلاقون من صعوبات، قد تودي بهم إلى الهلاك بأزجة الرماح اللخمية والفارسية، فهم بين خيارين، الموت البطيء جوعًا في أرضهم البائسة الغبراء، أو التطاول على سواد العراق، والتربع فيه، والقتال دونه. ولم تكن تلك القبائل راغبة في القتال، وهي ترحل نحو الأرض الخصيبة، بل كانت تدفعها غريزة المحافظة على الحياة، ولذلك فقد سبقها سفراؤها إلى المناذرة وبني ساسان، يسعون في الإذن لهم بدخول الريف، وقد مرت سنوات شديدة على تميم، فخرج حاجب بن زرارة وافدًا على كسرى، ويقال إنه تزود بكتاب من عامل الحيرة إياس بن قبيصة، فلما دخل عليه شكا إليه الجهد في أنفسهم وأموالهم وطلب منه أن يأذن لهم في دخول الريف، فقال كسرى: إنكم العرب معشر غدر، فإن أذنت لكم أفسدتم البلاد، وأغرتم على الرعية، فضمن حاجب ألا يفعلوا، ورهنه قوسه، فلما جاء بها ضحك رجال كسرى، وقالوا: لهذه العصا يفي! فقال كسرى: ما كان ليسلمها لشيء أبدًا. وقبضها منه، وأذن لهم أن يدخلوا الريف(٢٩).

وقد استمال الفرس في أحيان أخرى سادة هذه القبائل بالأعطيات، وبإقطاعهم أرضًا يطعمونها، لكي يقوموا بمنع قبائلهم من الإغارة، أو التربع في السواد، وقد وفد قيس بن مسعود الشيباني على كسرى، فأطعمه الأُبُلّة على أن يضمن له بكر بن وائل، فلا تدخل السواد، ولا تفسد فيه. غير أن الحارث بن وعلة الشيباني والمكسَّر بن حنظلة العجلي قد أغارا في أناس من بكر على السواد، وملؤوا أيديهم من الغنائم، فاشتد حنق كسرى على بكر وكان قد بلغ كسرى أن حلقة النعمان وولده وأهله عند بكر(٣٠) فطلب من بكر أن يقدموا مائة غلام رهينة بها يحدث سفاؤهم في السواد، وأن يسلموا حلقة النعمان فأبوا ذلك، وقال شاعرهم الأعشي(٣١):

من مُبلغ كسرى إذا ما جاءه *** عني مآلك مُخمشات شُرّدا
آليتُ لا نعطيه من أبنائنا *** رُهُنًا فيفسدهم كمن قد أفسدا
فاقعد عليك التاج معتصبًا به *** لا تطلبن سوامنا فتعبّدا

فأخذ كسرى في تعبئة الجيوش، وكانت حرب ذي قار(٣٢) وهي أول معركة ينتصر فيها العرب على الفرس وتتميز هذه المعركة في أنها مواجهة مفتوحة بين العرب والفرس، وقد أظهرت بعض قبائل العرب في يوم ذي قار شيئًا من الحس القومي، جمعهم ضد الفرس، فإذا أضفنا هذه الحقيقة إلى ما رأيناه من شعور قومي عند النعمان بن المنذر، تجلى بعصبيته للعرب، وعدم إخلاصه في ولائه للفرس، تأكدنا من أن الحس القومي قد أخذ في النمو في أواخر العصر الجاهلي، وقد تبلور ذلك مع بزوغ الإسلام، فتوحدت جهود العرب بسرعة مذهلة تحت راية الدين الجديد.

السياسة القرشية:

نزلت قريش بواد غير ذي زرع، بيد أنه كان طريق القوافل التجارية. وأدرك القرشيون أن مكة محطة هامة لهؤلاء التجار، فوجدوا في نقل التجارة سبيلاً إلى تحصيل الرزق الكريم، فكانوا يشترون البضائع من القوافل التي تمر بهم، ثم يتبايعونها بينهم ويبيعونها على من حولهم من العرب. ثم عظمت تجارتهم، وصاروا يتطلعون إلى الإتجار مع الدول المجاورة. ولقد استفادت قريش من التدهور السياسي الذي حل باليمن، حيث ظهر أجيال وأمراء متنافسون، فأبعد هذا التشتت خطر الحكومات اليمنية الكبيرة عنها، وصاروا المحطة الواسعة في نقل التجارة من اليمن إلى بلاد الشام، أو من بلاد الشام إلى اليمن. وحرص تجار مكة على اتخاذ موقف حياد تجاه الصراع بين الفرس والروم والأحباش وتوددوا إلى سادات القبائل العربية بتقديم الطرف والألطاف إليهم، وأخذوا منهم عهدًا وإيلافًا، ليأمنوا على تجارتهم الذاهبة إلى الشام وفارس واليمن، والآيبة منها. وسعوا إلى محالفة القبائل المجاورة لهم، ومهادنتها، ولزموا الابتعاد عن الحروب، وجنحوا إلى المفاوضات والسلم في حل مشكلاتهم. وقد أفادت هذه السياسة قريشًا فظهرت زعامة مكة على القبائل، بعد تدهور الملك الحميري. وسعى تجار مكة ما وسعهم السعي في إقامة صلات حسنة مع حكام البلدان المجاورة، وأبرموا المعاهدات والمواثيق.

وقد خرج أولاد عبد مناف إلى الروم واليمن والحبشة وفارس، فوثقوا العهود والمواثيق التجارية مع حكومات تلك البلاد. وكان هاشم بن عبد مناف أول مبعوث لهم

نزل الشام وتقرب من عامل الروم حتى تمكن من نفسه، ثم قال له: أيها الملك إن قومي تجار العرب، فإن رأيت أن تكتب لي كتابًا، تؤمن تجارتهم، فيقدموا عليك، بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه، فتباع عندكم، فهو أرخص عليكم. فكتب له كتاب أمان، لمن يقدم منهم. فأقبل هاشم بذلك الكتاب إلى مكة. وكلما مر بحي من العرب على طريق الشام، أخذ من أشرافهم إيلافًا، وهو أن تأمن قريش عندهم في أرضهم، بغير حلف، وإنما هو أمان الطريق على أن تحمل قريش لهم حاجتهم من البضائع بأثمانها (أي رؤوس أموالها وربحها). فلما قدم هاشم مكة، خرجت قريش بتجارة عظيمة إلى الشام، وخرج معهم هاشم، يوفّي أحياء العرب إيلافهم، ويجوِّز تجارة قومه، حتى أوردهم الشام، ومات في ذلك السفر بغزة. وخرج نوفل بن عبد مناف وكان أصغر إخوته في وفادة على كسرى، فأخذ عهدًا وميثاقًا لتجار قريش، وفي طريق عودته أخذ إيلافًا من أشراف القبائل. ووفد المطلب بن عبد مناف على ملوك اليمن، فأخذ منهم عهدًا لتجار قريش، ثم أخذ الإيلاف من القبائل، فعل هاشم ونوفل، وكذلك وفد عبد شمس على نجاشي الحبشة، فأخذ منه عهدًا. وأخذ الإيلاف من القبائل(٣٣). وقد مر ذكر الإيلاف في القرآن: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤﴾ [قريش: ١ – ٤] (٣٤).

وقد حصل بسبب ذلك تطور اقتصادي كبير في المجتمع المكي، فاتسعت قريش في التجارة، وكثرت أموالها، وكانت تسير قوافلها إلى الشام واليمن، يقول حكيم بن حزام: "وكنت رجلاً تاجرًا أخرج إلى اليمن، وإلى الشام في الرحلتين، فكنت أربح أرباحًا كثيرة"(٣٥) وقد ضُرب المثل بحاسي الذهب عبد الله بن جدعان، وكان أعظم أغنياء مكة، فقد وفد على كسرى في أمور تجارية، فأكرمه كسرى، وأطعمه الفالوذج بين يديه، وطلب ابن جدعان من كسرى جارية تعمل له ما أكل عنده، فأمر له كسرى بجارية وألطاف، ولما عاد إلى مكة صنع أول فالوذج في بلاد العرب، وأطعم الناس، فضُرب المثل بقراه، فقيل "أقرى من حاسي الذهب" ولقد لقب "بحاسي الذهب" لأنه كان يشرب في إناء من ذهب(٣٦) وسار أبو سفيان في تجارته إلى فارس، ودخل على كسرى وأهداه خيلاً

عربية وأدمًا، فأعطاه كسرى "مخدّة" فلما دفعها إلى الخازن أعطاه ثمانمائة إناء من فضة وذهب. وقد حدّث الأصمعي بهذا الحديث النوشجان الفارسي، فقال النوشجان: كانت وظيفة المخدة ألفًا إلا أن الخازن اقتطع مائتين.

وباتصال تجار قريش بالدول الكبرى وذهابهم إليها صار لهم اهتمام بما يجري فيها من أحداث وما يطرأ في السياسة الدولية من أمور، لأن لذلك أثرًا كبيرًا في تجارتهم وفي الأسواق التي كانوا يخرجون إليها للبيع والشراء. وقد اهتمت قريش اهتمامًا خاصًا بما يقع في بلاد الشام واليمن، إذ كانت تجارتها تسير في معظمها إلى هذه البلاد. ولم يكن النجاح الذي أصابته وساطة قريش التجارية بين بلاد العرب وبلاد الروم والحبشة وفارس نجاحًا عفويًا، متروكًا للاتصالات العابرة، فإن وراءه على الأرجح اطلاعًا دقيقًا على شؤون الصراع السياسي بين الفرس والروم، وحسًا مرهفًا بحدود الموقع الذي تقف فيه بين المتصارعين، لتحتفظ بمصالحها التجارية لدى كل منهما، يقول جواد علي: "أما أهل مكة، فكانوا تجارًا محايدين علاقاتهم حسنة مع الروم ومع الفرس، وكان من مصلحتهم الوقوف على الحياد"(٣٨). لذلك أخفق عثمان بن الحويرث عندما بدا له أن يربط مكة بالنفوذ الرومي، فقد حدث عروة بن الزبير أن عثمان كان يطمع أن يملك قريشًا، وقد رأى موضع حاجتهم إلى قيصر، ومتجرهم ببلاده. فوفد على قيصر، وذكر له مكة، ورغّبه فيها، وقال له: تكون زيادة في ملكك، كما ملك كسرى صنعاء، فملّكه قيصر على قريش، وكتب له إليهم، وحمله على بغلة عليها سرج عليه الذهب. فلما قدم عليهم، قال لقومه: يا قوم، إن قيصر من قد علمتم أمانكم ببلاده، وما تصيبون من التجارة في كنفه، وقد ملكني عليكم، وإنما أنا ابن عمكم وأحدكم، وإنما آخذ الجراب من القرظ، والعكة من السمن، والإهاب، فأجمع ذلك، ثم أبعثه إليه، وأنا أخاف إن أبيتم ذلك، أن يمنع منكم الشام، فلا تتجروا به ويقطع مرفقكم منه. فأجمعوا على أن يعقدوا على رأسه التاج، خشية على تجارتهم في بلاد الشام، فقال الأسود بن المطلب بن الأسود: "يا آل عباد الله ومُلْكٌ بتهامة! إن قريشًا لا تَملك ولا تُملك". فانتقضت قريش عما كانت قالت لعثمان، ومنعته ما جاء يطلب(٣٩).

لقد عرض عثمان على قيصر أن يمتد النفوذ الرومي ليشمل مكة، وهذا أمر صبت إليه الروم، ولا سيما بعد أن ظهر النفوذ الفارسي في اليمن، لذلك اصطنع قيصر "العميل" القرشي و"توجّه" ورأى الأسود بن المطلب خطر السياسة التي أرادها عثمان لقومه، وخشي على تجارة الشتاء الهامة في اليمن، وكذلك تجارتهم في فارس، فحرص على حياد مكة، وأنكر على عثمان جرّ قريش إلى أحلاف تضر بمصالحها.

وإذا كان المكيون يهتمون اهتمامًا شديدًا بما يجري حولهم من أحداث في السياسة الدولية لما في ذلك من أثر في تجارتهم، فمن الجدير بهم أن يكونوا أشد اهتمامًا بما يجري في عقر دارهم، من أحداث دينية ذات أبعاد سياسية، واجتماعية، واقتصادية عميقة. فقد كانوا قبل ظهور الإسلام يرقبون بهدوء ما يقع في السياسة الدولية، ويتخذون الموقف الذي يضمن لهم مصالحهم التجارية مع كل الأطراف، ويسعى سفراؤهم إلى تعاظم تجارتهم مع هذه الدول ويجتنبون أمور السياسة، إلا ما يساعد منها على توثيق المعاهدات التجارية مع هذه الدولة أو تلك، شريطة ألا تضر بتجارتهم مع الدول الأخرى غير أن ظهور الدعوة الإسلامية في مكة قد زعزع استقرار قريش، وأدرك تجارها الذين يعيشون في بلهنية وترف أن ريحًا صرصرًا ستعصف بنفوذهم الديني، وسلطانهم الربوي، ومكانتهم الاجتماعية، فقد دعا النبي إلى وحدانية الله ومحاربة الأوثان وتحريم الربا، والمساواة بين الناس، فشن كفار قريش حربًا لا هوادة فيها على المسلمين، وخرج رجالهم إلى أباطرة الروم وملوك الحبشة، يسعون في استمالتهم، وكسب تأييدهم، في صراعهم مع النبي وأتباعه، فسفهوا محمدًا، وعابوا دينه، ولعلهم أوهموا ملوك هذه الدول أن الضرر قد يلحق بالإتجار معهم إذا ظفر محمد وأصحابه. وقد وفد رأس الشرك في مكة، وأحد عظماء تجارها صخر بن حرب بن أمية على "هرقل" قيصر الروم، فعرّض بالإسلام، وسب محمدًا وأتباعه، وكان علقمة بن علاثة حاضرًا ذلك المجلس، فرد عليه، وانتصف للنبي(٤٠).

وبعثت قريش سفراءها إلى نجاشي الحبشة، لتفسد على مهاجرة المسلمين أمرهم، وتوقع بينهم وبين النجاشي، وتوطد علاقتها مع ملك الأحباش، فقد أرسلت عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة، وعلى عادة أصحاب الحاجات فقد بحثوا عن وسيلة

يتقربون بها إلى النجاشي وبطارقته، فكانت الرشوة والهدية وسيلتهم إليه، وهي الوسيلة التي غالبًا ما توسل بها تجار قريش في سفاراتهم، وقد مر معنا أن أبا سفيان حمل إلى كسرى، في وفادته عليه، خيلاً وأدمًا. لذلك جمعت قريش ما يستطرف من متاع مكة، وبعثوا سفيريهم بالهدايا. فبدأ السفيران ببطارقة النجاشي، فدفعا إلى كل بطريق منهم هديته، وكلماه في أمر المهاجرين، فأتمرا معهم إذا دخلا على النجاشي، وكلماه في أمر المسلمين، أن يشير بطارقته عليه بأن يسلمهم إلى وفد قومهم، ولا يكلمهم، فإن قومهم أبصر بهم، وأعلم بما عابوا عليهم. ثم قدما الهدايا إلى النجاشي، فقبلها منهما، ثم كلماه في أمر المسلمين وطلبا منه أن يردهم إلى قومهم وآزرتهم البطارقة في ذلك، فأبى النجاشي، وطلب المسلمين ليسمع مقالتهم، فجرى حوار بين رسولي قريش ومهاجرة المسلمين على مشهد من النجاشي وأساقفته، وانتهى المجلس بأن قال النجاشي للمسلمين: اذهبوا فأنتم شيوع بأرضي، أي آمنون، ورد على رسولي قريش هداياهما، وقال: ما أخذ الله مني حين رد ملكي عليّ، فآخذ الرشوة فيه. فخرج عمرو وعبد الله من عند النجاشي مقبوحين، مردودًا عليهما ما حملاه من رشوة، وأقام المسلمون عنده بخير دار مع خير جار(٤١).

وبذلك أخفقت قريش في مساعيها لدى الدول المجاورة للإيقاع بالمسلمين، كما أصيبت داخليًا بالإخفاق والهزيمة في معاركها الفكرية والعسكرية معهم. وانتهت تلك المواجهة العنيدة بفتح مكة.

وبذلك انتهت الحقبة الجاهلية من حياة العرب، بما حملته من قلق روحي وفكري واضطراب سياسي واجتماعي، وفرقة وتشتت وضعف، ببزوغ فجر الإسلام على الجزيرة، وانتقل العرب بفضل الدين الجديد من التشتت إلى الوحدة، ومن ضيق الأفق القبلي إلى رحابة الإسلام.

العلاقات التاريخية القديمة بين الصين والعرب:

العلاقات الصينية العربية علاقات تاريخية قديمة وعريقة، تعود إلى ما قبل الميلاد، سجلت الكتب الصينية الملكية القديمة عن الاتصالات الصينية العربية القديمة في

التاريخ، منها رحلات استكشافية قام بها كبار الشخصيات الصينية إلى البلاد العربية، أهمها على حسب السجلات الصينية الرسمية:

رحلة تشانغ تشيان (Zhang Qian توفي في ١١٤ق.م)، كان موظفًا كبيرًا في البلاط، أرسله إمبراطور الصين هام وودي (han Wu Di ١٥٦ق.م – ٨٧ق.م) من أسرة هان الحاكمة (Han Dynasty ٢٠٦ق.م – ٢٢٠م) إلى بلدان الجهات العربية المتاخمة للصين، للتحالف مع القبائل هناك ضد غزو قبائل المغول، قام تشانغ تشيهان برحلتين: كانت الرحلة الأولى في سنة ١٣٩ق.م، ووصل إلى بلدان آسيا الوسطى وأفغانستان. والرحلة الثانية سنة ١١٩ ق.م، وكانت الرحلة تضم عدة فرق وصلت إلى غرب آسيا وما بين النهرين وبلاد الشام حتى وصلت فرقة منها إلى بلاد الروم، ويقصد بها مدينة الإسكندرية التي كانت تحت الحكم الروماني.

كانت هذه الرحلات فاتحة الطريق التجاري بين الصين وغرب آسيا، ومنها إلى قارة أوروبا، وخصوصًا بعد إدخال الجمل إلى الصين منذ القرن الثالث قبل الميلاد، فساعد كثيرًا على النشاطات التجارية العابرة لمنطقة الصحارى في آسيا الوسطى.

وكانت صادرات الصين الرئيسية الحرير والمنسوجات والحديد وأواني الصين، وصادرات الفرس والعرب الرئيسية إلى الصين العطور والبخور والأحجار الكريمة والعقاقير الطبية والفواكه والمكسرات، لذلك سمي بطريق الحرير البري أو طريق العطور البري، وكان يرافق هذه النشاطات التجارية التبادل الثقافي والفني، إذ دخلت فنون الطرب وأدوات العزف والرسم والموسيقى إلى الصين من بلاد الفرس والعرب عبر طريق الحرير البري، ودخلت الديانة البوذية إلى الصين من الهند عن طريق آسيا الوسطى.

ثم مرت أوقات من غزوات قبائل المغول والتتار على الطريق التجاري الذي كان يفتح تارة، ويغلق تارة أخرى، حتى استقر الأمن في عهد بان تساو(Ban Chao ٣٢ – ١٠٢م) حاكم منطقة الحدود الصينية الغربية حينذاك، والذي أرسل أحد كبار ضباطه اسمه جان ينج (Gan Ying) إلى بلاد الفرس والعرب والروم، فوصل إلى بلاد الفرس والعرب دون بلاد الروم، وكان ذلك في سنة ٩٧م.

نجد بعد ذلك أخبارًا كثيرة عن البلاد العربية في الكتب الصينية القديمة، جاء في كتاب "سجلات التاريخ" (Shi Ji) جزء بلدان غربي الصين ما مفاده أن "بلاد العرب تقع غرب بلاد الفرس بآلاف الكيلومترات، تحيطها البحار، هي بلاد الرطوبة والحرارة وحقول زراعة الأرز، بها طير كبير الحجم، بيضه في حجم إناء الماء، معمورة بالسكان والإمارات الصغيرة تحت حماية الفرس". ونجد نفس الوصف والمعنى في كتاب "أسرة هان المتقدمة" (Qian Han Shu) جزء بلدان غربي الصين.

كان اسم بلاد العرب في كتب أسرة هان (٢٠٦ قبل الميلاد – ٢٢٠م) تياوشي (Tiao Zi)، وفي كتب أسرة تانغ (٦١٨ – ٩٠٨م) دا شي (Da Zi)، يغلب على الظن أنه صوت محرف من اللفظ الفارسي طا زي (Ta Zi)، ربما كان اسم قبيلة عربية قيل إنها قبيلة بني طائي، على سبيل إطلاق تسمية التخصيص على التعميم، ثم صار الاسم في عهد أسرة يوان المغولية (١٢٧٩ – ١٣٦٨م) هوي هوي للمسلمين وهوي هوي قول بلاد المسلمين (بلاد الفرس والعرب) وهوي جيا للدين الإسلامي.

نجد في الكتب العربية العلمية الأخبار المماثلة للاتصالات العربية الصينية عبر الطريق التجاري: " كانت تدمر (بالميرا) في أوج عزها في مدة ما بين ١٣٠ – ٢٧٠ الميلادية والكتابات التي اكتشفت في تدمر ترجع إلى هذا التاريخ، وإن التجارة الدولية في تدمر كانت تتوسع حتى وصلت إلى الصين.

روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اطلبوا العلم ولو في الصين"، ومع أنه ليس لدينا شاهد يدل على أن هذا الكلام قد جاء على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فليس من المستبعد أنه قد عرف اسم هذه البلاد، لأن الصلات التجارية بين بلاد العرب والصين كانت قد توطدت قبل مولده بزمن طويل، فكانت حاصلات الشرق التي تتلقاها بلاد الشام وموانئ البحر الأبيض تمر بنسبة هائلة عن طريق البلاد العربية، وفي القرن السادس الميلادي كانت بين الصين وبلاد العرب تجارة هامة عن طريق سيلان، وفي بداية القرن السابع كانت التجارة بين الصين وبلاد فارس وبلاد العرب هي السوق الرئيسية للتجار الصينيين.

اتصالات مسلمي الصين بالجزيرة العربية بعد ظهور الإسلام ودخوله إلى الصين:

جاء في " كتاب أسرة تانغ القديم (Ju Tang Shu) الجزء الرابع مـا مفـاده أنـه "في السنة الثانية، الشهر الثامن، اليوم الخامس والعشرين من حكم الإمبراطـــور قـاوزونغ (Gao Zhong ٦٥٠ – ٦٨٤م على العرش) بدأت دا شي ترسل سفيرًا لتقـديم الهـدايا لجلالته، وهو تاريخ يقابل سنة ٦٥١ ميلادية واليوم الثاني من شهر محرم سنة ٣١ هجرية، وهو في عهد الخليفة عثمان بن عفان (٥٧٧ – ٦٥٦ م)، وهذا أول تسجيل صيني رسـمي للاتصالات الصينية العربية الإسلامية على مستوى السفراء، وهو يعد أيضًا تاريخ دخول الإسلام إلى الصين في نظر الصينيين، ثم تتابعت البعثات العربية إلى الصين، حتـى بلغـت ٣٩ بعثة ابتداء من سنة ٦٥١ م إلى سنة ٧٩٨ م على حـسب الـسجلات الرسـمية، وهـو إحصاء غير كامل بطبيعة الحال، ونجد أن نشاطات التجـار العـرب والرحالـة المسلمين كانت ترافق هذه البعثات، ولكننا لم نجـد النـشاطات نفـسها مـن البعثـات الرسـمية إلى الصين في السجلات العربية والرسمية أو الكتب العربية الإسلامية القديمة، فيغلب عـلى الظن أن كثيرًا من هذه البعثات كانوا سفراء شعبيين من التجـار العـرب يقـدمون الهـدايا لأباطرة الصين باسم الخلفاء العرب، ويـسجلون ذلـك في الكتابـات الـصينية الرسـمية، وكان أباطرة الصين يردونهم بهدايا أكثر وأثمن، إلى جانـب الـضيافة الكريمـة والحفـاوة البالغة.

حدث التصادم العسكري الكبير بين الـصين والعـرب سـنة ٧٥١ ميلاديـة في إقلـيم تالاس الواقع بين طشقند وبحيرة بلكاش وإقلـيم آلمـا أتـا في آسـيا الوسـطى (جمـول في كازاخستان حاليًا).

جـاء في كتـاب "أسرة تـانغ الجديـد" (Xin Tang Shu) الجزء الخـامس سـيرة الإمبراطور شوان زوينغ (Xuan Zong ٧١٢ – ٧٥٦ م على العرش) ما مفاده أنـه "في يوليو سنة ٧٥١ ميلادية تقاتل جيش القائد الصيني قاوشيان تـشي (Gao Xian Zhi) توفي سنة ٧٥٥ ميلادية وجيش العرب في تالاس، وهزم جـيش القائـد جـاو". وجـاء في كتاب أسرة تانج الجديد الجزء ١٣٥ سيرة القائـد جاوشـيان تـشي مـا مفـاده أن "القائـد

جاوشيان تشي ضرب فتنة إحدى إمارات إقليم طشقند، وأسر أميره، وقتله، فالتجأ ابنه الهارب إلى قائد الجيش العربي وزعماء الإمارات الأخرى، وتقاتل الجيشان الصيني والعربي في إقليم تالاس، وهزم الجيش الصيني بسبب خيانة القبائل الموالية، وأخذ الأمير الابن ثأر أبيه، وعاد على العرش"، وكان عدد كبير من جنود الصين أسروا في المعركة، وتتضارب الأخبار في إحصائه قيل: إنه بلغ عشرين ألفا، والقول الآخر هو خمسون ألفًا، وذكر ابن الأثير هو مائة ألف. تعد معركة تالاس تصادمًا عسكريًا وحيدًا في العلاقات الصينية العربية عبر التاريخ.

كان أثر التصادم العسكري الصيني العربي في المجال الثقافي كبيرا؛ إذ انتقلت أولاً صناعة الورق بعد المعركة من الصين إلى آسيا الوسطى، ثم منها إلى ما بين النهرين، ثم إلى قارة أوروبا. ثانيًا: ظهرت لأول مرة كتابة صينية تتحدث بالتفاصيل عن الدين الإسلامي وحياة المسلمين في البلاد العربية. كان بين الأسرى مثقف صيني كبير اسمه دوهوا (Du Huan)، ومكث في البلاد العربية ١٢ سنة إثر المعركة، تجول خلالها في أقاليم آسيا الوسطى والعراق والجزيرة العربية، وعاد إلى الصين في سنة ٧٦٣م عن طريق البحر من الخليج العربي إلى مدينة كانتون في جنوب الصين، ودوَّن بعد العودة مشاهداته وانطباعاته في كتاب "مشاهدات في الرحلات" (Jing Xing Ji)، ووصف بكل دقة وصدق الدين الإسلامي وحياة المسلمين وعبادتهم لله وحده والصلوات الخمس يوميًا وصلاة الجمعة وخطبة الإمام وتحريم الخمور ولحم الخنزير وأنواع العقوبات على المجرمين، وهو أول كتاب صيني يتحدث عن الإسلام والمسلمين، وصار مصدرًا مهمًا لدراسات تاريخ الإسلام في الصين.

من المؤكد أن الإسلام دخل الصين عن طريق التجارة لا الغزو العسكري، ونجد أخبارًا كثيرة عن النشاطات التجارية العربية الإسلامية في الكتابات الصينية الرسمية إلى جانب القصص والروايات الشعبية والأخبار الواردة في كتب التاريخ والجغرافيا العربية وكتب الرحلات، ومن هذه النشاطات نستنتج ما يأتي:

أولاً: كان عدد التجار العرب بالصين كبيرًا، حتى وصل إلى آلاف أو عشرات الآلاف في بعض مدنها.

ثانيًا: كانوا يتمتعون بالثراء الواسع حتى عينوا في المناصب الرسمية المرموقة بسبب ثروتهم الضخمة، ويترتب على ذلك أمران كبيران لم يكونا في حسبان هؤلاء العرب الذين وصلوا إلى الصين للتجارة:

أولهما: نشر الدين الإسلامي في الصين.

والثاني: مزج الثقافة العربية والثقافة الصينية.

كان التجار العرب المسلمون يتجمعون في المدن الكبيرة بالصين، حتى تكونت الأحياء الإسلامية فيها، وكان لهم نظام إداري خاص بهم بمعرفة حكومة الصين التي كانت تختار من بينهم رجلاً صالحًا لتعينه رئيسًا عليهم، يتولى شؤون الرقابة والقضاء والأمن داخل الحي، ويساعد الحكومة على جني الضرائب التي كانت تشكل إيرادًا كبيرًا في خزانة الصين، وكان التجار المسلمون يبنون مساجد في أحيائهم، لذلك نجد اليوم أقدم مساجد بنيت في الصين هي المساجد التي بنيت في المدن التجارية الكبيرة.

وكان التجار العرب ينطقون اللغة العربية في البيوت وفي أداء الفرائض الدينية بالمساجد، ويتكلمون اللغة الصينية في السوق والمجتمع، وأولادهم يدرسون اللغة العربية وعلوم الدين الإسلامي في البيت أو في المدرسة الصغيرة الملحقة بالمسجد، ويتعلمون اللغة الصينية وعلومها وثقافتها في المدارس الرسمية، وأصبحوا هم الأوائل الذين مزجوا الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الصينية التي قوامها المذهب الكونفوشيوسي، وذلك دون وعي منهم، وتوسعت هذه الظاهرة توسعًا كبيرًا بعد غزو المغول على العالم، وجلسوا على عرش الصين.

الفصل الثالث
العلاقات العربية بعد ظهور الإسلام
وحتى قيام ثورات الربيع العربي

المبحث الأول
علاقات العرب في العصور الإسلامية

أ- علاقات العرب في عصر النبوة والخلافة الراشدة

دولة النبي صلى الله عليه وسلم

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يُقِيم العلاقات الخارجية مع الدول والكيانات الأخرى، وقد أرسل النبي صلى الله عليه وسلم، عثمان بن عفان ليفاوض قريشًا، كما فاوض هو صلى الله عليه وسلم، رسل قريش، وكذلك أرسل الرسل إلى الملوك، كما استقبل رُسل الملوك والأمراء، وعقد الاتفاقات والمصالحات. وكذلك كان خلفاؤه مِن بعده يُقيمون العلاقات السياسية مع غيرهم من الدول والكيانات. كما كانوا يُولّون من يَقوم عنهم بذلك، على أساس أن ما يقوم به الشخص بنفسه له أن يُوكِل فيه عنه، وأن يُنيب عنه من يقوم له به.

من الطبيعي أن يتبنى الأنبياء عملية الاتصالات الخارجية وبناء العلاقات من أجل تبليغ الرسالة بالرغم من ضعف وسائل الاتصال آنذاك، ولم تكن العملية يسيرة أبدًا، حيث بادر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في بادئ الأمر إلى مخاطبة الملوك ورؤساء القبائل، عبر إرساله الموفدين والمندوبين من قبله وهم يحملون رسائله الشفوية والخطية التي كانت رائحة الإسلام تفوح من بين كلماتها.

نماذج من رسائله "صلى الله عليه وسلم" إلى الملوك والزعماء:

رسالته صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ملك الحبشة:

ولعل أول تلك المراسلات الخارجية للرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانت مع النجاشي، حيث جاء فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، سلام عليك، أحمد الله الذي لا إله إلا هو الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول، الطيبة، الحصينة، فحملت بعيسى، حملته من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده... إلخ(٣).

وتلك المناغمة الحكيمة من قبل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مهّدت الأرضية فيما بعد تمامًا لاختيار الحبشة لهجرة المسلمين إليها بعد اشتداد الضغط عليهم، حيث إن موقف النجاشي معروف عند سرد أحداث هجرة المسلمين من مكة إلى الحبشة ومن هنا جاءت علاقة الدولة الإسلامية العربية الأولى بالحبشة وامتدت لسنوات طويلة وهي التي مهدت لدخول الإسلام لإفريقيا ودخول التجار العرب إلى بلاد جديدة وأقامت عائلات عربية كثيرة هناك فكانت نواة للوجود العربي في القارة الإفريقية.

ولم تقتصر القائمة التي أعدها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في التحرك على الصعيد الخارجي وإيصال الدعوة الإسلامية إلى أبعد نقطة على النجاشي فقط، حيث ضمت تلك القائمة هرقل عظيم الروم وأسقف الروم في القسطنطينية، أسقف إيله، وكاتب ملوك العرب والمقوقس عظيم القبط في مصر وكسرى ملك الفرس.

بعد أن حقق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الاستقرار في الجزيرة العربية واستقر الإسلام فيها واصل دعوته خارج الجزيرة العربية وكانت رسائله إلى الملوك والزعماء إحدى وسائله صلى الله عليه وسلم لنشر دعوة الإسلام فقد بث برسائله إلى قيصر ملك الروم وإلى المقوقس حاكم مصر وإلى كسرى ملك فارس وغيرهم.

رسالته صلى الله عليه وسلم إلى كسرى:

نص رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وكما ذكرها الطبري في تاريخه "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على مَن اتبع

الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله إلى الناس كافة لينذر مَن كان حيًا، أسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس"، فمزق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مُزق ملكه"(٥).

رد كسرى على رسالة النبي صلى الله عليه وسلم:

كان عامل كسرى على اليمن باذان وقد أرسل إليه كسرى يأمره بإحضار النبي صلى الله عليه وسلم، فأرسل باذان رجلين لإحضار النبي صلى الله عليه وسلم لكنه مع ذلك حرص على معرفة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فلما وصلا إلى المدينة طلب بابويه وهو أحد الرسولين من النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتي معهما إلى الملك باذان ليبعث به إلى كسرى وقال للرسول صلى الله عليه وسلم: "وإن أبيت فهو مَن قد علمت: فهو مهلكك ومهلك قومك، ومخرب بلادك، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارجعا حتى تأتياني غدًا، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء أن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه، فقتله في شهر كذا وكذا في ليلة كذا وكذا من الليل فدعاهما فأخبرهما وقال لهما: وقولا له – أي باذان – إن ديني وسلطاني سيبلغ ملك كسرى وقولا له: إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يدك وملكتك على قومك من الإنباء"، ولما أخبرا باذان بذلك قال: "والله ما هذا بكلام ملك، وإني لأرى الرجل نبيًا كما يقول، فلئن كان هذا حقًا فإنه لنبي مرسل، وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا، فلم ينتظر طويلاً حتى قدم عليه كتاب شيرويه يخبره بأنه قد قتل أباه فأسلم باذان وأسلم معه قومه"(٦).

صلح الحديبية وتحسين العلاقة مع قريش والقبائل العربية الأخرى:

تمخضت مفاوضات الحديبية عن عقد اتفاقية صلح وهدنة بين المسلمين وقريش تضمنت شروطًا عديدة اتفق عليها الطرفان.

والمتتبع لمجريات أحداث هذا الصلح يلمس بوضوح مدى المقدرة السياسية في تنظيم ذلك الميثاق وكتابته، حيث استطاع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يهيئ الأرضية لانتشار الإسلام في المناطق الأخرى فلقد دخلت في الإسلام العديد من القبائل بعد توقيع الصلح وبعد أن أزيل الخوف عنها حيث اعترفت قريش في ميثاق هذا الصلح بالكيان

الإسلامي بصورة رسمية مما أعطى المسلمين فرصة في التغلغل في صفوف الأمة من خلال نشاطهم التبليغي ودعوتهم إلى الإسلام.

ومن هنا تتجلى فائدة هذا الصلح في توسيع الكيان الإسلامي، حيث يعدّ هذا الصلح خطوة في انتصار الإسلام بما لا يقبل التشكيك والمجادلة. ورغم أن أصواتًا تعالت من بعض صحابة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تعارض بعض بنود الاتفاقية فيما بعد، لكن الرسول آثر الالتزام بعهده، وبهذا فقد أبطل الرسول فصول جميع الدعايات المضادة التي كانت تروج ضده، حيث أثبت للجميع أنه حقًا رجل الإسلام، وداعية خير للبشرية، ومع العلم أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يبرم هذه الاتفاقية مع قريش بسبب ضعفه العسكري والمعنوي، فلو كان قاتل قريشًا وقتها فمن حكم المؤكد أن يغلبها وقد صرحت بذلك الآية الكريمة: ﴿وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الفتح: ٢٢].

مصاهرة النبي (ص) للأمم الأخرى وتقوية الأواصر بينها وبين العرب:

والمصاهرة هي إحدى المحاور التي تحرك عليها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو في طريقه إلى الاتصال بالأقوام والقبائل الأخرى، وقد استطاع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من خلال تلك العملية أن يختصر الكثير من الوقت وهو يهم بانتقال الدعوة الإسلامية من حيز أمة العرب إلى بقية القوميات والمذاهب الأخرى.

فزواجه من جويرية بنت الحارث (سيدة بني المصطلق)، كان نعمة عظيمة على قومها، حيث كانت النتائج المباشرة لذلك الزواج إطلاق سراح مئات الأسرى من أبناء تلك القبيلة الذين وقعوا أسرى بيد المسلمين، كما انشدّوا إلى المسلمين برباط من الصداقة، فدخلوا الإسلام فيما بعد.

أما اليهود فلم ينس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (أن يكسبهم عن طريق البناء بامرأة من نبيلاتهم، وذلك أعقاب فتح خيبر سنة ٧هـ وهي صفية بنت حُييّ - عقيلة بني النضير - التي طالما افتخرت بزواجها من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمام اليهود عبر قولها (زوجي محمد وأبي هارون وعمي موسى).

فيها وهب الأقباط في مصر إحدى نسائهم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلم يردها الرسول إليهم وتزوجها، وهكذا فتح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جسرًا ممتدًا من العلاقات ما بين مصر والجزيرة العربية حتى أن الرسول استوصى بهم حيث قال: استوصوا بالقبط خيرًا فإن لهم ذمة ورحمًا.

هذا وقد مارس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم السياسة بمفاهيم مثالية قد لا يستوعبها الناس آنذاك، مع أنه عاش الواقع ومارس "فن الممكن" فتحالف مع مشركين في حلفه مع خزاعة، وتعاقد مع يهود في الصحيفة، فلم ينقض عهدًا ولم يغدر بعدو ولم يتخلّ عن صديق.

علاقة الرسول صلى الله عليه وسلم والإمبراطورية الساسانية:

كان أول حديث للرسول صلى الله عليه وسلم عن الفرس عند لقائه بني شيبان بعد السنة الثالثة للبعثة النبوية الشريفة في موسم الحج في مكة المكرمة طالبًا منهم نصرتهم لتبليغ دعوته التي بعثه الله بها إلى الناس كافة، فأجابه المثنى بن حارثة الشيباني قبل إسلامه قائلاً: "إن أحببت أن نؤويك مما يلي مياه العرب دون ما يلي وإني أرى الأمر الذي تدعونا إليه أنت مما يكرهه الملوك" فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً: "ما أسأتم الرد إذ أنصحكم بالصدق وإن دين الله عز وجل لن ينصره إلا مَن أحاط به من جميع جوانبه، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وأموالهم"(٣)، وهذه أول إشارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بحتمية النصر على الفرس.

وكانت الإشارة الثانية (عندما لحق سراقة بن مالك برسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق رضي الله عنه وهما في طريقهما إلى المدينة المنورة مهاجرين ليردهما إلى قريش فحيل بينه وبينهما، عندما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا سراقة بن مالك كيف بك إذا لبست سواري كسرى)(٤)، والإشارة الثالثة عند حفر الخندق في غزوة الأحزاب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عندما ضرب صخرة في الخندق وانصدع وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتي المدينة، حتى لكأن مصباحًا في جوف بيت مظلم فكبّر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح، وكبّر المسلمون، ومن ثم سألوا رسول الله

صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأجابهم قائلاً: ضربت ضربتي الأولى، فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى، كأنها أنياب كلاب، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها) هذه بعض بشائر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفتح والنصر.

علاقة دولة المدينة بالفرس تجعل البحرين تنضم إلى الدولة الإسلامية:

وبعد اليمن أصبحت البحرين جزءًا من الدولة الإسلامية وذلك بإسلام المنذر بن ساوي الذي ولاه الفرس على العرب في البحرين، جاء في فتوح البلدان (وكانت أرض البحرين من مملكة الفرس وكان بها خلق كثير من العرب.. وكان على العرب فيها من قبل الفرس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن ساوي.. فلما كانت سنة ثمانية وجّه رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي حليف بني عبد شمس إلى البحرين ليدعو أهلها إلى الإسلام أو الجزية، وكتب معه إلى المنذر بن ساوي وإلى مزربان هجر يدعوهما إلى الإسلام أو الجزية فأسلما وأسلم معهما جميع العرب هناك وبعض العجم، فأما أهل الأرض من المجوس واليهود والنصارى فإنهم صالحوا العلاء وكتب بينه وبينهم كتابًا جاء فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما صالح عليه العلاء بن الحضرمي أهل البحرين، صالحهم على أن يكفونا العمل ويقاسمونا التمر.. وأما جزية الرؤوس فإنه أخذ لها من كل حالم دينارًا" وجاء أيضًا في فتوح البلدان: "لم يكن بالبحرين في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قتال ولكن بعضهم أسلم وبعضهم صالح العلاء".

ب- علاقات العرب في العصر الأموي

يبدأ العصر الأموي بخلافة سيدنا معاوية بن أبي سفيان فهو مؤسس السلالة الأموية الحاكمة التي اتخذت دمشق عاصمة للخلافة.. ولد سيدنا معاوية بن أبي سفيان بمكة المكرمة (١٥ق.هـ- ٦٠هـ)، وتولى الخلافة بين عامي (٦٦٢-٦٨٠م). كان أخوه يزيد بن أبي سفيان واليًا على الشام في عهد الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه وبعد وفاته بعث معاوية واليًا عليها منذ ٦٥٧م من قبل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وأتت خلافة سيدنا معاوية بن أبي سفيان مباشرة بعدما عرف في التاريخ الإسلامي بعصر الخلافة الراشدة والتي تنتهي بخلافة الخليفة الرابع سيدنا على بن أبي طالب كرم الله

وجهه وعرف عهد خلافة سيدنا معاوية بعهد الفتوحات الكبرى.. وهو أول من استخدم البحر والأساطيل البحرية. توقّفت حركة الفتوحات الإسلامية تمامًا منذ اشتعال فتنة مقتل سيدنا عثمان بن عفان سنة ٣٥هـ، وظلّت متوقفة طوال عهد سيدنا علي بن أبي طالب، حيث كانت الدولة منشغلة بنزاعاتها الداخلية. بعد الاجتماع مجددًا على خلافة معاوية عادت الفتوحات من جديد، وقد ركّزت الفتوحات في عهده على الحرب مع البيزنطيين (في شمال إفريقيا والجبهات البحرية) وفتوحات المشرق (في سجستان وخراسان وبلاد ما وراء النهر). توقّفت الفتوحات في أرض الأناضول منذ فترة طويلة قبل حكم معاوية عند سفوح جبال طوروس قربَ مدينة مرسين، وهُناك أقام كل من المسلمين والروم على جانبي الحدود حصونًا وقلاعًا كثيرة، وعلى الرُّغم من الغزوات الكثيرة التي شنّها المسلمون في عهد معاوية (خصوصًا الصوائف والشواتي) فلم تتغير حدود الدولتين كثيرًا. لكن من أبرز أحداث عهده تمكّن المسلمين من استعادة أرمينيا (والتي كانوا قد فتحوها سابقًا، لكنهم خسروها في أيام الفتنة)، بالإضافة إلى أن بعض غزوات الصوائف والشواتي تمكّنت من التوغل في الأناضول حتى عمورية (وهي قريبة من مدينة أنقرة).

أرسل سيدنا معاوية سنة ٤٩هـ (وقيل أيضًا سنة ٥٠هـ، أي ٦٦٩ أو ٦٧٠م) حملته الأولى لفتح القسطنطينية، وكانت بقيادة سفيان بن عوف الأزديّ، غير أن الحملة فشلت وحل الشتاء وصعبت ظروف القتال.

وفي آخر الأمر عادت خاسرة إلى الشام، ومات فيها الكثير من المسلمين بينهم الصحابيّ أبو أيوب الأنصاري، ثم أرسل حملته الثانية بقيادة فضالة بن عبيد الأنصاري سنة (٥٣/٦٧٣م)، وتمكّن الأسطول في طريقه من فتح جزيرتي أرواد ورودس الواقعتين على ساحل آسيا الغربيّ، وقد أقام جيش المسلمين فيهما سبع سنوات وجعلهما قاعدة لحصار القسطنطينية منها، ولذلك فقد سُميت أيضًا بـ"حرب السنين السبعة"، وكان المسلمون يُحاصرون المدينة خلال الصيف، ثم يرحلون في الشتاء، غير أن الروم صمدوا، واضطرّ معاوية بن أبي سفيان في النهاية إلى سحب الأسطول وإعادته إلى قواعده دون فتح

القسطنطينية في سنة (٦٠هـ/ ٦٨٠م).

نشير إلى تنازل سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنه عن الخلافة لسيدنا معاوية حقنًا لدماء المسلمين والحفاظ على وحدة المسلمين كأولوية، فبعد مقتل علي مُباشرة بايع أهل العراق ابنه الحسن على الخلافة، غير أن أهل الشام بايعوا بدورهم معاوية بن أبي سفيان. وهُنا حشد معاوية جيوشه وسار إلى الحسن، غير أن الحسن رفَض القتال، وراسل معاوية للصُّلح، فسر هذا سرورًا كبيرًا بالعرض ووافق عليه، وعُقد الصلح في شهر ربيع الثاني سنة ٤١هـ (أغسطس سنة ٦٦١م)، وهكذا تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية، وسُمّي ذلك العام بعام الجماعة لأن المسلمين اتفقوا فيه على خليفة لهم بعد خلاف طويل دام سنوات.

ونستطيع أن نقول بعد أن توحد كلمة المسلمين العرب، اكتملت قوة المسلمين وقويت شوكتهم في عهد معاوية وأصبحت الدولة الإسلامية من القوة بحيث يهابها الأعداء ويطمع فيها الأصدقاء ولم يعد العرب مجموعات متفرقة يوالي بعضها الشرق والبعض الآخر الغرب.

بعد ذلك بدأ الوهن يدب في أوساط الدولة الأموية بتركيز الولاء في القيادة لبني أمية والبعد عن عدالة الإسلام وسماحته والالتزام بأحكامه.

أسباب انهيار الدولة الأموية:

نستطيع أن نقول إن الدولة الأموية شهدت عهدًا من الازدهار والقوة في بداياتها لتأثرها بالصحابة وعهد الخلفاء الراشدين وسيرتهم وأن معاوية استطاع أن يوحد المسلمين تحت راية الإسلام مستخدمًا وسائل مختلفة ما بين الشدة واللين ونذكر عبارة معاوية المشهورة "بيني وبين الناس شعرة ما قطعتها .. إذا أرخوها شددتها وإذا شدوها أرخيتها" أضف إلى ذلك الرؤية الثاقبة والاستراتيجية التي تمثلت في سبط النبي الحسن بن علي الذي تنازل لمعاوية حفاظًا على الوحدة وروح التماسك هذه العوامل مجتمعة ساعدت في ظهور العصر الزاهر في الدولة الأموية والتي عندما انشغلت بالبعد عن الإسلام وأحكامه وشرائعه ضعفت فطمع فيها الآخرون الأمر الذي قاد إلى نهايتها.

ج- علاقات العرب في العصر العباسي

الدولة العباسية أو الخلافة العباسية أو العباسيون هو الاسم الذي يُطلق على ثالث خلافة إسلامية في التاريخ، وثاني السلالات الحاكمة الإسلامية. استطاع العباسيون أن يزيحوا بني أمية من دربهم ويستفردوا بالخلافة، وقد قضوا على تلك السلالة الحاكمة وطاردوا أبناءها حتى قضوا على أغلبهم ولم ينج منهم إلا من لجأ إلى الأندلس، وكان من ضمنهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، فاستولى على شبه الجزيرة الأيبيرية، وبقيت في عقبه لسنة ١٠٢٩م.

تأسست الدولة العباسية على يد المنحدرين من سلالة أصغر أعمام نبي الإسلام محمد ابن عبد الله، ألا وهو العباس بن عبد المطلب، وقد اعتمد العباسيون في تأسيس دولتهم على الفرس الناقمين على الأمويين لاستبعادهم إياهم من مناصب الدولة والمراكز الكبرى، واحتفاظ العرب بها، كذلك استمال العباسيون الشيعة للمساعدة على زعزعة كيان الدولة الأموية. نقل العباسيون عاصمة الدولة، بعد نجاح ثورتهم، من دمشق العربية الشاميّة، إلى بغداد العراقية الإسلامية، التي ازدهرت طيلة قرنين من الزمن، وأصبحت إحدى أكبر مدن العالم وأجملها، وحاضرة العلوم والفنون، لكن نجمها أخذ في الأفول مع بداية غروب شمس الدولة العباسية ككل.

جاء بعد زوال الخلافة الأموية الخليفة العباسي الأول هارون الرشيد الذي تميز بالحكمة وبعد النظر، فكان نموذجًا للقيادة القوية العابدة فكان يغزو عامًا ويحج عامًا آخر فازدهرت في عهده الحضارة الإسلامية وتوحدت الدولة الإسلامية وعادت مرة أخرى لها قوتها وسمعتها وهيبتها واستطاع الخليفة هارون الرشيد أن يقود دولة استطاع من خلالها أن يعيد هيبة الدولة الإسلامية وبسط الحضارة الإسلامية – عهد العلم – كالشعر وأدب الحرب والطب والفلك رغم الحرب عليه من المستشرقين للمحاولة للطعن في الدولة العباسية.

بعد فترة من الازدهار والألق بدأت سمات الضعف تظهر في الدولة العباسية وذلك مرده إلى الخلافات التي حدثت والابتعاد عن تعاليم الإسلام والفتن بدأت تفت في جسد

الدولة وتنوّعت الأسباب التي أدّت إلى انهيار الدولة العباسية، ومن أبرزها: بروز حركات شعوبية ودينية مختلفة في هذا العصر، وقد أدّت النزعة الشعوبية إلى تفضيل الشعوب غير العربية على العرب، وقام جدل طويل بين طرفيّ النزاع، وانتصر لكل فريق أبناؤه. وإلى جانب الشعوبية السياسية، تكوّنت فرق دينية متعددة عارضت الحكم العبّاسي. وكان محور الخلاف بين هذه الفرق والحكام العبّاسيين هو «الخلافة» أو إمامة المسلمين. وكان لكل جماعة منهم مبادئها الخاصة ونظامها الخاص وشعاراتها وطريقتها في الدعوة إلى هذه المبادئ الهادفة لتحقيق أهدافها في إقامة الحكم الذي تريد. وجعلت هذه الفرق الناس طوائف وأحزابًا، وأصبحت المجتمعات العباسيّة ميادين تتصارع فيها الآراء وتتناقض، فوسّع ذلك من الخلاف السياسي بين مواطني الدولة العبّاسية وساعد على تصدّع الوحدة العقائدية التي هي أساس الوحدة السياسية. ومن العوامل الداخلية التي شجعت على انتشار الحركات الانفصالية، اتساع رقعة الدولة العبّاسية، ذلك أن بعد العاصمة والمسافة بين أجزاء الدولة وصعوبة المواصلات في ذلك الزمن، جعلا الولاة في البلاد النائية يتجاوزون سلطاتهم ويستقلون بشؤون ولاياتهم دون أن يخشوا الجيوش القادمة من عاصمة الخلافة لإخماد حركتهم الانفصالية والتي لم تكن تصل إلا بعد فوات الأوان، ومن أبرز الحركات الانفصالية عن الدولة العباسية: حركة الأدراسة وحركة الأغالبة، والحركة الفاطمية ومن هنا بدأت الهزائم أمام التتار.

انتهى الحكم العباسي في بغداد سنة ١٢٥٨م عندما أقدم هولاكو خان التتري على نهب وحرق المدينة وقتل أغلب سكانها بما فيهم الخليفة وأبناؤه. انتقل من بقي على قيد الحياة من بني العباس إلى القاهرة بعد تدمير بغداد، حيث أقاموا الخلافة مجددًا في سنة ١٢٦١م، وبحلول هذا الوقت كان الخليفة قد أصبح مجرد رمز لوحدة الدولة الإسلامية دينيًا، أما في الواقع فإن سلاطين المماليك المصريين كانوا هم الحكّام الفعليين للدولة. استمرت الخلافة العباسية قائمة حتى سنة ١٥١٩م، عندما اجتاحت الجيوش العثمانية بلاد الشام ومصر وفتحت مدنها وقلاعها، فتنازل آخر الخلفاء عن لقبه لسلطان آل عثمان سليم الأول، فأصبح العثمانيون خلفاء المسلمين، ونقلوا مركز العاصمة من القاهرة إلى القسطنطينية.

علاقة الدولة العباسية مع أوروبا

كان في عهد الرشيد شارلمان بن بابن وكان ملكًا على فرنسا واستولى على لمبارديا وقاد طوائف السكسون التي كانت في جرمانيا إلى الدين العيسوي بعد أن كانت وثنية واستولى على ألمانيا وإيطاليا وكان يرغب أن يكون له اسم كبير في الديار الشرقية لتكون درجته فوق درجة نقفور ملك القسطنطينية وكان يرغب أن يكون حاميًا للعيسويين في البلاد الإسلامية وخصوصًا زائري القدس، فأرسل إلى بغداد سفراء يستجلبون رضا هارون الرشيد وكان لشارلمان غرض من مصافاة الرشيد فوق ما تقدم وهو إضعاف الدولة الأموية بالأندلس، ففاز سفير شارلمان برضا الرشيد فسُر بذلك لأنه عده فوزًا على نقفور ولهذا لما قدم سفير الرشيد على شارلمان قابله بمزيد من الإكرام واستفاد شارلمان من ذلك التودد فائدتين: الأولى تمكنه من حرب الدولة الأموية بالأندلس وتداخله في مساعدة الخارجين عليها، والثانية نيله رضا الرشيد.

وقد أراد أيضًا أن يغتنم غنيمة علمية فإن أوروبا في ذلك الوقت كانت مهد جهالة لأنه بانقراض الرومانيين وغلبة الأمم المتبربرة على أوروبا انطفأ مصباح العلم أما الحال في البلاد الإسلامية فكانت على العكس من ذلك علمًا وعملاً سواء في ذلك بغداد وقرطبة، فسعى شارلمان في إصلاح قوانين دولته مقلدًا هارون الرشيد، وذهب إلى أوروبا أطباء تعلموا في البلاد الإسلامية وكانوا من اليهود فانتخب منهم شارلمان رجلاً يقال له إسحاق وأرسله إلى الرشيد مصحوبًا ببعض الهدايا، وبعد أربع سنوات عاد إسحاق مع ثلاثة من رجال الرشيد ومعهم هدايا وهي ساعة وراغنون وفيل وبعض أقمشة نفيسة، فلما نظرها رجال شارلمان ظنوها من الأمور السحرية وأوقعتهم في حيرة وهموا بكسر الساعة فمنعهم الإمبراطور، وفي ذلك التاريخ اتفقوا على أمور تتعلق بحماية المسيحيين الذين يتوجهون لزيارة القدس.

أما علاقة بغداد بقرطبة فكانت شر علاقة إذ أن الرشيد كان ينظر إلى بني أمية نظر الخارجين على دولته فكان يود محوهم، ولكن القوم كانوا أكبر من ذلك وأقوى، فقاوموا شارلمان مقاومة عظيمة ولم يتمكن أن يفعل بهم شرًا.

د- علاقات العرب في العصر الأندلسي

خلفية تاريخية:

نجح المسلمون في مدّ دولتهم إلى الأندلس، عندما عبر طارق بن زياد أحد قادة موسى ابن نصير والي الأمويين على إفريقية عام ٩٢هـ بجيش قوامه سبعة آلاف مقاتل، واستطاع هذا الجيش بعد أن أمده موسى بن نصير بخمسة آلاف أخرى أن يهزم ملك القوط الغربيين لذريق في معركة وادي لكة والسيطرة في غضون عامين على معظم شبه الجزيرة الأيبيرية، تحولت جيوش المسلمين شرقًا وتوغلت في بلاد الغال حتى وصلت إلى حدود مدينة ليون الحالية. استمرت محاولات المسلمين في التوسع في بلاد الغال في عهد الولاة السمح بن مالك الخولاني وعنبسة بن سحيم الكلبي وعبد الرحمن الغافقي، إلا أن تلك المحاولات حققت بعض النجاحات ثم توقفت التوسعات بعد هزيمة المسلمين في معركة بلاط الشهداء. بعد ذلك سادت فترة من عدم الاستقرار شهدت تعاقب الولاة والصراعات بين العرب المضرية والعرب اليمانية من جهة والعرب والأمازيغ من جهة أخرى.

تأسيس الدولة

بعد قيام الخلافة العباسية على أنقاض الخلافة الأموية، كان شغل العباسيون الشاغل هو القضاء على الأمويين، الذين لم يكن أمامهم سوى الفرار من بطش العباسيين بعد سقوط دولتهم. وكان ممن استطاع الفرار عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الذي فرّ إلى الأندلس، واستغل كراهية الأمازيغ ليوسف بن عبد الرحمن الفهري والي الأمويين على الأندلس الذي ميّز بينهم وبين العرب، والذي ما أن سقطت خلافة الأمويين، حتى أعلن استقلاله بالأندلس، إضافة إلى الخلافات بين القبائل اليمانية والمضرية، فاستعان بالأمازيغ والقبائل اليمانية على يوسف بن عبد الرحمن، وانتصر عليه في موقعة المصارة، ليؤسس بذلك إمارة أموية في قرطبة عام ١٣٨هـ/ ٧٥٦م. تعرض حكم عبد الرحمن بن معاوية للعديد من الثورات التي استطاع إخمادها الواحدة تلو الأخرى، والتي كان أخطرها ثورة العلاء بن مغيث الحضرمي بتحريض من الخليفة العباسي أبو

جعفر المنصور الذي كان يطمع في استعادة الأندلس، وكان ذلك سنة ١٤٧هـ/ ٧٦٤م في مدينة باجة أو باجة الزيت، وكادت أن تقضي عليه تلك الثورة عندما تحصن في قرمونة لمدة شهرين، تضغط عليه هجمات العلاء المتكررة والعنيفة، ولكنه ظل محتفظًا بأعصابه الفولاذية وحدة الرؤية. فقرر أخيرًا ساعة الحسم فإذا بالمدينة ينفتح بابها فجأة على سبعمائة رجل على رأسهم عبد الرحمن يندفعون بسرعة رهيبة ويمزقون الثوار كل ممزق ويقتلون العلاء الذي فر قريبًا من أشبيلية ومعه العديد من أصحابه. عمل عبد الرحمن الداخل بعد ذلك على توطيد أركان حكمه بتأسيس جيش قوي والاهتمام بالتعمير والتعليم والقضاء.

عصر القوة

بعد وفاة عبد الرحمن الداخل تعاقب خلفاؤه على الإمارة، واستطاعوا الحفاظ على الدولة بتوحيد أراضي الأندلس الإسلامية ومحاربة الممالك المسيحية في الشمال، حتى وصلت إلى أوجها في عهد عبد الرحمن الأوسط، الذي شهد عهده ازدهار حركات الآداب والعلوم والعمارة والفن وبلغت الأندلس مرحلة متقدمة من المدنية، فأصبحت الدولة الأموية في بلاد الأندلس مركزًا حضاريًا كبيرًا في غرب العالم الإسلامي، بل وتطورت عسكريًا، فاستطاعت صدّ الغزوات البحرية للنورمان على الموانئ الإسلامية في المحيط الأطلسي. تلى هذه المرحلة مرحلة اضطراب نتيجة تعرض الإمارة لثورات داخلية من المولدين والنصارى والأمازيغ وبعض القبائل العربية وهجمات خارجية من النورمان والممالك النصرانية في الشمال في محاولة استعادة الأراضي التي دخلت تحت الحكم الإسلامي في عهد الأمراء محمد بن عبد الرحمن وابنيه المنذر وعبد الله، وكان أخطرها ثورة ابن حفصون. لكن مع تولي عبد الرحمن الناصر لدين الله استعادت البلاد وحدتها السياسية وقوتها العسكرية بعد أن خاض حروبًا طويلة استطاع من خلالها استعادة السيطرة على البلاد. وفي عام ٣١٦هـ/ ٩٢٨م، أعلن الناصر نفسه خليفة للمسلمين في الأندلس، لتقوية مركزه الديني ليساعده ذلك على مواجهة الدولة الفاطمية في شمال إفريقية. ولمواجهة هذا الخطر حصّن الناصر الموانئ الجنوبية للأندلس، وضم موانئ المغرب المواجهة للأندلس في مليلة وسبتة وطنجة، إضافة إلى دعم الأمازيغ المعادين

للفاطميين في المغرب ماديًا وعسكريًا. كما استطاع التصدي لأطماع الممالك المسيحية في الشمال كمملكة قشتالة وليون ونافار.

عرفت البلاد أوجها الثقافي في عهد ابنه الحكم الذي استطاع أن يواصل سياسات أبيه، واستمر عصر ازدهار الدولة، إلا أنه خالف سياسة أبيه في الاعتماد على الحجّاب. بعد وفاته تولى ابنه هشام وهو دون العاشرة، فوضع تحت وصاية أمه صبح البشكنجية، فأصبح الأمر في يد الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي والمنصور بن أبي عامر رجل الدولة القوي الذي استطاع الانفراد بالحكم في ظل خلافة هشام بن الحكم، وحافظ على وحدة الأندلس تحت قبضته.

نهاية الدولة

بعد وفاة المنصور بن أبي عامر، خلفه ابنه عبد الملك في الحجابة وحافظ على الوحدة، غير أن في فترة سيطرة العامريين، ساد الأندلس تطور اجتماعي جديد بسيطرة الأمازيغ على المناصب القيادية في الجيش وكثرة عددهم واختفاء القيادة العربية من الجيوش. وبوفاة عبد الملك عام ٣٩٨هـ/ ١٠٠٨م، خلفه أخوه عبد الرحمن شانجول، والذي لم يكن بكفاءة أبيه وأخيه، ورغم ذلك فقد أقدم على فعل كان فيه بداية النهاية بإعلان نفسه وليًا لعهد الخليفة هشام المؤيد بالله، فتسبب ذلك مع سيطرة الأمازيغ على الجيش في ثورة أهل قرطبة بقيادة محمد بن هشام بن عبد الجبار، الذي استطاع خلع المؤيد بالله، لتدخل البلاد مرحلة من الاضطراب. مرت الأندلس بعد ذلك بفترة من عدم الاستقرار، مدفوعة برغبات الأمازيغ والعرب في السيطرة على الأمر، حتى أن علي بن حمود أحد ولاة الأمويين، أعلن نفسه خليفة عام ٤٠٧هـ/ ١٠١٦م، فدخلت الأندلس مرحلة من الحرب الأهلية، انتهت بإعلان مشايخ قرطبة سقوط الخلافة، وانقسامها إلى عدة ممالك عام ٤٢٢هـ/ ١٠٣١م.

٥- علاقات العرب في الإمبراطورية العثمانية

الدولة العثمانية (بالتركية العثمانية: دَوْلَتِ عَلِيّهٔ عُثْمَانِیّه؛ بالتركية الحديثة: Yüce Osmanlý Devleti) هي إمبراطورية إسلامية أسسها عثمان الأول بن أرطغرل،

واستمرت قائمة لما يقرب من ٦٠٠ سنة، وبالتحديد منذ ٢٧ يوليو سنة ١٢٩٩م حتى ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٣م.

بلغت الدولة العثمانية ذروة مجدها وقوتها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، فامتدت أراضيها لتشمل أنحاء واسعة من قارات العالم القديم الثلاثة: أوروبا وآسيا وإفريقيا، حيث خضعت لها كامل آسيا الصغرى وأجزاء كبيرة من جنوب شرق أوروبا، وغربي آسيا، وشمالي إفريقيا. وصل عدد الولايات العثمانية إلى ٢٩ ولاية، وكان للدولة سيادة اسمية على عدد من الدول والإمارات المجاورة في أوروبا، التي أضحى بعضها يُشكل جزءًا فعليًا من الدولة مع مرور الزمن، بينما حصل بعضها الآخر على نوع من الاستقلال الذاتي.

كان للدولة العثمانية سيادة على بضعة دول بعيدة كذلك الأمر، إما بحكم كونها دولاً عربية إسلامية تتبع شرعًا سلطان آل عثمان كونه يحمل لقب "أمير المؤمنين" و"خليفة المسلمين"، كما في حالة سلطنة آتشيه السومطرية التي أعلنت ولاءها للسلطان في سنة ١٥٦٥م، أو عن طريق استحواذها عليها لفترة مؤقتة، كما في حالة جزيرة "أنزاروت" في المحيط الأطلسي، والتي فتحها العثمانيون سنة ١٥٨٥م.

أضحت الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان الأول "القانوني" (حكم منذ عام ١٥٢٠م حتى عام ١٥٦٦م)، قوّة عظمى من الناحيتين السياسية والعسكرية، وأصبحت عاصمتها القسطنطينية تلعب دور صلة الوصل بين العالمين الأوروبي المسيحي والشرقي الإسلامي، وبعد انتهاء عهد السلطان سالف الذكر، الذي يُعتبر عصر الدولة العثمانية الذهبي، أصيبت الدولة بالضعف والتفسخ وأخذت تفقد ممتلكاتها شيئًا فشيئًا، على الرغم من أنها عرفت فترات من الانتعاش والإصلاح لكنها لم تكن كافية لإعادتها إلى وضعها الذهبي.

دور الانحلال وخاتمة الدولة (١٩٠٨م-١٩٢٢م)

كانت الأفكار القومية قد تغلغلت بشكل كبير في جسم الدولة العثمانية آواخر عهد

السلطان عبد الحميد الثاني، وأنشأ الداعون إلى هذه المفاهيم المؤسسات والجمعيات التي تحمل أفكارهم، وكان من أهم هذه الجمعيات جمعية تركيا الفتاة، التي تأسست في باريس وكان لها فروع أخرى في برلين، وفي أنحاء الدولة العثمانية في سالونيك والآستانة، واستطاعت أن تضع لها قدمًا في الجيش العثماني، وكان لها جناح عسكري عرف بتنظيم الاتحاد العثماني وكان لها جناح مدني هو الانتظام والترقي، واتفق الفريقان أن تكون جمعيتهم باسم "الاتحاد والترقي".

وامتد نفوذ الاتحاد والترقي في الدولة، فضم إليه الكثير من ضباط الفيلق الأول المسيطر على الآستانة، وكذلك الفيلقين الثاني والثالث المرابطين في الولايات العثمانية الباقية في أوروبا. وقد حاول السلطان عبد الحميد مقاومة هذه الجمعيات، فنادى وتمسّك بفكرة الجامعة الإسلامية، لكنه فشل أمامهم، خصوصًا بعد أن سيطروا على أكثر الجيش. فرض الاتحاديون على السلطان إعلان دستور جديد للبلاد يخلف الدستور الأول أو "القانون الأساسي" الذي أعلنه سنة ١٨٧٦م، فذعن لمطلبهم وأعلن الدستور، فسيطر الاتحاديون على معظم مقاعد المجالس النيابية، ووجدوا أن السلطان سيكون عائقًا في تحقيق أهدافهم، فعزلوه وولوا أخاه محمد الخامس مكانه.

تولّى محمد "رشاد" الخامس العرش والدولة في احتضار، ولكنها كانت ما تزال متماسكة، وأصبح الاتحاديون هم الحكام الفعليين للبلاد، أما السلطان فكان مجرّد ألعوبة في أيديهم، وفي ذلك الوقت كانت الدولة قد أضاعت كثيرًا من بلادها في أوروبا، والأفكار القومية تنتشر يومًا بعد يوم، والبلاد في حالة إفلاس بسبب الحروب المتواصلة، والأوروبيون قد تسلطوا على مالية الدولة لاستيفاء ما لهم عليها من ديون.

وفي نفس السنة لاعتلاء محمد رشاد العرش، سيطرت الإمبراطورية النمساوية المجرية على البوسنة والهرسك، وبعد ثلاث سنوات هاجمت إيطاليا ليبيا، آخر الممتلكات العثمانية الفعلية في شمال إفريقيا، فقاومها العثمانيون بكل طاقتهم، لكنهم لم يستطيعوا شيئًا، فسقطت البلاد بعد سنة من المعارك الشديدة. ثم جاءت حرب البلقان الأولى التي تولّى كبرها كل من مملكة صربيا ومملكة الجبل الأسود ومملكة اليونان ومملكة بلغاريا، وفقدت

فيها الدولة العثمانية ما تبقى لها من ممتلكات في البلقان عدا تراقيا الشرقية ومدينة أدرنة، وانسحب نحو ٤٠٠،٠٠٠ مسلم من سكّان تلك البلاد إلى تركيا خوفًا مما قد تُقدم عليه جنود العدو. وفي تلك الفترة ظهرت النزعة التركية الطورانية بقوة وعنف، وسعى حزب الاتحاد والترقي إلى تتريك الشعوب غير التركية المشتركة مع الأتراك في العيش تحت ظل الدولة العثمانية، مثل العرب والشركس والأكراد والأرمن. وفي سنة ١٩١٣م عقد الوطنيون العرب مؤتمرًا في باريس، واتخذوا مقررات أكدوا فيها رغبة العرب في الاحتفاظ بوحدة الدولة العثمانية بشرط أن تعترف الحكومة بحقوقهم، كون العرب أكبر الشركاء في الدولة، وطالب هؤلاء أن تُحكم الأراضي العربية حكمًا ذاتيًا وفق نظام اللامركزية، وقد وعد الاتحاديون الزعماء العرب الأحرار بقبول مطالبهم، لكن ذلك لم يتحقق بفعل نشوب الحرب العالمية الأولى.

نهاية الدولة العثمانية

انتهت الدولة العثمانية بصفتها السياسية بتاريخ ١ نوفمبر سنة ١٩٢٢م، وأزيلت بوصفها دولة قائمة بحكم القانون في ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٣م، بعد توقيعها على معاهدة لوزان، وزالت نهائيًا في ٢٩ أكتوبر من نفس السنة عند قيام الجمهورية التركية، التي تعتبر حاليًا الوريث الشرعي للدولة العثمانية.

و- علاقات العرب في عهد الاستعمار

سقوط الإمبراطورية العثمانية وتقسيم ممتلكاتها وأراضيها كمستعمرات بين الدول الغربية (بريطانيا- فرنسا – إيطاليا – إسبانيا).

علاقات العرب في هذه الفترة كانت علاقات شعوب بمستعمريها وكانت غير حقيقية وكان الاستعمار الغربي سببًا رئيسيًا لتسليم فلسطين لليهود بوعد بلفور ١٩١٧م والتي سلمها لهم الإنجليز.

مع استمرار الاستعمار للمنطقة العربية ظهرت الحركات العربية كالقومية العربية والحركات الإسلامية والإصلاحية وكلها لم يكن الإسلام بعيدًا عنها رغم عدم توحدها تحت راية واحدة، مما مكن الاستعمار الغربي القضاء عليها في مهدها، نشطت بعد ذلك

وجاءت الحرب العالمية الثانية والوعد بمنح الشعوب العربية استقلالها مقابل مشاركتها في الحربين العالميتين، انتهت هذه المرحلة بخروج الاستعمار مخلفة وراءها الاستعمار السياسي الغربي الثقيل اقتصاديًا وثقافيًا.

ز- عصر الثورات العربية والانقلابات العسكرية

شكل قيام الدولة الإسرائيلية في فلسطين عام ١٩٤٨م تحديًا أساسيًا أمام الشعوب العربية حيث نشطت القوى السياسية المختلفة في العالم العربي ورفعت رايات متعددة ومختلفة منها رايات العروبة والوحدة العربية ورايات اليسار والتحالف مع الاتحاد السوفيتي، بل تبني الفكر الشيوعي باعتباره الفكر الذي تنطلق منه حركات التحرر ومحاربة إسرائيل وكذلك رايات الإسلام، وخاصة ما أطلق عليه الإسلام السياسي، حيث نشطت الجمعيات الإسلامية الداعية إلى الجهاد لتحرير فلسطين، ومن هذه الحركات المهمة حركة الإخوان المسلمين في مصر (بدايتها مع الإمام حسن البنا وحاربها عبد الناصر وظلت صامدة حتى ظهور الربيع العربي) استفادت القوى العروبية واليسارية العربية من علاقاتها الدولية خاصة مع اليسار وعلى رأسه الاتحاد السوفيتي والمعسكر الشرقي وحلف وارسو الذي كان لديه سياسة التمدد في العالم لمواجهة حلف الأطلسي الذي تقوده أمريكا وأوروبا الغربية، فتمكنت من تنفيذ عدد من الانقلابات العسكرية كوسيلة هامة جدًا للوصول إلى الحكم لمواجهة الغرب باعتبار أنه الداعم الأكبر لإسرائيل (نذكر من هذه الثورات التي حظيت بتأييد حلف وارسو ثورة ٢٣/ يوليو التي قضت على الملكية في مصر، وثورة عبد الرحمن عارف في العراق، وثورات اليمن وسوريا وثورة ٢٥ مايو في السودان بقيادة جعفر محمد نميري، وثورة الفاتح من سبتمبر الليبية بقيادة معمر القذافي) بل والثورة الفلسطينية نفسها بقيادة ياسر عرفات رغم أنها قامت على مرتكزات الجهاد لتحرير الأرض لكنها انحازت إلى وارسو باعتباره حلفًا داعمًا للقضية الفلسطينية.

تحليل

تميز هذا العصر بانتشار حركات القومية العربية وانتشار الاشتراكية واستخدام قضية فلسطين كوسيلة للوصول إلى الحكم والبقاء فيه وضرب التيارات الأخرى وكان

شعارهم "أن لا صوت يعلو على صوت المعركة" من أهم أسباب ضعف هذا العصر هو انقسام الدول العربية إلى معسكرين، معسكر الملكيات والذي كانت تمثله في الأساس دول الخليج وعلى رأسها المملكة العربية السعودية والمملكة المغربية في شمال إفريقيا والمملكة الأردنية الهاشمية ومعسكر الجمهوريات والذي ساد في معظم الدول العربية وعلى رأسها مصر وسوريا والجزائر والعراق ونشأ نتيجة لذلك معسكران، المعسكر الشرقي وعماده الجمهوريات كمصر وسوريا والعراق والجزائر، والمعسكر الغربي وعلى رأسه السعودية والمغرب والأردن، هذه الخلافات في الرايات ما بين ثورية ورجعية وفي التحالفات ما بين حلف وارسو (الشرقية) وحلف الأطلسي (الكتلة الغربية) والبعد عن الالتزام بإنزال الإسلام والوحدة تحت راياته. هذه من أهم أسباب الضعف في هذا العصر الذي قاد إلى الهزائم المتكررة من العدو إسرائيل وعلى رأسها هزيمة يونيو حزيران ١٩٦٧م.

ح- عصر ما بين حزيران وانفجار ثورات الربيع العربي

هزيمة يونيو (حزيران) ١٩٦٧م شكلت ضربة قوية على دعاة القومية العربية والتيارات اليسارية والليبرالية وأصيبت على أثرها الأمة العربية بإحباط شديد وصل إلى درجة اليأس فلا شعارات الوحدة العربية ولا التحالف مع الاتحاد السوفيتي قادتها إلى الانتصار على إسرائيل بل كانتا في نظر الكثيرين من أسباب هزيمة يونيو حزيران ١٩٦٧م.

في أجواء الهزيمة هذه نشطت التيارات الإسلامية في الوطن العربي وربطت بين الهزيمة والابتعاد عن الإسلام ورفعت شعار الإسلام كعنصر وحيد وأساسي للوحدة العربية ورفعت شعار إسلامية قضية فلسطين وأن تحريرها هو مسؤولية الدول والشعوب الإسلامية باعتبارها قضية الإسلام الأولى وأن هذا لن يتأتى إلا بالعودة إلى الإسلام والجهاد وتحت راياته لتحرير فلسطين ومقاومة الهيمنة الغربية الحديثة على العالم الإسلامي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية التيارات الإسلامية اتخذت مسارات مختلفة في مقاومتها للهيمنة الغربية على المنطقة واحتلال دولة إسرائيل لفلسطين البعض رأى أن

الخطوة الأولى تبدأ بعملية الإصلاح في العالم العربي بتعزيز الديمقراطية وحقوق الإنسان وإزالة الأنظمة الفاسدة والمستبدة كمرحلة أولى لمواجهة إسرائيل وحلفائها من الغرب، والبعض الآخر ذهب مباشرة إلى مقارعة القوى الغربية باستخدام كل الأساليب، ومن هذه خرجت تنظيمات القاعدة وغيرها من التنظيمات التي آمنت باستخدام العنف لمواجهة الهيمنة الغربية في المنطقة، لكن التيار الغالب كان هو التيار الإصلاحي الذي تغلغل في أوساط الشعوب العربية وظل يرفع رايات التغيير والإصلاح بمرجعية إسلامية، واجه الحكام العرب التيارات الإسلامية بكل قوة مستخدمين في ذلك كل أساليب الكبت والقتل والإرهاب مستعينين في ذلك بالأنظمة الغربية والإسرائيليين باعتبار التيارات الإسلامية مهددة للمصالح الغربية والوجود الغربي (كحركة النهضة الإسلامية في تونس) حركة الإخوان المسلمين في مصر (الحركة الإسلامية في ليبيا) ولم تنجح في إيقاف المد الإسلامي، الأمر الذي جعل هذه التيارات تأتي في مقدمة القوى التي قادت ثورات الربيع العربي.

الفصل الرابع
ثورات الربيع العربي

تقديم:

في العامين المنصرمين شهدت الساحة العربية أحداث عاصفة على الصعيد السياسي مما أفرز ظاهرة حديثة وهي ما يعرف بالربيع العربي والذي جاء نتاجًا لتحرك الشارع العربي في شكل ثورات شعبية عاصفة وقوية ومباغتة، ولم تشهد لها الساحة العربية مثيلاً في الماضي القريب ولعقود خلت، لتخلق تيارًا تغييريًا حديثًا لتلطم به وجه الديكتاتورية والجبروت، فكان المبتدأ من تونس الخضراء بثورة البوعزيزي ومن ثم انتقلت الثورة إلى ميدان التحرير بمصر ومنها إلى أحرار ليبيا ومنها إلى اليمن وسوريا في انتقال سريع عمل على اقتلاع الحكومات القائمة في أغلب هذه البلدان بصوت الشعب الحر، ونجد أن هناك عدة عوامل قادت إلى التغيير في البلدان العربية نجملها في نقطتين رئيسيتين وهما:

البيئة السياسية في مجتمعات الربيع العربي قبل قيام الثورات:

فلو نظرنا إلى الحالة السياسية في دول الربيع العربي قبل اندلاع الثورات لوجدنا أن الظروف كانت مواتية، وقد توفرت كل المحفزات لتحريك الشارع العربي من ظلم واستبداد وامتهان وذل، فكانت الثورة وكان التغيير والشعب العربي من الخليج إلى المحيط ينشد الإصلاح والحرية والشفافية والعدل من أمة عربية إسلامية معافاة وآمنة.

طبيعة القوى الحاكمة الجديدة التي أتت بها هذه الثورات إلى الحكم في بلدان الربيع العربي:

لقد وضح منذ الوهلة الأولى الانتماء الإسلامي لهذه الثورات وذلك من خلال الشعارات المرفوعة مع ملاحظة انطلاق هذه الثورات من المساجد وفي أيام الجمع

(جمعة الغضب، جمعة التحرير، جمعة الكرامة... إلخ)، إلا أن ما يحمد لهذه الجماعات الثورية انتماؤها إلى التيار الإسلامي المعتدل ونجد أن هذه النخب الحديثة لها مفهوم شامل للشفافية والاعتدال والوسطية في التعاطي مع الشأن العام من غير تشنج أو تعصب وذلك من أجل الوصول إلى التغيير الأمثل الذي يتناسب مع شعوب المنطقة (سياسةً واقتصادًا وفكرًا وتوجهًا) بالكيف الذي يحقق الرضا والكرامة لهذه الشعوب.

إضافة إلى وجود العمق الشعبي الراشد، والذي يتمتع بوعيٍ سياسي عالٍ وما له من رؤية أيدولوجية معتدلة بعيدًا عن التعصب الأعمى مع الطبيعة المطلبية لدى هذه الثورات الشعبية.

فحادثة إشعال المواطن التونسي محمد بو عزيزي النار في نفسه في ديسمبر ٢٠١٠م شكلت الشرارة الأولى للاحتجاجات والاضطرابات التي امتدت لتشمل معظم مجمعات الشرق الأوسط، أطلق عليها البعض ضمن مسميات أخرى (الصحوة الإسلامية، الصحوة العربية) الربيع العربي لبداياتها في فصل الربيع.

هذه الظاهرة (الربيع العربي) تتميز بعدة خصائص منها أنها حالة ثورة لم تكتمل بعد، فهي لم تقض تمامًا على الأنظمة التي فقدت رأسها وبقيت جذورها ومن خصائصها أيضًا أنها تأخذ وجوهًا متعددة ولذلك تختلف مخرجاتها ونتائجها من دولة إلى أخرى.

ومن خصائصها استخدامها للمؤسسات الدينية (المساجد) والميادين العامة وأنها ثورات شبابية وأغلب قياداتها تنتمي إلى الطبقة المتوسطة.

الربيع العربي وسحب البساط من الفوضى الخلاقة

أولاً: الفوضى الخلاقة مرجعيتها ومراميها

ماهية الفوضى الخلاقة

هو مصطلح سياسي عقدي يقصد به حالة سياسية أو إنسانية مريحة بعد مرحلة فوضى متعمدة ورغم أن هذا المصطلح موجود في الماسونية القديمة وأشار إليه الباحث والكاتب الصحفي الأمريكي دان براون لكنه لم يطفُ على السطح إلا بعد الغزو الأمريكي للعراق في عهد الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش وفي تصريح

لوزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس والذي أدلت به إلى صحيفة واشنطن بوست الأمريكية في شهر نيسان 2005م حين انتشرت فرق الموت والأعمال التخريبية التي اتهمت بأنها مسيسة من قبل الجيش الأمريكي وبعض الميليشيات المسلحة التي تؤمن بأن الخلاص لدى ظهور المهدي المنتظر والذي سوف يظهر بعد حالة من الفوضى وانعدام الأمن والنظام والفوضى الخلاقة بنظر الأمريكي صموئيل هنتجتون هي فجوة الاستقرار. وعبر عنها بقوله: هي الفجوة التي يشعر بها المواطن بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون، فتنعكس بضيقها أو اتساعها على الاستقرار بشكل أو بآخر. فاتساعها يولد إحباطًا ونقمة في أوساط المجتمع، مما يعمل على زعزعة الاستقرار السياسي، لا سيما إذا ما انعدمت الحرية الاجتماعية والاقتصادية، وافتقدت مؤسسات النظام القابلية والقدرة على التكيف الإيجابي، فتتحول مشاعر الناس في أي لحظة إلى مطالب ليست سهلة للوهلة الأولى، وأحيانًا غير متوقعة، مما يفرض على مؤسسات النظام ضرورة التكيف من خلال الإصلاح السياسي، وتوسيع المشاركة السياسية، واستيعاب تلك المطالب. أما إذا كانت تلك المؤسسات محكومة بالنظرة الأحادية فإنه سيكون من الصعب الاستجابة لأي مطالب، إلا بالمزيد من الفوضى والتي ستقود في نهاية الأمر إلى استبدال قواعد اللعبة واللاعبين. والأمريكي مايكل ليدين صاغ مفهوم "الفوضى الخلاقة" أو "الفوضى البنَّاءة" أو"التدمير البنَّاء" في معناه السياسي الحالي عام 2003م، تحت مسمى مشروع التغيير الكامل في الشرق الأوسط. وارتكز المشروع على منظومة من الإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الشاملة لكل دول المنطقة، وفقًا لاستراتيجية جديدة تقوم على أساس الهدم ثم إعادة البناء. وطور المحاضر الأمريكي توماس بارنيت في وزارة الدفاع الأمريكية نظرية الفوضى الخلاقة، فقسَّم العالم إلى: القلب أو المركز أمريكا وحلفاؤها، ودول العالم الأخرى هي دول "الفجوة" أو"الثقب" والتي تشبه ثقب الأوزون الذي لم يكن ظاهرًا قبل أحداث 11 سبتمبر. ودول الثقب هذه هي الدول المصابة بالحكم الاستبدادي، والأمراض والفقر المنتشر، والقتل الجماعي، والنزاعات المزمنة، وهذه الدول تصبح

بمثابة مزارع لتفريخ الجيل القادم من الإرهابيين، وبالتالي فإن على دول القلب العمل على انكماش الثقب من داخله، فالعلاقات الدبلوماسية مع دول الشرق الأوسط لم تعد مجدية لأن الأنظمة العربية بعد سقوط العراق لم تعد تهدد أمن أمريكا، وأن التهديدات الحقيقية تكمن وتتسع داخل الدول ذاتها، بفعل العلاقة غير السوية بين الحكام والمحكومين. فبالفوضى البنَّاءة ستصل دول الثقب إلى الدرجة التي يصبح فيها من الضروري تدخل قوة خارجية للسيطرة على الوضع وإعادة بنائه من الداخل، على نحو يعجِّل من انكماش الثقوب وليس مجرد احتوائها من الخارج، والولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة التي يمكنها التدخل والسيطرة على الأوضاع في دول الثقب.

مدارس الفوضى الخلاقة

الفوضى الخلاقة أيدولوجيا أمريكية لها مدرستين:

الأولى: مدرسة فرانسيس فوكوياما بكتابه نهاية التاريخ

والتي قسم فيها العالم إلى عالم تاريخي غارق في الاضطرابات والحروب، وهو العالم الذي لم يلتحق بالنموذج الديمقراطي الأمريكي. وعالم ما بعد التاريخي وهو الديمقراطي الليبرالي وفق الطريقة الأمريكية. ويرى أن عوامل القومية والدين والبنية الاجتماعية أهم معوقات الديمقراطية.

الثانية: مدرسة صمويل هنتنجتون في مؤلفه صراع الحضارات

حيث يعتبر أن مصدر النزاعات والانقسامات في العالم سيكون حضاريًا وثقافيًا، والخطوط الفاصلة بين الحضارات ستكون هي خطوط المعارك في المستقبل. ورغم تناقض المدرستين، فإنهما تتفقان على ضرورة بناء نظام عالمي جديد تقوده الولايات المتحدة، إضافة إلى معاداة الحضارة الإسلامية باعتبارها نقيضًا ثقافيًا وقِيَميًا للحضارة الغربية. والمتتبع لهذا المصطلح يجده في بروتوكولات صهيون وفي مؤلفات بعض الكتاب. ففي بروتوكولات صهيون نجد هذا النص: (كنا قديمًا أول من صاح في الناس "الحرية والمساواة والإخاء" كلمات ما انفكت ترددها منذ ذلك الحين ببغاوات جاهلة متجمهرة من كل مكان حول هذه الشعائر، وقد حرمت بترديدها العالم من

نجاحه، وحرمت الفرد من حريته الشخصية الحقيقية التي كانت من قبل في حمى يحفظها من أن يخنقها السفلة. إن أدعياء الحكمة والذكاء من الأمميين - غير اليهود - لم يتبينوا كيف كانت عواقب الكلمات التي يلوكونها، ولم يلاحظوا كيف يقل الاتفاق بين بعضها، وقد يناقض بعضها بعضًا. ولم يروا أنه لا مساواة في الطبيعة، وأن الطبيعة قد خلقت أنماطًا غير متساوية في العقل والشخصية والأخلاق والطاقة. وفي البروتوكول العاشر ورد هذا النص: يصرخ الناس الذين مزقتهم الخلافات وتعذبوا تحت إفلاس حكامهم هاتفين: اخلعوهم، وأعطونا حاكمًا عالميًا واحدًا يستطيع أن يوحدنا، ويمحق كل أسباب الخلاف، وهي الحدود والقوميات والأديان والديون ونحوها. حاكمًا يستطيع أن يمنحنا السلام والراحة اللذين لا يمكن أن يوجدا في ظل حكومة رؤسائنا وملوكنا وممثلينا. وهذا الحاكم ما هو إلا نبي بني إسرائيل المنتظر. والذي أخبر عنه النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأنه المسيح الدجال. والباحث الأمريكي دان براون نسب إلى الأب ديف فليمنج بكنيسة المجتمع المسيحي بمدينة بتيسبرج بنسلفانيا قوله: الإنجيل يؤكد لنا أن الكون خلق من فوضى، وأن الرب قد اختار الفوضى ليخلق منها الكون، وعلى الرغم من عدم معرفتنا لكيفية هذا الأمر، لكننا متيقنون أن الفوضى كانت خطوة مهمة في عملية الخلق. ومؤسس المذهب الجديد في علم العلاج النفسي مارتن كروزر. يقول: الفوضى هي أحد العوامل المهمة في التدريب والعلاج النفسي، فعند الوصول بالنفس إلى حافة الفوضى يفقد الإنسان جميع ضوابطه وقوانينه، وعندها من الممكن أن تحدث المعجزات، فيصبح قادرًا على خلق هوية جديدة، بقيم مبتكرة ومفاهيم حديثة، تساعده على تطوير البيئة المحيطة به. وآدم وايزهاوت قال: إن خلق فوضى عارمة وعنف وإراقة دماء بمستوى عالمي لخلق حالة من الرعب والخوف العالمي يوحد جميع البشر على الأرض في نظام عالمي جديد. نظام من رحم الفوضى لا يعترف بدين ولا قومية ولا حدود نظام عالمي إلحادي دنيوي. وبنظر هؤلاء فإنه بعد هذه الفوضى التي تهدم البنى الفوقية والتحتية، يتم إعادة البناء من قبل البنائين الأحرار. وتمثل كتابات إليوت كوهين أحد المصادر المهمة لنظرية الفوضى الخلاقة وخصوصًا كتابه القيادة العليا، الجيش ورجال الدولة والزعامة في زمن الحرب. ويرى

كوهين أن الحملة على الإرهاب هي الحرب العالمية الرابعة باعتبار أن الحرب الباردة هي الثالثة، ويؤكد بأن على الولايات المتحدة أن تنتصر في الحرب على الإسلام الأصولي. والمنشق السوفييتي المهاجر إلى إسرائيل ناتان شارانسكي الذي شغل منصبًا وزاريًا في حكومة شارون مؤلف كتاب قضية الديمقراطية وجاء فيه هذا النص: الإسلام حركة إرهابية لا تهدد إسرائيل فقط وإنما العالم الغربي بأكمله... واستئصال الإرهاب لا يتم باستخدام القوة وتجفيف المنابع فقط وإنما بمعالجة الأسباب العميقة للإرهاب التي تنبع من سياسات الأنظمة العربية الاستبدادية والفاسدة وثقافة الكراهية التي تنشرها. ويتفق شارانسكي بهذا الطرح مع أطروحة هنتنجتون التي تنص على أن الإسلام عدو حضاري للغرب. وأطروحة التدمير الخلاق لصاحبها شامبيتر، والتي يقول فيها عن الرأسمالية: ليس التقدم بالرأسمالية هو الذي يفرز الجديد، بل إن إزاحته التامة هي التي تقوم بذلك. والذي يتمترس وراء الإزاحة إياها إنما هو المقاول المبدع الذي يثوي خلف السلعة الجديدة والمزج الإنتاجي الجديد والسوق الجديدة ومصادر الطاقة الجديدة... هو نظام تقدمي بالتأكيد حتى وإن بدا ظاهريًا غير مرغوب فيه. ويتابع موضحًا: إن المنافسة الهدامة... هي أيضًا تدمير هدام يساهم في خلق ثورة داخل البنية الاقتصادية عبر التقويض المستمر للعناصر الشائخة والخلق المستمر للعناصر الجديدة. وهذه الأطروحة طوعتها الإدارات الأمريكية لتغدو عقيدة يسترشد بها ساستها ومفكروها والمحافظون الجدد في علاقة الولايات المتحدة بالوطن العربي بداية هذا القرن.

والسيدة كونداليزا رايس مستشارة الأمن القومي أطلت علينا عام 2005م لتزف لنا البشرى بأن إدارتها اعتمدت الفوضى الخلاقة لإقامة شرق أوسطي جديد تزهر في ربوعه قيم الديمقراطية في العالم العربي وتتحرر فيه المرأة لأنها تمثل نصف المجتمع. وأن إدارتها أوكلت مهمة تنفيذ هذا المشروع إلى أصغر مستشاريها، وهو الصهيوني واليهودي جاريد كوهين مؤسس منظمة موفمنتس لتدريب وجمع النشطاء حول العالم،

والعضو في برنامج جيل جديد التابع لمنظمة فريدوم هاوس، ومدير الأفكار في شركة جوجل. والولايات المتحدة الأميركية التي هزمت في العراق وأفغانستان. باتت تشعر بأن مصالحها وحاضر ومستقبل حليفتها الاستراتيجية إسرائيل في أعلى درجات الخطر، ولا قدرة لها على فعل شيء في الوقت الحاضر سوى كسب الوقت. وأن الفوضى الخلاقة أو الفوضى البنَّاءة أو التدمير البنَّاء كما يسميها البعض (وهو مصطلح ماسوني) هي المسكِّن لأوجاعها، وحتى أنها القشة التي ستنقذها من الغرق، وتوصلها وإسرائيل إلى بر الأمان، وتحقق لها أهدافًا عدة، وحتى صيد أكثر من عصفورين بحجر.

هل فوتت ثورات الربيع العربي الفرصة على الفوضى الخلاقة؟

نعم بلا شك، فثورات الربيع العربي جاءت بعيدة كل البعد عن الفوضى الخلاقة، فقد كان لثورات الربيع العربي أسلوبها الخاص المستقل عن كل الإملاءت الدولية التي تفرض عادة على ثوار العالم في لهاث غربي لاحتواء أي تغيير وادعاء رعايته ونسبه إلى القوى الغربية وما يعرف بالنظام العالمي الجديد، لكن الجدية الواضحة ودقة التنظيم والتنسيق الفعال لقوى هذه الثورات أغلق الباب أمام أي ادعاء غربي بالمساندة والتوجيه فجاءت هذه الثورات شعبية إسلامية خالصة، وكان في ذلك رسالة قوية للغرب مفادها أن هذه الشعوب قادرة على التغيير ومؤهلة لقيادة بلدانها إذا ما ابتعدت القوى الغربية عن حشر أنفها في كل ما يخص العالمين الإسلامي والعربي، بل رفعت هذه القوى العربية الثائرة شعارات قوية في هذا الصدد إذ أرسلت رسالة واضحة إلى المجتمع الدولي للوقوف بعيدًا عن الشرق الأوسط باعتبار أن ما يحدث فيه شأن داخلي خالص، وكذلك رسالة أخرى فحواها (عدم التبعية والخضوع والتذلل للغرب بعد ثورات الربيع العربي)، وبذلك يتضح لنا أن العالم العربي لا يحتاج إلى الفوضى الخلاقة لتصحيح مساره وتقويم اعوجاجه وإنما يحتاج إلى مساحة من الحرية والخصوصية بعيدًا عن التطفل الغربي الذي ما ينفك يختلق الأعذار للتدخل في الشؤون العربية والإسلامية تارة بدعوى محاربة الإرهاب والذي جاء أصلاً كرد فعل للسياسات الغربية ضد المجتمعين العربي والإسلامي وتارة بدعوى تهديد الأمن والسلم الدوليين وتارة أمن إسرائيل وأخرى بدعوى مساعدة

الشرق الأوسط وصياغته بصورة جديدة (مشروع الشرق الأوسط الجديد)، فالشعارات الماسونية والكنسية الغربية لا ولن تصلح للتطبيق على العالمين الإسلامي والعربي فهذه الشعارات الفوضوية لا تصلح إلا للشعوب الفوضوية. وهذا لا ينطبق على العالمين العربي والإسلامي وشعوبها وذلك لأن الشعوب العربية والإسلامية ترتكز على إرث معرفي وأخلاقي سامي فهذه البقعة من العالم هي مهبط الوحي السماوي ومنطلق الحضارات الإنسانية العظيمة، فكيف لها أن تتلقى الهداية ممن وهبتهم طريق الهداية؟! وكيف تتلقى النصح ممن أهدتهم سبل المعرفة والعلم؟! وكيف تنزع للفوضى وهي التي علمت الفوضويون في كل أنحاء المعمورة؟! كيف وهي أمة مستنيرة بنور الإسلام وهديه؟! كيف وهي ترقد على رصيد ضخم من تراكمات الإرث الحضاري الإنساني المجيد؟!

الأسباب المحركة لثورات الربيع العربي: (ثلاثية الاستبداد والفساد والتبعية).

إن غياب حكم القانون وافتقاد آليات تنفيذ القانون والاستبداد والفساد الذي كان موجودًا في دول الربيع العربي إضافة إلى هيمنة السلطات التنفيذية على السلطات التشريعية والقضائية من الأسباب الرئيسية وراء ثورات الربيع العربي.. فمن الضرورة فصل السلطات الثلاث والاتجاه نحو الديمقراطية ليقتنع الناس بأن هناك حكومات تعبر عن آرائهم.

فلو نظرنا إلى الحالة السياسية في دول الربيع العربي قبل اندلاع الثورات لوجدنا أن الظروف كانت مواتية، وقد توفرت المحفزات لتحرك الشارع العربي والتي نوردها في الآتي:

- الديكتاتورية والاستبداد والظلم.
- اتباع الأساليب القمعية في حكم هذه الشعوب.
- هيمنة السلطات التنفيذية على السلطات التشريعية والقضائية.
- ضيق هامش الحريات الممنوحة.
- اتساع الهوة بين الحكام والمحكومين.

- التبعية المذلة والانقياد الأعمى للغرب.
- انفراد فئة قليلة بحكم هذه الشعوب ولعقود من الأزمان.
- ملاحقة الإسلاميين وتضييق الخناق عليهم، (اغتيالات القيادات الإسلامية وتعذيب المنتسبين إليها).
- العمل على توريث الحكم بالالتفاف على القوانين والدساتير.
- الفساد بشقيه المالي والإداري.
- تحالف أصحاب المال وأصحاب السلطة للسيطرة على البلاد سياسيًا واقتصاديًا.
- غياب الديمقراطية وعدم السماح بقيام أي انتخابات وتزويرها إن وجدت.
- عدم القبول بمبدأي الاختلاف والمناصحة.
- تنامي الرغبة في التغيير وسط الشعوب العربية.
- ظهور تيارات إسلامية معتدلة في العالم الإسلامي.
- وفرة وتطور وسائط الاتصال.
- ارتفاع الوعي وسط الأجيال الحديثة.

هذه الأسباب مجتمعة كانت بمثابة الوقود المحرك لثورات الربيع العربي في دول أصبح الإنسان فيها أرخص سلعة، وأضحى الحكم وتوزيع الكراسي غاية أسمى من العدل والحرية والإصلاح.

القوى المحركة لثورات الربيع العربي

لنجاح أي ثورة لا بد لها من طاقات وقوى محركة تتوفر فيها صفات محددة من أجل الوصول بهذه الثورات إلى غاياتها المنشودة، فثورات الربيع العربي كان من أسباب نجاحها توفر هذه القوى المؤثرة والمتمثلة في فئات الشباب والطبقات الفقيرة من الفلاحين والعمال والعاطلين عن العمل وكذلك القوى العقائدية لما لها من مرجعية دينية تلهب النفوس وتحرك الوجدان وما لها من مقدرة على القيادة والتوجيه استنادًا إلى شعارات دينية وأخلاقية ذات أثر عميق. فلنلق الضوء على هذه القوى المحركة كل على حدة:

أولاً: الشباب

نظرًا إلى الدور البارز للشباب فى رسم ملامح الربيع العربي، خصوصًا بعد الحركات الثورية التى قام بها لتغيير الأنظمة الفاسدة، وبعد نجاح الشباب في قيادة ثورات الربيع العربي طالبت العديد من الأوساط بتحول تأثيرًا لشباب من العمل السياسي إلى العمل الاقتصادي من خلال دعم مسيرة التنمية المستدامة بمفهومها الشمولي التكاملي، وذلك لاعتبارات بشرية واقتصادية وتنموية متنوعة. للشباب أهمية بالغة كقطاع عريض واسع ضمن التركيبة السكانية للمجتمعات العربية والإسلامية. مؤكدين المسؤولية الملقاة على كاهلهم ودورهم الريادي في قيادة مسيرة البناء والإنماء باعتبارهم مشروعًا وطنيًا وقوميًا للوطن والأمة والقاعدة العريضة والمحرك الأساسي للأحداث، ومن خلالهم ستتحدد ملامح الحاضر والمستقبل، باعتبارهم طاقة خلاقة متفوقة ستقود مجتمع المستقبل، وقد قال عنهم المصطفى صلوات الله وسلامه عليه "نصرني الشباب حين خذلني الشيوخ" فهناك اتفاق على أن الشباب وإن ضعفت خبراتهم وقلت مداركهم يبقون هم القوى الدافعة للثورات وهم ماكينة التغيير والإعمار والتطور لكل الأمم لنشاطهم ومقدراتهم العالية على صناعة الأحداث وتحريكها تحت إمرة وقيادة قوى رشيدة وذات خبرات أكثر، فهم رضينا أم أبينا عصب التغيير السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي للأمم بما لديهم من طاقات جبارة وروح خلاقة ومبتكرة للوصول إلى غايات ترضي طموحاتهم التي ليس لها حدود وطموحات شعوبهم المغلوب على أمرها، فهم خط الدفاع الأول عن مكتسبات الأمم وهم مطية الشعوب للوصول إلى أسمى الغايات فهذه الشريحة استطاعت أن تكسر حاجز الخوف والاستسلام والخنوع والركوع، فروح الشباب هي روح مغامرة تواقة إلى التحدي وكسر الأغلال والقيود وتفجير روح البناء والتعمير وتغيير الواقع المعاش ومرارته إلى غد مشرق تتمناه وتعمل له كي تكون بلادهم وأممهم في مصاف بلاد العالم وأممه.

ثانيًا: الطبقة الفقيرة:

من الملاحظ أن هذه الطبقة هي الطبقة الأكبر في بلدان الربيع العربي كمصر وتونس

واليمن وسوريا ويختلف الحجم والحالة المادية لهذه الطبقة من دولة عربية أخرى رغم تشابه خصائصها الثقافية والفكرية والسياسية والاجتماعية، وذلك بسبب اختلاف الوضع الاقتصادي في كل دولة، خصوصًا ما يتعلق بالثروة البترولية التي قللت نسبيًا حجم هذه الطبقة في دول الخليج العربية وشمال إفريقيا النفطية. وتجب الملاحظة هنا أن انخفاض العدد النسبي للطبقات الفقيرة في البلاد العربية الغنية بالنفط، لم يكن بسبب السياسة العادلة في توزيع الدخل أو نجاح الخطط الاقتصادية، وإنما بسبب الزيادة المضطردة في الدخل من البترول.

فالحرية والديمقراطية، والدولة المدنية وجميع القيم الحداثية والليبرالية لا تعني الشيء الكثير لهذه الطبقة بقدر ما تعنيها حالة الفقر التي تلف حياتها وحاجتها الماسة إلى السكن والغذاء والصحة وغيرها من المتطلبات الأساسية والحدود الدنيا للحياة الإنسانية الكريمة. أبناء هذه الطبقة في دواخلهم غيظ وحقد يتناسب طرديًا مع حجم الفقر الذي يعانونه، هم غاضبون معارضون للحاكم الذي يعرفون أنه سبب فقرهم وعوزهم، لكنهم لا يملكون وسائل التعبير. القبضة الأمنية الحديدية من جهة وانعدام المعرفة والقدرة على التعبير من جهةٍ أخرى، أفرزت من هذه الطبقة مادة جاهزة للانفجار تنتظر عود ثقابٍ يشعلها. هذا التقسيم الطبقي للمجتمعات العربية، بزواياه السياسية والاقتصادية والاجتماعية كما أسلفت، قد يختلف قليلاً من دولةٍ إلى أخرى لكنه يبقى في اعتقادي معبّرًا عن الصورة المجتمعية العربية قبل اندلاع ثورات الربيع العربي. كل شيءٍ تحت الأرض كان جاهزًا للانفجار لكنه كان مسجونًا تحت طبقاتٍ من الأمن الحديدي. شباب الطبقة الوسطى المؤمنون بقيم الحرية والعدالة والديمقراطية والمتطلعون إلى فجرٍ جديد، وجدوا في وسائل الاتصال الاجتماعية مثل فيس بوك وغيرها ضالتهم في نقل مشاعرهم وتجميع قواهم. استبدلوا الساحات المحرمة بساحات الإنترنت، وعرفوا أنهم كثر فزاد ذلك من عزيمتهم ودفع بمجموعة منهم إلى الشارع الممنوع، ولم يعلموا أن هناك الملايين ينتظرون فجوةً يخرجون منها، فتدافعوا كالسيل العرم وامتلأت بهم الشوارع واهتزت الأرض تحت أقدامهم وسقط الطاغية. لذا فلقد كانت هذه الطبقة أحد محركات ثورات الربيع

العربي التي اجتاحت معظم بلدان العالم العربي مع تفاوت بين هذه الثورات من دولة إلى أخرى.

ثالثًا: طبقة الجماعات والأحزاب الإسلامية (القوى العقائدية):

الإسلام هو الدين السائد بشكلٍ عام والمنتشر عقيدةً في المجتمعات العربية. وقد تختلف المدارس الفقهية بين بلدٍ وآخر، كالحنبلية في السعودية والمالكية في المغرب، لكن يبقى الإطار العام في الفكر الديني الإسلامي مشتركًا بين هذه الشعوب. الإسلام السياسي من حيث التأصيل التاريخي أُوجد منذ بداية الدولة الإسلامية وتوزيع السلطة بين قبائل المسلمين وزعمائهم في سقيفة بني ساعدة في المدينة المنوّرة بعد وفاة نبي الأمة، محمد (صلى الله عليه وسلم). في تاريخنا الحديث بُعث الإسلام السياسي في بداية القرن العشرين وفي مصر بالتحديد، وتجلّى سياسيًا وتنظيميًا بجماعة الإخوان المسلمين. الإسلام السياسي يبحث عن الحكم كوسيلة لتطبيق رؤيته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على المجتمع العربي والإسلامي، لذا كان الاصطدام بينه وبين طبقة الحكام في جميع الدول العربية مع اختلاف الظروف والأحوال. وحيث إن القوة الأمنية والعسكرية بيد طبقة الحكام، كانت السجون والعمل السري والهجرة هي نصيب الجماعات الإسلامية. ولأن الطبقة الحاكمة، مسيطرة، مستبدة، غير عادلة، ومستغلة للمال العام، كان التعاطف الشعبي بشكلٍ رئيسي وكبير مع الجماعات والأحزاب الإسلامية. الجماعات الإسلامية رأس هرمها مجموعة محدودة من المفكرين والدعاة الإسلاميين، ووسطها مجموعة أكبر من الطبقة الوسطى من المثقفين، ويتناسب حجم هذه المجموعة مع اعتدال الفكر الإسلامي، فهم في الإخوان المسلمين أكثر من الجماعة السلفية ذات الفكر الإسلامي المتشدد، أما قاعدتها العريضة فهي في الطبقات الفقيرة، محدودة الدخل والعلم.

الإخوان المسلمون والسلفيون (حسن القيادة وقوة التنظيم)

كل الأحزاب السياسية الليبرالية، مختلفة الاتجاهات والمقاصد وإن جمعتها الليبرالية بمفهومها العام مجموعات الشباب والطبقات الوسطى الذين أشعلوا الثورة وضحّوا من أجلها، يملكون الإيمان بالقيم التي أشعلوا من أجلها الثورة لكنهم لا يملكون القيادة

والتنظيم والمال. الجماعة الإسلامية بفرعيها الإخواني والسلفي بما لديها من عمقٍ تاريخي في المعارضة وقوةٍ في التنظيم ووحدةٍ في العقيدة وخبرةٍ في جمع المال وقادة لهم السمع والطاعة، رسمت لها خارطة طريق واستراتيجية توصلها إلى الحكم فوصلت. وصول الإخوان المسلمين إلى السلطة لم يكن عجيبًا أو غريبًا لأنه متسقٌ مع الواقع السياسي والتاريخي للبنية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية للمجتمعات العربية. وهنا يبرز سؤالٌ مهم: هل استقرت ثورة الربيع العربي نهائيًا في حضن أحزاب الجماعات الإسلامية وتحت لوائها؟ والإجابة هي أنني لا أرى ذلك، إن ثورة الربيع العربي، التي وإن سكنت في بيت الجماعات الإسلامية بعد ثورتها، إلا أنها لن تستقر عند هذه الأحزاب بشكلٍ أبدي. ثورة الربيع العربي قاعدتها الأساسية والعريضة هي جماهير الشعب بكل طبقاته. ورغم أن الطبقة الفقيرة ذات القسط الأدنى من المال والعلم هي الغالبة، فإن المسيرة الطبيعية التاريخية هي: مزيدٌ من العلم والمعرفة ومزيدٌ من الإيمان بحرية الفرد وحقوقه المدنية والسياسية والاقتصادية. ومزيدٌ من التوجّه نحو الحرية السياسية والديمقراطية.

وهذا من شأنه أن يقلل من شراسة وحجم الطبقة الحاكمة ويزيد من حجم الطبقة الوسطى، الدين الإسلامي دين هذه المجتمعات بكل طبقاتها، كان وسيبقى، لكن التطور التاريخي بخصائصه التي ذكرتها، من حيث انتشار العلم والمعرفة وزيادة الدخل، ستدفع إلى الفقه الإسلامي المعتدل، الحاضن للقيم الإنسانية والحضارية والحرية والعدل والعدالة، لأن هذه المبادئ والقيم هي من صلب مصادر الإسلام الأساسية، القرآن الكريم والثابت من السنة النبوية. لذا فإنه بعد أن تمرّ تجربة الحكم بعد الثورة في كلٍّ من مصر وتونس وليبيا بقيادة الإخوان المسلمين والسلفيين بمعارك وصراعات أيديولوجية وسياسية، ستستقر الأمور في المنطقة الوسطى، دولةٌ مدنيةٌ قاعدتها العريضة إسلامية دون إقصاءٍ أو تهميش للأديان الأخرى، تحت مظلّة الوطن للجميع. دولة تسير نحو الديمقراطية الحقّة وصيانة حقوق الإنسان وسيادة القانون وتحقيق العدل الاجتماعي. هذه الرؤية المستقبلية المتفائلة هي انعكاسٌ لما أعتقد أنه يسكن عقل الإنسان العربي وضميره.

الأبعاد المركزية الأساسية التى أثرت على ثورات الربيع العربي

يسيطر البعدين السياسي والاقتصادي على أذهان جميع الباحثين في أسباب اندلاع ثورات الربيع العربي لكن في الواقع كان البعد الإنساني حاضرًا في كل ثورات الربيع العربي وكذلك البعد الحقوقي والذي تفجرت به ثورات الفئات المظلومة والمقهورة قضائيًا وعسكريًا ومكبلة أمنيًا كما في غالبية الدول التي اجتاحتها ثورات التغيير كتونس والتي يظهر فيها جليًا هذه الأبعاد والتي كانت سببًا مباشرًا في قيام الثورة وكان نموذجيًا في الظلم الذي أصاب الشاب محمد بوعزيزي على يد ضابطة الشرطة والتي اعتدت عليه جسديًا بصفعه على وجهه ولكن كان ثمن هذه الصفعة ثورة عارمة ذهبت بنظام بن علي في تونس، وفي ليبيا في ظل الحكم المتسلط تحت إمرة غريب الأطوار معمر القذافي الذي فعل في الشعب الليبي ما فعل.. من أشنع صنوف الكبت وأقسى ضروب التنكيل والقتل والتعذيب وتكميم الأفواه، وفي مصر كان لنظام الدولة البوليسية الأثر البالغ في الشعب المصري والذي عانى ما عانى من ويلات نظام مبارك الذي تراجع في حقبته الحد الأدنى لحقوق الإنسان من حرية التعبير وحرية التظاهر فكان الرد قسوة بعد قسوة من زبانية الأمن والشرطة والبوليس السري الذي تكاد لا تخلو منه أي بقعة في مصر شوارعها وبناياتها وقهاويها وأنديتها مما كتم على أنفاس الشعب المصري وقيد حركته لدرجة لا يمكن العيش معها، بالإضافة إلى الأبعاد السابقة نجد البعد العشيري كما في اليمن والذي كان له الأثر البالغ في التناحر والاحتراب في اليمن حتى قبل اندلاع ثورات الربيع العربي فكانت القبائل تتحارب وتتناحر فيما بينها وينتشر السلاح بين أفرادها ليظهر لنا بعدًا جديدًا يضاف إلى ما سبق من أبعاد وهو البعد الأمني والذي هو من أهم الأبعاد وله أولوية قصوى في ملف الثورة اليمنية أما البعد الطائفي أو العقدي فيظهر جليًا في الصراع الدائر في البحرين وسوريا إذ أن الثورة في هاتين الدولتين ثورة مؤدلجة وموجهة تحركها الطائفية الدينية وهذه تعتبر واحدة من أخطر الأبعاد المؤثرة على الثورة في هذين البلدين إضافة إلى ما سبق من أبعاد، فأخطر الصراعات في العالم هي الصراعات العقائدية والطائفية ففي ظل مثل هذه الصراعات يجد التطرف بيئة مثلى يعشعش فيها ليصبح أداة

قتل وتدمير ليس لها مثيل وبذلك تختل الموازين في المنطقة ويغيب الأمن وتنتشر الفوضى ويحصل الانهيار الكامل في كل مناحي الحياة. إذن مما سبق نلخص الأبعاد المركزية والأساسية لثورات الربيع العربي في:

أ- البعد السياسي وهو بعد مشترك في كل بلدان الربيع العربي.

ب- البعد الاقتصادي وهو أيضًا بعد مشترك باستثناء البحرين وليبيا.

ت- البعد الحقوقي (كل الدول).

ث- البعد العشيري القبلي (اليمن، ليبيا).

ج- البعد الأيدولوجي والطائفي (البحرين، سوريا).

ح- البعد الإنساني (كل الدول تقريبًا).

خ- البعد الأمني (اليمن مثالاً).

الجيش ولاؤه وقوته واستعداده لاستخدام القوة لصالح النظام ولصالح الشعب

منذ قديم الأزل يعرف جيش الدولة بأنه حامي البلاد والمدافع الأول عن حماها ويحظى بهالة كبيرة من الاحترام والتقدير من عامة الشعب.. وقد ساد كعرف استراتيجي وتكتيكي من قادة البلاد حول العالم على عدم إقحام قوات الجيش في أي نزاعات وصراعات داخلية حتي لا يصنف الجيش بعدم قوميته وما كان ذلك إلا لحفظ صورته كحامي العرين وتوطيد الدعم الشعبي الذي يلاقيه.

الموسوعة العالمية ويكيبيديا تقول في تعريف مهام الجيوش: "حماية الدولة من الاعتداء الخارجي والمحافظة على الحدود البرية والمياة الإقليمية والمجال الجوي للدولة. كما يتدخل الجيش أحيانًا في حالة فشل أجهزة الأمن المدنية في السيطرة على الأوضاع الأمنية داخل الدولة".

إقحام الجيوش الوطنية والقومية في خطيئة الانقلابات العسكرية أفقدها الكثير من الاحترام وصورها في صورة واحدة مع الأنظمة العسكرية القائمة على البطش والجبروت في كثير من الدول التي ابتليت بذلك ولكن ظلت بعض الدول وكثير من الشعوب تملك كثيرًا من الأمل في نزاهة وإخلاص الجيوش الوطنية.

تناول لدور الجيوش الوطنية إبان ثورة شعوبها في الدول التي شهدت ثورات الربيع العربي:

تونس

كان للجيش التونسي دور مقدر في نجاح ثورة البوعزيزي في تونس الحرة، فالجيش التونسي عند اشتداد الأزمة واشتعال الثورة الشعبية في جميع أرجاء تونس الخضراء كان دوره جليًا عصر يوم ١٤ يناير عند هروب الرئيس بن علي وقد قاد قادة الجيش دورًا بناء في تخلي بن علي من السلطة.

اللحظة الحاسمة عندما رفض قادة الجيش أوامر بن علي في التصدي للمتظاهرين وإطلاق النار عليهم فكان أن اختاروا جانب الشعب وأرغموا بن علي على الهروب. حسب المصادر المتوافرة، فإن الجيش الوطني التونسي رفض أوامر الرئيس بن علي القاضية بمشاركة الجيش في مواجهة الاحتجاجات إلى جانب قوات الأمن، وكان رفض قائد جيش البر رشيد عمار لأوامر بن علي بمثابة نهاية لحكم الأخير للبلاد، وهناك مصادر أخرى أشارت إلى أن قائد الجيش التونسي تلقى أوامر من الولايات المتحدة بالاستيلاء على مقاليد الأمور في تونس لوقف الفوضى الناتجة عن احتجاجات الشعب التونسي، لكنه رفض ذلك.. تجدر الإشارة إلى أن الجيش التونسي دافع عن المواطنين ضد الشرطة في بعض المظاهرات.

مصر

من المؤكد أن الجيش المصري له دور عظيم في حماية الثورة، فهو الذي حماها ورعاها وأحبط كل المخططات الصهيونية والغربية لإجهاضها والإتيان على بزوغ فجر الربيع العربي. وهو الذي وقف كالصخرة، تحطمت عليها كل محاولات إعادة الأمة العربية إلى عصر عقود الديكتاتورية والظلم والتجبر والمصير المجهول، وغياب الديمقراطية والحرية وتعطل الإرادة القومية.

البداية كانت بأوامر من الرئيس السابق حسني مبارك بالنزول إلى الشوارع وحماية

الأماكن الحيوية والاستراتيجية مساء يوم ٢٩ يناير عندما فقدت قوات الشرطة كل قوتها.. ثم قاد الجيش منذ ذلك دورًا بناء في حماية المتظاهرين وتجمعاتهم من البلطجية بالإضافة إلى مداخل ومخارج ميدان التحرير أثناء وبعد سقوط حسني مبارك.. أدى ذلك إلى بناء صورة زاهية وبراقة في قلوب المصريين بل وجميع العالمين.

تغير نهج الجيش شيئًا فشيئًا مع الضغوطات الجماهيرية والمليونيات التي أقيمت في ميدان التحرير من أجل تنفيذ مطالب الثورة والتي تباطأ المجلس العسكري في تطبيقها وكانت أهمها محاكمات الفاسدين وإقامة الانتخابات وإلغاء المحاكمات العسكرية للمدنيين.. فكانت النتيجة أن انتهج الجيش نفس نهج الأمن والشرطة أيام حسني مبارك، بلغت مرحلة خطيرة للدرجة التي تنادي فيه مئات الآلاف من الجماهير بإسقاط المجلس العسكري بقيادة طنطاوي.. لتنقلب الصورة وأصبح شعار الجماهير "الشعب يريد إسقاط المشير" فالجيش العربي المصري هو الذي حمى الثورة المصرية وهو الذي أسس مع شقيقه الجيش العربي التونسي لمفهوم حماية ثورات الربيع العربي، وكان عند حسن ظن الجماهير المصرية والعربية فيه وصدق ما وعد به الشعب فيما يتعلق بحماية منجزات الثورة ومصالح مصر والسهر على الثغور، لكنه يبدو أن هنالك من المبتورين والمدفوعين بأجندات خارجية يسعون إلى زعزعة الأركان التي بنيت عليها الثورة المصرية، والتي أهم مرتكزاتها العلاقة الصميمة ما بين الجيش والشعب من جهة، والإسلام كعقيدة والعروبة كقومية من جهة أخرى. رغم ذلك يحمد للجيش المصري أنه قاد البلاد وسلم السلطة لأول رئيس مدني منتخب منذ عهد الملكية وذلك في الثلاثين من يونيو٢٠١٢م حيث أدى الرئيس محمد مرسي القسم رئيسًا لجمهورية مصر العربية.

ليبيا

كما كان الوضع في تونس ومصر فإن الجيش الليبي أسهم إسهامًا مقدرًا في نجاح الثورة الليبية رغم أن الوضع في ليبيا كان مختلفًا بعد انطلاقات المسيرات الشعبية الليلية في عدد من المدن الليبية بداية من بنغازي التي كان الفتح والنصر بها.. حيث فتح الجيش معسكراته ومخازنه لعامة الشعب للتسليح والتدريب، وذلك يبين لنا سبب الثورة الشعبية المسلحة والتي كانت في بدايتها سلمية.

كان ردود فعل نظام القذافي تجاه الثورة منذ بدايتها عنيفًا فحدثت انشقاقات كبيرة في أوساط الجيش الليبي فرفض بعض القادة الانصياع لأوامر معمر القذافي فاختاروا الانحياز إلى الثورة ومنهم من فر من بطش القذافي إلى تونس ومالطة ومن ثم انضموا إلى الثورة الليبية وقاتلوا كتائب القذافي مع الثوار جنبًا إلى جنب، رغم قسوة الجيش في بداياته على الثورة وفتح مخازن السلاح للمواطنين للقضاء على الثورة فإنه جاء في خاتمة المطاف وإنحاز إلى صوت الثورة، الأمر الذي عجل بسقوط نظام معمر القذافي ومصرعه وبذلك أسدل الجيش الليبي الحر الستار على مرحلة قاتمة في تاريخ ليبيا الحديث.

اليمن

الشعب اليمني نال شرف أول وأطول ثورة عربية سلمية انطلقت من فبراير ٢٠١١.. سلك خلالها الجيش اليمني دورًا حياديًا، وتطور الدور بانضمام عدد من القادة والكتائب إلى ثورة الشعب السلمية.. منهم اللواء علي محسن الأحمر، وقيادات أخرى، ويقدر نسبة المنشقين من الجيش اليمني ٣٠%، وقد كان للفئة المنشقة إسهام كبير في نجاح الثورة وانتهاء فترة حكم علي عبد الله صالح.

سوريا

الجيش السوري جيش مؤدلج ومنحاز إلى الحكومة ومعظم قادة الجيش السوري ينتمون إلى حزب البعث العربي الحاكم، فهم يحمون النظام وينفذون سياساته وأوامر قيادة الحزب الذي يسيطر على الحياة السياسية بصورة كاملة. لذلك نجد أن الجيش السوري قدم مثالاً مختلفًا في تجارب الجيوش العربية تجاه ثورات الربيع العربي.. فقد قاد حملات الدفاع عن النظام في وجه الثورة الشعبية ولم يتردد في قمعها، الأمر الذي قاد إلى تكوين الجيش السوري الحر، وتحول الثورة من سلمية إلى عسكرة الثورة، وتطور الأمر عندما استخدم الجيش أسلحته الثقيلة داخل المدن والقرى السورية من دبابات وراجمات إلى سلاح الطيران الحربي. ورغم بعض الانشقاقات التي حدثت في صفوف ضباط الجيش السوري لكنها تبقى حتى الآن محدودة الأثر. كما أود أن أشير هنا إلى أن عسكرة

الثورة السورية ممثلة في الجيش السوري الحر من بعض الدول والقوى الإقليمية والدولية قد يقود إلى حرب أهلية في سوريا.

تقع على عاتق الجيوش مسؤولية كبرى في مثل هذه اللحظات المفصلية في الدول، ويقع عليها أولاً وأخيرًا مسؤولية إدارة البلاد في المراحل الانتقالية.. ويتمثل الدور الكبير على قادة الجيوش في الابتعاد عن جميع المحاصصات والمفاصلات العنصرية والقبلية في الحكومات التي تهدف إلى انحياز الجيش والقوات المسلحة لمجموعة قبلية على الأخرى.

المؤسسات الدينية وانحيازها إلى النظام أو ضده (الجامع الأزهر في مصر نموذجًا)

قامت المؤسسات الدينية العربية بدورها كاملاً تجاه الثوار توجيهًا وتحفيزًا وحثًا على القيم الفاضلة والابتعاد عن التخريب وتمثل ذلك في المساجد والمنابر الدعوية والجامعات الإسلامية بل والشخصيات الإسلامية المؤثرة مما كان له الأثر الطيب في نجاح الثورات في ليبيا واليمن وتونس ومصر وحتى في سوريا وإن تفاوتت الأدوار من بلد إلى آخر... ولكن يبقى دور الجامع الأزهر في مصر هو الأبرز، فهناك عدد قليل من المسميات التي يمكن اختزال تاريخ الأمة ونضالاتها فيها، ومن بين أهم هذه المسميات "الأزهر الشريف"، قلعة النضال والمقاومة طيلة تاريخه الذي ينوف على الألف عام، وحصن الشريعة واللغة العربيَّة عبر الأزمان، فيحتل الأزهر الشريف مكانة مهمة وجوهريَّة في قلب الدعوة الإسلامية، ويضطلع بدور كبير في نشر صحيح الإسلام الحنيف، ولقد كان الأزهر منبعًا ثريًّا لموجات عدة من الإصلاح وتجديد الخطاب الديني، برزت من ثناياها أسماء لامعة في سماء الفكر في العالم الإسلامي، عبر أكثر من ألف عام من العمل الدعوي والنضالي ضد الظلم والفساد والاستبداد والاستعمار.

ولقد تعرض الأزهر الشريف في عقود "التحرر الوطني" السابقة، التي تلت خروج الاستعمار، إلى مؤامرة أدت إلى كتم صوته، وتقييد دوره، وحصره في أمور شديدة الجزئيَّة، لا تمس- من قريب أو بعيد- كُليَّات الأمة وقضاياها المصيريَّة، والتي كان للأزهر صولات وجولات طويلة فيها طيلة تاريخه، وعلى رأسها مواجهة الغزو الخارجي، والاستبداد والطغيان الداخلي.

فمر الأزهر الشريف بفترة كمون طويلة، كرستها عقود من الديكتاتوريَّة التي اختارت بعض الرموز التي لم تكن أهلاً لقيادة السفينة، ولكنه الآن يشهد بداية لعهد جديد عاد فيها صوت الأزهر لكي يُبدي رأيه، ويكون فاعلاً في قضايا الأمة.

ولكن يجب تأكيد أن الأزهر الشريف ظل دائمًا، برغم كل الظروف، بعلمائه وعمائمه النظيفة بعيدًا عن بعض قياداته السابقة التي اختارها النظام المخلوع في مصر بعناية لمحاولة تدجين الأزهر، رمزًا للنضال السلمي ضد الطغيان والظلم، في الداخل والخارج، فمنه خرجت أصوات محمد الغزالي، الذي كان حتى من بعد مماته، من خلال كتاباته وكلماته، أحد أهم الأصوات التي نظَّرت لفكرة الثورة على الاستبداد والاستعباد.

والأزهر هو من خرجت منه مظاهرات الطلبة الذين ساءهم أن يُهان دينهم وقرآنهم بأموال الشعب، عندما طبعت وزارة الثقافة البائدة رواية "وليمة لأعشاب البحر" وأخواتها من روايات الأدب الداعر التي تمس الذات الإلهيَّة وكل المقدسات الدينيَّة والأخلاقيَّة للمسلمين.

ومن الأزهر أيضًا خرجت المظاهرات التي تندد بطغيان النظام المخلوع في مصر، ونصرةً لقضايا الأمة في فلسطين والعراق، ومختلف أنحاء العالم الإسلامي.

ولكن بكل تأكيد أدت ثورة الخامس والعشرين من يناير في مصر، وثورات الربيع العربي وما رافقها من تحولات عميقة في بنية المجتمعات العربية السياسية، وطبيعة تفكير الشعوب، وفهمها لما يجري حولها، إلى الكثير من التطورات الإيجابية لدور الأزهر وقدرته على الفعل، فعلى أقل تقدير انزاح عنه عبء الحصار السياسي الذي كانت تفرضه الأوضاع في مصر قبل سقوط النظام السابق.

وفي حقيقة الأمر، فإن الأزهر الشريف، من خلال العديد من المؤشرات التي ظهرت بعد ثورة يناير، كان يتحين هذه الفرصة، ولم يكن صمته إزاء ما يجري في مصر والأمة، إلا بسبب هذه الحالة من الحصار السياسي من حوله.

فعلماء الأزهر الشريف كانوا على رأس من شاركوا في ثورة الغضب المصرية، وكانت العمائم البيضاء والحمراء على رأس المشهد في الاعتصام الكبير في التحرير، وبعد نجاح

الثورة المصريَّة في تحقيق أهدافها، شرعت قيادة الأزهر الشريف في العمل في العديد من الاتجاهات لتحقيق هدفَيْن رئيسيَّيْن، الأول استعادة الأزهر الشريف الذي واجه التتار ونابُليون بونابرت، والثاني ممارسة دور فاعل في قضايا الوطن والأمة.

وفي غضون الأشهر السابقة، قدم الأزهر الشريف، المؤسسة والعلماء، حزمة من المبادرات والوثائق التي رمت إلى تحقيق هذَيْن الهدفَيْن الساميَيْن، فعلى المستوى الرسمي بادر الأزهر الشريف بإعادة إحياء مشروع الدستور الذي سبق أن قدمه في أواخر السبعينيات الماضية، والذي يستلهم أحكام وروح الشريعة الإسلاميَّة.

وفي يونيو الماضي جمعت مشيخة الأزهر عددًا من المفكرين والسياسيين المصريين للتلاقي على وثيقة عُرفت باسم وثيقة الأزهر لمستقبل مصر، وكان اختلاف الانتماءات الفكريَّة والدينيَّة للمجموعة التي اجتمعت بمبادرة من الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب، شيخ الجامع الأزهر، يدل على تقدير عميق لدور الأزهر الشريف وتاريخه.

الوثيقة دعمت خيار تأسيس الدولة الوطنيَّة الدستوريَّة التي تعتمد مبادئ الديمقراطيَّة ودستور ترتضيه الأمة، يفصل بين سلطات الدولة ومؤسساتها القانونيَّة الحاكمة، ويحدد إطار الحكم، ويضمن الحقوق والواجبات لكل أفرادها على قدم المساواة، بحيث تكون سلطة التشريع فيها لنواب الشعب بما يتوافق مع المفهوم الإسلامي الصحيح.

وأكد الأزهر في وثيقته أن دولة الإسلام مدنيَّة، وأن الإسلام لم يعرف في تشريعاته ولا حضارته ولا تاريخه، ما يعرف فى الثقافات الأخرى بالدولة الدينيَّة الكهنوتيَّة التي تسلطت على الناس، وعانت منها البشرية في مراحل التاريخ، بل ترك للناس إدارة مجتمعاتهم واختيار الآليات والمؤسسات المحققة لمصالحهم، شريطة أن تكون المبادئ الكليَّة للشريعة الإسلاميَّة هي المصدر الأساسي للتشريع، وبما يضمن لأتباع الديانات السماوية الأخرى الاحتكام إلى شرائعهم الدينية فى قضايا الأحوال الشخصيَّة.

الوثيقة الثانية التي طرحها الأزهر مع مطلع العام الجديد، والتي صاغها كبار علماء الأزهر وأعضاء مجمع البحوث الإسلاميَّة ورموز الفكر والثقافة في المجتمع المصري،

تخص الحريات العامة وحقوق الإنسان في ظل ثورات الربيع العربي.

وتحدد الوثيقة أسس حريَّة الاعتقاد وحريَّة الرأي ومفهوم الدولة المدنيَّة، وحالة الحقوق والحريات في العالم العربي، مقارنة بمثيلاتها في الغرب.

كما تحدد كذلك الضوابط الشرعيَّة التي تحكم العلاقة بين الثوار والنظم الحاكمة، بحيث لا تخرج الثورات العربية عن الإطار الشرعي الذي يحكم العلاقة بين الحاكم والمحكوم وبحيث يتم إغلاق الباب أمام الأفكار الغريبة الوافدة التي تحاول إفساد ثورات الربيع العربي، كما تتضمن الوثيقة حق الشعوب في الثورة على الظلم، وتدعو إلى ترشيد مناخ الحريَّة الجديد في الدول العربيَّة من أجل عدم الخروج على القيم والأطر العامة، والتي تصنع سياجًا قويًا يحمي تسرب الأفكار الغريبة، التي تخالف قيم وتعاليم الدين الإسلامي، هذا على مستوى المؤسسة، أما رموز الأزهر فرادى، فهم جزء أصيل من الثورة في مصر، والتي كانت ملهمةً للربيع العربي الحالي، هي وشقيقتها التونسيَّة، فمن بين أبرز قيادات الثورة، والتي حركت الجموع الحاشدة طيلة أيامها وأشهرها التي أبهرت العالم، العالم الأزهري الجليل الشيخ مظهر شاهين إمام مسجد عمر مكرم، ذلك المسجد الذي لعب أعظم الأدوار في حماية الثوار خلال أيام الثورة الكبرى، وما تلاها من أحداث جسام في مصر.

بل سقط من الأزاهرة شهداء في ساحة المعركة ضد الظلم والطغيان، وعلى رأسهم الشيخ عماد عفت، الذي كان يشغل منصب أمين دار الإفتاء المصريَّة، والذي اغتالته يد الغدر والظلم في ديسمبر الماضي، خلال ما عرف بأحداث مجلس الوزراء.

ولا يغيب عن أحد دلالات استقبال فضيلة الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر لرئيس حكومة الوحدة الفلسطينية، المناضل إسماعيل هنيَّة في القاهرة في ختام جولة هنيَّة الخارجيَّة الأخيرة، كرسالة للعالم كله بأن الأزهر قد بدأ يفيق من حالة السبات الصناعي الإجباري التي وضعه النظام السابق فيه.

موقف المجتمع الدولي من الأنظمة الحاكمة والقائمة

إن أحد أهم أسباب ثورات الربيع العربي هي التبعية والخنوع المذل من الحكام العرب

للغرب ولإسرائيل، لذلك جاءت ردود أفعال المجتمع الدولي متفاوتة ما بين المباركة والخوف والحذر.. فيما يلي ملخصات لبعض المواقف من بعض قوى المجتمع الدولي:

الموقف الإسرائيلي:

في تاريخ ٢٣/ ٢/ ٢٠١١م: رجح رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو أن تسفر التغييرات الجارية في العالم العربي عن حالة من عدم الاستقرار تستمر طويلاً في حين أعرب وزير دفاعه عن أمله في سرعة الإطاحة بالزعيم الليبي متحسرًا في الوقت نفسه على خسارة الرئيس المصري الذي يعتبر حليفًا للغرب ومهادنًا لإسرائيل. بيد أن نتنياهو عاد وحذر مما اعتبره التداعيات المحتملة لانهيار الأنظمة في الدول العربية المجاورة لإسرائيل على مسألة الشريك السياسي، معترفا بأن أفضل خبراء الاستخبارات في دول كثيرة لم يتوقعوا ما جرى وأنهم غير قادرين على تقويم النتائج.

اعتبر وزير الدفاع الإسرائيلي إيهود باراك أن منطقة الشرق الأوسط تمر بما سماه صدمة تاريخية تؤكد أن لا مكان للضعفاء فيه، وأن "إسرائيل هي البلد الأقوى" مستبعدًا أن تحدث التطورات أثرًا فوريًا عليها، لكن يتحتم عليها "التيقظ". واستبعد باراك في تصريحات للقناة الثانية في التليفزيون الإسرائيلي استتباب الديمقراطية الكاملة في الدول العربية في السنوات المقبلة، لكنه وصف التوجه الحالي "بالإيجابي" لكونه يؤدي إلى "مزيد من الانفتاح وحقوق الإنسان والأقليات والتنمية الاقتصادية".

الموقف الأمريكي:

وفي مؤتمر صحفي بالبيت الأبيض تطرق الرئيس الأميركي باراك أوباما إلى موجة الثورات التي وقعت في أكثر من بلد عربي، قائلاً إن التغيير في الشرق الأوسط يتم بإرادة شعوبه وليس وفقًا لمشيئة واشنطن.

وبتاريخ ٢٣/ ٢/ ٢٠١١م: قالت صحيفة نيويورك تايمز الأميركية إنه في خضم سلسلة من الانتفاضات في الشرق الأوسط، تواجه إدارة الرئيس الأميركي باراك أوباما واقعًا مرًا، مفاده أن ملوك منطقة الشرق الأوسط قد يخرجون سالمين من العاصفة التي تجتاح المنطقة، ولكن الرؤساء قد لا يستطيعون الصمود.

وبتاريخ ٤/ ٣/ ٢٠١١م: قال الرئيس الأميركي باراك أوباما إن الانتفاضات في منطقة الشرق الأوسط تخدم الولايات المتحدة وتمنحها فرصة كبيرة، ورأى أن هذه الثورات تفتح آفاقًا واسعة أمام الأجيال الجديدة. ووصف أوباما هذه الثورات بأنها "رياح حرية" هبت على المنطقة، وقال إن القوى التي أطاحت بالرئيس حسني مبارك يجب أن تتعاون مع الولايات المتحدة وإسرائيل.

الموقف السوفيتي:

قالت روسيا إنها قد تخسر ما يزيد عن عشرة مليارات دولار إذا انهارت صفقات أسلحة مبرمة مع دول عربية شهدت أو تشهد ثورات أو احتجاجات شعبية على أنظمتها. ونقلت وكالة إنترفاكس عن مسؤول في قطاع التصنيع العسكري لم تورد اسمه، أن الخسائر المحتملة تعادل قيمة مبيعات الأسلحة الروسية طيلة العام الماضي. وأضاف أن تكبد تلك الخسائر المحتملة سيكون انتكاسة في سعي موسكو إلى الإبقاء على العملاء الذين كانوا يقتنون منها الأسلحة منذ الحقبة السوفيتية وفي مقدمتهم ليبيا ومصر واليمن بالإضافة إلى الجزائر.

الموقف العربي:

مؤتمر عربي ببيروت لدعم الثورات العربية: على وقع الإنجازات التي حققتها ثورتا تونس ومصر واتساع رقعة الدعوة إلى ثورات في أكثر من قطر عربي، عقد المؤتمر القومي العربي والمؤتمر القومي الإسلامي والمؤتمر العام للأحزاب العربية دورة طارئة مشتركة لدعم الثورات الشعبية العربية، بمشاركة نحو ٣٥٠ شخصية من مختلف الأقطار العربية.

الاقتصاد

ثورات الربيع العربي وأثرها على اقتصاد دول الربيع العربي

من خلال تقرير منظمة العمل العربية عن الأثر الاقتصادي لثورات الربيع العربي على دول الربيع العربي والمنطقة نقف على السلبيات والإيجابيات الاقتصادية لهذه الثورات من

تقرير اقتصادي من منظمة العمل العربية لصحيفة الأهرام نستنبط منه ما يلي:

أولاً : السلبيات

ثورات الربيع العربي أصابت أسواق العمل بحالة من الخريف المبكر وقبل الأوان.

إن ثورات الربيع العربي أثرت بصورة سلبية على أسواق العمل العربية وخصوصًا في كل من مصر وتونس واليمن وسوريا وليبيا، وأنه من الصعب الحكم بشكل قطعي على تداعيات الربيع العربي بشكل عام، ولكن كل دولة على حدة لأن هناك الآن يوجد ما يمكن أن نطلق عليه حالة (التموضع) أن هناك إعادة تشكيل للخرائط السياسية والاقتصادية في الدول التي شهدت أحداث الربيع العربي، حيث يتم تشكيل أحزاب جديدة وإجراء انتخابات برلمانية ورئاسية جديدة وصياغة دساتير جديدة، وكل هذه الأمور ستجعل من الصعب جدًا الحكم على تأثيرات ثورات الربيع العربي على الدول العربية وأن الجديد في الأمر والجدير بالرصد هو التطور في الحريات والدساتير ووضع الإنسان في صلب الاهتمامات العربية سواء في الدول التي شهدت ثورات والدول المستقرة.

إن الأمن والاستقرار سيحتاجان إلى المزيد من الوقت حتى تستقر الأمور وهذا سيؤثر بلا شك على حركة تدفق الاستثمارات، وتوقفت العديد من المصانع عن العمل وبالتالي فقد عدد كبير من العمال لوظائفهم، لذلك فمنظمة العمل العربية تتوقع أن ترتفع معدلات البطالة على المستوى العربي إلى ١٦ أو١٧٪ بدلاً من ١٤٪ وأن يتجاوز عدد العاطلين العرب ٢٠ مليون شخص بعد أن كانوا في حدود ١٧ مليون شخص.

ثانيًا: الإيجابيات

وحول الأمور الإيجابية التي صاحبت ثورات الربيع العربي فإنه حدث اهتمام بالتشغيل لم يكن موجودًا من قبل كما حدث اهتمام غير مسبوق بالشباب سواء في قطاعات التشغيل أو فيما يتعلق بالحريات وبالشؤون الاقتصادية والاجتماعية، وبالتالي فإن ثورات الربيع العربي كانت محفزًا لتغيير نظرات الحكومات العربية إلى الشباب وسوف تعتمد الحكومات في المقدمة على إرضاء الناخبين، وبالتالي فإننا نتوقع أن يكون هناك تعافٍ سريع

من أمراض الربيع العربي والانتهاء من الدساتير والقوانين وإجراء الانتخابات وتشكيل الحكومات سيكون محركًا لدفع قضايا التشغيل إلى الأمام واستكمال عملية التحول، وأعتقد أن الأمور قد تستقر في معظم البلدان العربية خلال عام أو عامين كما أنه من مميزات ثورات الربيع العربي أن صوت المواطن أصبح مسموعًا وقضت الثورات على استمرار الحكم الوراثي في الأنظمة الجمهورية ومنع التكرار في مدد غير متناهية للحكام وأن الجيش لم يعد وسيلة للوصول إلى الحكم كما أن الثورات العربية منحت الشاب العربي تقديرًا عاليًا أكثر من أي وقت مضى.

أن الدول التي شهدت ثورات الربيع العربي ستكون الأكثر تأثرًا من تداعيات الثورة لثلاثة عوامل:

الأول: انضمام فئة جديدة إلى العاطلين وهم العمال الذين فقدوا وظائفهم بسبب توقف المصانع التي يعملون بها نظرًا إلى انعدام الأمن والاستقرار.

الثاني: ندرة فرص العمل التي يمكن أن يتم توفيرها في الفترات التي تلي الثورة بسبب ضبابية الموقف وعدم وضوح الأمور مما ينجم عنه توقف تدفق الاستثمارات وبالتالي قلة فرص العمل الجديدة.

الثالث: أن أسواق العمل الخارجية المفتوحة لهم ستكون محدودة للغاية بسبب تركيز الدول الخليجية المستقبلة للعمالة على توظيف العمالة الوطنية في ظل تزايد معدلات التوطين، واليوم بعد أحداث الربيع العربي أصبحت مقاومة رجال الأعمال في دول الخليج حول الاستعانة بالعمالة العربية المدربة أضعف في مواجهة الحكومات. وبالتالي أصبح من الضروري أن يتم حصر تداعيات الثورات العربية على أسواق العمل بشكل دقيق ويجب أن يتم التركيز على عودة الأمن والاستقرار وعودة عجلة الإنتاج إلى الدوران ورفع معدلات مكافحة الفساد والرشوة في العديد من الدول من خلال آليات جديدة وقواعد قانونية واضحة وبشفافية كاملة من أجل تعزيز الثقة في الاقتصادات الجديدة الناشئة في دول ثورات الربيع العربي، وبالتالي تعزيز تدفق الاستثمارات الجديدة لأنه بدون استقرار ووضوح معالم التحول القانوني والدستوري في هذه الدول لن يكون هناك أي

تدفق للاستثمارات في دول الربيع العربي وفي حال وضوح الرؤي فإن الوضع قد يتحسن.

وذكر التقرير بأن سنة ٢٠١١م و٢٠١٢م سنوات كبيسة على الاقتصاد العربي وعلى أسواق العمل في دول الثورات بسبب عدم استكمال الاستقرار ووضوح الرؤية السياسية وعدم التعرف على مدى تعامل الحكومات الجديدة ومدى تفهم المواطن لجهد الحكومة ومواقفها في معالجة القضايا العالقة وخصوصًا في قطاعات التنمية والتشغيل.

وحول نظرة المنظمة المستقبلية لأسواق العمل العربية فإن المنظمة لديها نظرتان، الأولى على المدى القريب وهي نظرة غير متفائلة بسبب الضغوط الكبيرة التي فرضتها ثورات الربيع العربي على أسواق العمل في الكثير من الدول، والثانية أكثر تفاؤلاً على المدى المتوسط والبعيد لأنه بكل تأكيد لن تدور عقارب الساعة إلى الوراء وسيكون من الطبيعي أن يتم تطبيق المبادئ التي قامت من أجلها الثورات العربية التي قامت من أجل البناء والتنمية.

ثورات الربيع العربي ما بين السلمية والعنفوية

مجموعة تم فيها التغيير بطريقة أقرب إلى السلمية (مصر وتونس)

بعض ثورات الربيع العربي في البلدان العربية استطاعت تغيير أنظمتها بصورة أقرب إلى السلمية مثل الثورة في تونس ومصر.

أولاً: ثورة الأحرار التونسية:

اندلعت يوم الجمعة ١٨ ديسمبر ٢٠١٠م تضامنًا مع الشاب محمد البوعزيزي الذي قام بإضرام النار في جسده في ١٧ ديسمبر ٢٠١٠م تعبيرًا عن غضبه على بطالته ومصادرة العربة التي يبيع عليها (توفي يوم الثلاثاء الموافق ٤ يناير ٢٠١١م نتيجة الحروق)، أدى ذلك إلى اندلاع شرارة المظاهرات في يوم ١٨ ديسمبر ٢٠١٠م وخروج آلاف التونسيين الرافضين لما اعتبروه أوضاع البطالة وعدم وجود العدالة الاجتماعية وتفاقم الفساد داخل النظام الحاكم. ونتج عن هذه المظاهرات التي شملت مدنًا عديدة في تونس عن سقوط العديد من القتلى والجرحى من المتظاهرين نتيجة تصادمهم مع قوات الأمن، وأجبرت الرئيس زين العابدين بن علي على إقالة عدد من الوزراء بينهم وزير الداخلية وتقديم

وعود لمعالجة المشكلات التي نادى بحلها المتظاهرون، كما أعلن عزمه على عدم الترشح لانتخابات الرئاسة عام ٢٠١٤م.

وتم بعد خطابه فتح المواقع المحجوبة في تونس كاليوتيوب بعد ٥ سنوات من الحجب، كما تم تخفيض أسعار بعض المنتجات الغذائية تخفيضًا طفيفًا. لكن الانتفاضة توسعت وازدادت شدتها حتى وصلت إلى المباني الحكومية مما أجبر الرئيس بن علي على التنحي عن السلطة ومغادرة البلاد بشكل مفاجئ بحماية أمنية ليبية إلى السعودية يوم الجمعة ١٤ يناير ٢٠١١م فأعلن الوزير الأول محمد الغنوشي في نفس اليوم عن توليه رئاسة الجمهورية بصفة مؤقتة وذلك بسبب تعثر أداء الرئيس لمهامه وذلك حسب الفصل ٥٦ من الدستور، مع إعلان حالة الطوارئ وحظر التجول. لكن المجلس الدستوري قرر بعد ذلك بيوم اللجوء إلى الفصل ٥٧ من الدستور وإعلان شغور منصب الرئيس، وبناءً على ذلك أعلن في يوم السبت ١٥ يناير ٢٠١١م عن تولي رئيس مجلس النواب فؤاد المبزع منصب رئيس الجمهورية بشكل مؤقت إلى حين إجراء انتخابات رئاسية مبكرة.

ثانيًا: الثورة المصرية

نورد هنا ملخصًا لثورة ٢٥ يناير أو ثورة الغضب، فهي انتفاضة شعبية اندلعت يوم الثلاثاء ٢٥ يناير/ كانون الثاني ٢٠١١م الموافق ٢٤ صفر ١٤٣٢هـ (وكان يوم ٢٥ يناير/ كانون الثاني هو اليوم المحدد من قبل عدة جهات وأشخاص أبرزهم الناشط وائل غنيم وحركة شباب ٦ أبريل وهو يوافق يوم عيد الشرطة في مصر). وذلك احتجاجًا على سوء المعاملة خصوصًا بعد ظهور عديد من التسجيلات المصورة التي تظهر انتهاك رجال الشرطة للحقوق الإنسانية ولكن سرعان ما تعاملت الشرطة والأمن المركزي بعنف وقامت باستخدام الرصاص الحي وكانت البداية في محافظة السويس ومات منها أكثر من ٢٠ شابًا مما جعل أهالي السويس تخرج في مظاهرات حاشدة سرعان ما تبعتها باقي المحافظات وتحولت المظاهرة من احتجاج على قمع الشرطة إلى احتجاج على سوء المعيشة والبطالة والسياسة والاقتصاد والتوريث وذلك على ما اعتبر فسادًا في ظل حكم

الرئيس محمد حسني مبارك. لذلك تعتبر الثورة المصرية جسدًا بلا رأس فلم يكن هنالك أي محرك للثورة حتى النشطاء والمعارضين لم يكن لهم أي ظهور، فلقد كانت الثورة على حد تعبير الكثيرين هي ثورة ربانية.

كان للثورة التونسية الشعبية التي أطاحت بالرئيس التونسي زين العابدين بن علي أثرٌ كبيرٌ في إطلاق شرارة الغضب الشعبي في مصر.

أدت هذه الثورة إلى تنحي الرئيس محمد حسني مبارك عن الحكم في ١١ فبراير/ شباط ٢٠١١م، ففي السادسة من مساء الجمعة ١١ فبراير ٢٠١١م أعلن نائب الرئيس عمر سليمان في بيان قصير عن تخلي الرئيس عن منصبه وأنه كلف المجلس الأعلى للقوات المسلحة بإدارة شؤون البلاد.

دول تم فيها التغيير بصورة عنيفة (ليبيا، اليمن)

أولاً: الثورة الليبية

ثورة ١٧ فبراير هي ثورة شعبية ليبية اندلعت شرارتها يوم الخميس ١٧ فبراير/ شباط عام ٢٠١١م (يوم الغضب) على شكل انتفاضة شعبية شملت معظم المدن الليبية. وسبق الثورة احتجاج يوم ١٤ يناير بمدينة البيضاء على الأوضاع المعيشية واشتبك المتظاهرون مع الشرطة وهاجموا المكاتب الحكومية[١]. وقد تأثرت هذه الثورة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي مطلع عام ٢٠١١م وخصوصًا الثورة التونسية وثورة ٢٥ يناير المصرية اللتين أطاحتا بالرئيس التونسي زين العابدين بن علي والرئيس المصري حسني مبارك. قاد هذه الثورة الشبان الليبيون الذين طالبوا بإصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية. كانت الثورة في البداية عبارة عن مظاهرات واحتجاجات سلمية، لكن مع تطور الأحداث وقيام الكتائب التابعة لمعمر القذافي باستخدام الأسلحة النارية الثقيلة والقصف الجوي لقمع المتظاهرين العزّل، تحولت إلى ثورة مسلحة تسعى إلى الإطاحة بمعمر القذافي الذي قرر القتال حتى اللحظة الأخيرة، وفي يوم ٢١ أغسطس ٢٠١١م بدأ تدفق قوات المعارضة الليبية المسلحة على العاصمة طرابلس ابتداءً من الأحياء الغربية للمدينة دون مقاومة من كتائب القذافي التي

ألقت أسلحتها حسب عدة وكالات أنباء واعتقلت قوات المعارضة سيف الإسلام القذافي ومحمد القذافي أبناء الزعيم الليبي معمر القذافي، لكن سيف الإسلام القذافي عاود الظهور في لقطات مصورة بثتها قنوات التلفزة العالمية والتقى مجموعة من الصحفيين منهم مراسل وكالة رويترز ومراسل بي بي سي وأكد أنه حر طليق وأن العاصمة طرابلس بخير ووالده بخير، وسخر سيف الإسلام من مذكرة الاعتقال التي أصدرتها محكمة العدل الدولية بحقه، وتناقلت وكالات الأنباء أيضًا نبأ هروب محمد القذافي نجل الزعيم الليبي معمر القذافي من منزله الذي كانت تحاصره مجموعة من قوات المعارضة الليبية المسلحة، وخرجت مظاهرات حاشدة في شوارع المدينة احتفالاً بقرار المحكمة الجنائية الدولية بإصدار مذكرات اعتقال بحق معمر القذافي وابنه سيف الإسلام ورئيس مخابراته عبد الله السنوسي، وسيطرت قوات المعارضة على مبنى الإذاعة والتليفزيون الحكومي الليبي التابع للقذافي واعتقلت الإعلامية المثيرة للجدل هالة المصراتي التي تطلق عليها المعارضة الليبية مذيعة القذافي لولائها الأعمى للعقيد، وقطعت قوات المعارضة البث التليفزيوني لقنوات الجماهيرية، ونُقل عن عبد الرحمن شلقم مندوب ليبيا السابق لدى الأمم المتحدة قوله "إن طرابلس سقطت ضمن خطة"، ويسيطر الثوار على العاصمة الليبية بما في ذلك مجمع باب العزيزية المحصن الذي تعرض للقصف عدة مرات من طائرات حلف شمال الأطلسي، وفي يوم الخميس الموافق ٢٠ أكتوبر ٢٠١١م توفي معمر القذافي في مدينة سرت آخر معقل له ودفنت جثته بعدها في مكان سري، وتضاربت الأنباء حينها عن وفاته حيث أكد المجلس الوطني الانتقالي الليبي مقتل العقيد معمر القذافي إثر غارات شنتها طائرات الناتو تلاها هجوم لقوات المجلس على مدينة سرت مسقط رأسه، وهناك تقارير تتحدث عن مقتل القذافي بعد اعتقاله حيث ظهر القذافي في إحدى لقطات الفيديو وهو حي ومعتقل بأيدي الثوار وظهر في فيديو آخر مقتولاً مما أثار استنكار منظمات حقوق الإنسان، أما المعتصم القذافي ابن العقيد معمر القذافي توفي في نفس اليوم الذي توفي فيه والده حيث تشير التقارير

المنشورة على وكالات الأنباء إلى أن المعتصم القذافي قتل بعد اعتقاله حيث يظهر فيديو له وهو يدخن السجائر ومن ثم ظهر له فيديو آخر وهو مقتول، بعد مقتل العقيد القذّافي بنحو الشهر تم اعتقال سيف الإسلام القذافي ثاني أكبر أبناء العقيد والذي صدرت مذكرة اعتقال من المحكمة الجنائية الدولية بحقّه وتم بعدها نقله بواسطة طائرة إلى العاصمة الليبية وتنوي السلطات الجديدة في ليبيا محاكمته داخل الأرض الليبية وذلك بالتشاور والاتفاق مع لويس مورينو أوكامبو مدعي عام المحكمة الجنائية الدولية الذي زار طرابلس من أجل النظر في أمر سيف الإسلام القذافي، وبمقتل القذافي وبعض أبنائه وهروب آخرين إلى خارج ليبيا ينتهي بذلك حكم هذه العائلة الذي دام أكثر من ٤٠ عامًا.

ثانيًا: الثورة اليمنية

ثورة الشباب اليمنية أو ثورة التغيير السلمية هي ثورة شعبية انطلقت يوم الجمعة ١١ فبراير/ شباط عام ٢٠١١م الذي أطلق عليه اسم "جمعة الغضب" (وهو يوم سقوط نظام حسني مبارك في مصر) متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي مطلع عام ٢٠١١م وبخاصة الثورة التونسية التي أطاحت بالرئيس زين العابدين بن علي وثورة ٢٥ يناير المصرية التي أطاحت بالرئيس حسني مبارك. قاد هذه الثورة الشبان اليمنيون بالإضافة إلى أحزاب المعارضة للمطالبة بتغيير نظام الرئيس علي عبد الله صالح الذي يحكم البلاد منذ ٣٣ عامًا، والقيام بإصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية. وكان لمواقع التواصل الاجتماعي على الإنترنت مثل فيسبوك مساهمة فعالة في الثورة إلى حد كبير، حيث ظهرت العديد من المجموعات المناوئة للنظام الحاكم بدأت بمطالب إصلاحية ثم ارتفع سقف المطالب إلى إسقاط النظام. ومنها مجموعة "ثورة الشباب اليمني لإسقاط النظام". ولعبت هذه المواقع دورًا كبيرًا في تنظيم الاعتصامات واستمرارها، وفي الخروج بالمسيرات. وقد كان يوم الجمعة التي عرفت بجمعة الكرامة ١٨ مارس يومًا مفصليًا في الثورة اليمنية حيث انضم بعدها الكثير من مشايخ وزعماء القبائل والشخصيات الاجتماعية إلى الثورة بعد أن انضم إليها اللواء علي محسن الأحمر يوم الإثنين ٢١ مارس بعد تأثره بمذبحة جمعة الكرامة التي

راح ضحيتها ٥٢ شهيدًا من الشباب المعتصمين السلميين في ساحة التغيير بصنعاء إلى جانب أكثر من ٧٠٠ جريح بنيران القناصة التي قال المعتصمون إنهم ينتمون إلى الحرس الجمهوري وبلاطجة الحزب الحاكم فيما رد الرئيس صالح إنهم من سكان الحارات المجاورة لساحة الاعتصام والذين تضرروا من المعتصمين.. ورغم كمية الاستقالات الرهيبة التي حصلت بعد انضمام علي محسن إلى الثورة إلا أن التباطؤ في الزحف للقصر الجمهوري من قبل شباب الثورة أعطى الوقت لصالح لإعادة ترتيب أوراقه ومنها مسارعته إلى حل الحكومة وتكليفها بتصريف الأعمال خشية أن يقدم الوزراء استقالتهم بعد أن قدم ثلاثة وزراء منهم بالفعل استقالتهم يوم الإثنين.. واستمرت المناورات بين شباب التغيير والمعارضة من جهة وصالح من الجهة الأخرى، وحصلت بعض الاشتباكات المسلحة بين موالين للنظام ومسلحين قبليين وقد غادر الرئيس علي عبد الله صالح البلاد متوجهًا إلى السعودية يوم ٤ يونيو/ حزيران للعلاج بعد سقوط قذيفة على القصر الرئاسي يوم الجمعة الموافق ٣ يونيو/ حزيران وعاد علي عبد الله صالح إلى اليمن يوم ٢٣-٠٩-٢٠١١م وفي ٢٣-١١-٢٠١١م وقع صالح على المبادرة الخليجية التي بموجبها فوض صلاحياته لنائبه عبد ربه منصور هادي وغادر صالح اليمن يوم ٢٣/ ١/ ٢٠١٢م إلى سلطنة عمان ومن ثم إلى الولايات المتحدة للعلاج وقد سلم نائبه عبد ربه منصور هادي صلاحياته الدستورية لحين انتخاب رئيس جديد للبلاد يوم ٢١-٢-٢٠١٢م وأعلن عن ترشيح عبد ربه منصور هادي كمرشح توافقي للانتخابات الرئاسية اليمنية، وقد حصل على دعم واسع قبل الانتخابات من جميع اليمنيين من قبل الأحزاب ورجال القبائل وعلماء الدين وشباب الثورة السلمية اليمنية.

مجموعة قبلت بوصفات إصلاحية استباقية (دول الخليج، الأردن، المغرب، الجزائر)

الاحتجاجات الكويتية ٢٠١١م

هي سلسلة احتجاجات شعبية انطلقت مطلع عام ٢٠١١م متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي وبخاصة الثورة التونسية وثورة ٢٥ يناير المصرية اللتين نجحتا في الإطاحة بالرئيس التونسي زين العابدين بن علي والرئيس

المصري حسني مبارك. وقد كانت هذه الاحتجاجات من فئة من المجتمع الكويتي وهم الذين لا يملكون الجنسية الكويتية (البدون). طالبت هذه الاحتجاجات بإصلاحات اجتماعية واقتصادية. كما قامت مظاهرة حاشدة في ساحة الإرادة للإطاحة برئيس وزراء الكويت ناصر المحمد الصباح، انتهت هذه المظاهرة بإقالة الحكومة وحل مجلس الأمة الكويتي حل دستوري.

الاحتجاجات العُمانية ٢٠١١م

هي حملة احتجاجات شعبية انطلقت يوم الجمعة ١٨ يناير/ كانون الثاني عام ٢٠١١م، متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي مطلع عام ٢٠١١م وبخاصة الثورة التونسية وثورة ٢٥ يناير المصرية اللتين أطاحتا بالرئيس التونسي زين العابدين بن علي والرئيس المصري حسني مبارك. قاد هذه الاحتجاجات الشبان العمانيون الذين طالبوا بإجراء إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية. هذا وقد قام السلطان قابوس بإجراء الكثير من التعديلات وذلك بعد الأخذ بعين الاعتبار مطالب شعبه، وهو الذي يعتبره البعض الحاكم الوحيد الذي يتسجيب لمطالب شعبه.

الاحتجاجات السعودية ٢٠١١م

هي مجموعة احتجاجات متفرقة بدأت يوم الخميس ٣ مارس/ آذار عام ٢٠١١م متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي مطلع عام ٢٠١١م وبخاصة الاحتجاجات البحرينية ٢٠١١م والثورة التونسية وثورة ٢٥ يناير المصرية اللتين أطاحتا بالرئيس التونسي زين العابدين بن علي والرئيس المصري حسني مبارك. قاد هذه الاحتجاجات الشبان السعوديون للمطالبة بإصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية. وأعلن الملك عبد الله بن عبد العزيز يوم الجمعة ١٨/ ٣/ ٢٠١١م عن حزمة من الإجراءات تشمل مكافحة الفساد ومخصصات مالية بمليارات الدولارات لرفع الأجور، وتوفير آلاف الوظائف وبناء نصف مليون وحدة سكنية للعاطلين والموظفين والطلاب.

الوضع في دولة الإمارات العربية المتحدة

على الرغم من أن الإمارات لم تشهد أي مظاهرات بحد ذاتها، فقد حدث فيها عدد من التوترات والاضطرابات تحسبًا من الحُكومة لأي استجابة شعبية تجاه موجة الثورات العربية، وقد تضمنت هذه التهيؤات توقيفات واعتقالات وتضييقات على الناشطين السياسيين وأطياف المُعارضة المُحتملة للنظام الحاكم.

احتجاجات الجزائر ٢٠١١م

هي حملة احتجاجات شعبية بدأت منذ شهر يناير/ كانون الثاني عام ٢٠١١ مأمتأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي مطلع عام ٢٠١١ م وبخاصة الثورة التونسية التي أطاحت بالرئيس التونسي زين العابدين بن علي. وقادت هذه الاحتجاجات أحزاب المعارضة بالإضافة إلى الشبان الجزائريين الذين طالبوا بإجراء إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية.

الاحتجاجات الأردنية ٢٠١١م

هي موجة من المظاهرات والمسيرات الاحتجاجية التي انطلقت في مختلف أنحاء الأردن مطلع عام ٢٠١١م متأثرة بموجة الاحتجاجات العربية العارمة التي اندلعت في الوطن العربي مطلع عام ٢٠١١م وبخاصة الثورة التونسية وثورة ٢٥ يناير المصرية اللتين أطاحتا بالرئيس التونسي زين العابدين بن علي والرئيس المصري حسني مبارك. كان من الأسباب الرئيسية لهذه الاحتجاجات تردي الأحوال الاقتصادية وغلاء الأسعار وانتشار البطالة وانتشار الفساد. وقد بدأت هذه المسيرات يوم ١٤ يناير/ كانون الثاني ٢٠١١م بعد صلاة الجمعة واستمرت في الأسابيع التالية.

الاحتجاجات المغربية ٢٠١١م

هي حملة احتجاجات شعبية انطلقت يوم الأحد ٢٠/ ٢/ ٢٠١١م متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي مطلع عام ٢٠١١م وبخاصة الثورة التونسية وثورة ٢٥ يناير المصرية اللتين أطاحتا بالرئيس التونسي زين العابدين بن علي والرئيس المصري حسني مبارك. قاد هذه الاحتجاجات الشبان المغاربة "حركة ٢٠

فبراير" بدعم من الهيئات الحقوقية والأحزاب السياسية المغربية وعموم المواطنين المغاربة، وطالب المتظاهرون بملكية دستورية برلمانية ديموقراطية اجتماعية وبإصلاحات سياسية واجتماعية. أنشئ دستور جديد يحد من صلاحيات الملك ويقوي موقع رئيس الوزراء، ودخل حيز التنفيذ في ١ أغسطس ٢٠١١م، بعدد من الحقوق المدنية الجديدة، بما في ذلك الضمانات الدستورية لحرية التعبير، المساواة الاجتماعية للمرأة، حقوق لغوية للمتحدثين بلغات الأقليات واستقلال القضاء.

مجموعة ما زال العنف مستمرًا ولم يحسم وضعها (سوريا، البحرين)

أولاً: الثورة في البحرين

الاحتجاجات البحرينية ٢٠١١م هي حملة احتجاجات شعبية بدأت يوم الإثنين ١٤/ ٢/ ٢٠١١م متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي، سمّيت هذه الانتفاضة بـ"ثورة اللؤلؤ" وهناك من سماها بـ"ثورة الورود" (تيمّنًا بأداة السلم الذي قد أخذوه منهاجًا في هذه الثورة) مطلع عام ٢٠١١م وبخاصة الثورة التونسية وثورة ٢٥ يناير المصرية اللتين أسقطتا الرئيس التونسي زين العابدين بن علي والرئيس المصري حسني مبارك. قاد هذه الاحتجاجات شباب مستقلون إلى جانب سبع جمعيات معارضة شيعية وليبرالية وقومية وبعثية تطالب بالحرية والديمقراطية التي هيَ حقٌّ مكفول دوليًا ودينيًا على أرض البحرين وتدعي بأنها تطالب بإصلاحات سياسية ولم تكن الانتفاضة هذه بقيادة أحد الأشخاص إذ أنّها كانت شعبية بحتة، ومن الجدير بالذكر أيضًا أنّ هذه الثورة اتسمت بكثير من الانتقادات والشكوك بيد أنّ المجتمع الدولي كان واقفًا بجانب الإصلاح السياسي والحكومي. من الجدير بالذكر أنّ الحكومة البحرينية في بادرة غريبة إثر الاحتجاجات التي ضيّقت الخناق عليها، قد استعانت بقوّات درع الجزيرة التي من المفترض أن تكون قوّة لفض النزاعات الدولية والهجمات الخارجية على إحدى دول مجلس التعاون مما أدى إلى انتقادات واسعة ولاذعة للحكومة البحرينية.

بعد دخول قوّات درع الجزيرة للبحرين وفض الاعتصام المقام في المنطقة الحيوية في قلب المنامة والمسمى بـ"دوار مجلس التعاون"، أو ما قد سمّاه المتظاهرون إثر الانتفاضة الشعبية باسم "دوار اللؤلؤة".

ثانيًا: الثورة السورية

الانتفاضة السورية أو ثورة الأحرار السورية هي انتفاضة شعبية انطلقت يوم الثلاثاء ١٥ آذار/ مارس عام ٢٠١١م ضد القمع والفساد وكبت الحريات وتلبية لصفحة الثورة السورية ضد بشار الأسد.. على فيسبوك في تحدٍ غير مسبوق لحكم بشار الأسد متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي مطلع عام ٢٠١١م وبخاصة الثورة التونسية وثورة ٢٥ يناير المصرية اللتين أطاحتا بالرئيس التونسي زين العابدين بن علي والرئيس المصري حسني مبارك. اندلعت شرارة الثورة عندما كتب أطفال من عائلة الأبازيد شعارات على حائط المدرسة متأثرين بربيع الثورات العربية "الشعب يريد إسقاط النظام".. فقامت قوى الأمن باعتقالهم وشلع أظافرهم مما جعل الأهالي يطالبون بعودة أبنائهم فكان الرد القبيح من مسؤول الأمن السياسي فثار الأهالي بمدينة درعا فتم اقتحام الجامع العمري بالطائرات المروحية والقوات الخاصة وحدثت مجزرة رهيبة للأهالي ومن ثم انطلقت الثورة.. وقاد هذه الثورة الشبان السوريون الذين طالبوا بإجراء إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية ورفعوا شعار: "حرية... حرية" لكن قوات الأمن والمخابرات السورية واجهتهم بالرصاص الحي فتحول الشعار إلى "إسقاط النظام". انتشرت المظاهرات للمرَّة الأولى لتعمَّ العشرات من مدن سوريا تحت شعار «جمعة العزة» بتاريخ ٢٥ مارس ٢٠١١م لتشمل دمشق وريفها وحمص واللاذقية ودرعا وبانياس والقامشلي ومناطق أخرى عدة، واستمرَّت بعدها بالتوسع والتمدد شيئًا فشيئًا أسبوعًا بعد أسبوع.

بقية الدول العربية (العراق والسودان، لبنان، فلسطين...)

الاحتجاجات العراقية ٢٠١١م

هي حملة احتجاجات شعبية بدأت منذ مطلع شهر شباط/ فبراير عام ٢٠١١م متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي مطلع عام ٢٠١١م وبخاصة الثورة التونسية وثورة ٢٥ يناير المصرية اللتين أطاحتا بالرئيس التونسي زين العابدين بن علي والرئيس المصري حسني مبارك. قاد هذه الاحتجاجات شبان يطالبون

بالقضاء على الفساد وإيجاد فرص عمل لأعداد كبيرة من العاطلين خصوصًا حملة الشهادات الجامعية، والقيام بإصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية. فيما رصد المراقبون غيابًا للأحزاب والكتل السياسية والرموز الدينية التي استحوذت على الشارع العراقي بعد الغزو الأمريكي للبلاد عام ٢٠٠٣م. الأمر الذي أوضح أن الصراع الطائفي والعرقي ليس بين أبناء الشعب بل بين الكيانات السياسية التي لا تمثل واقع المجتمع.

الاحتجاجات السودانية ٢٠١١م

هي حملة احتجاجات طفيفة انطلقت في ٣٠ يناير/ كانون الثاني عام ٢٠١١م متأثرة بموجة الاحتجاجات العربية في الوطن العربي التي اندلعت مطلع عام ٢٠١١م وبخاصة الثورة التونسية وثورة ٢٥ يناير. وكانت هذه الاحتجاجات تطالب بالقيام بإصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية كما نادى عدد ضئيل منها بتغيير النظام. بعض هذه الاحتجاجات دعا إليها طلبة عبر مواقع التواصل الاجتماعي على الإنترنت مثل فيسبوك، ولم تلق تجاوبًا شعبيًا. وقد تجددت هذه الاحتجاجات بصورة أكبر في يونيو٢٠١٢م بعد الإصلاحات الاقتصادية التي استدعت رفع الدعم عن بعض السلع الضرورية مما أدى إلى اندلاع المظاهرات في العاصمة الخرطوم وبعض المدن في ولايات السودان الأخرى إلا أنها سرعان ما تلاشت.

الاحتجاجات اللبنانية ٢٠١١م

هي حملة من المظاهرات والمسيرات انطلقت يوم ٢٧ شباط/ فبراير عام ٢٠١١م متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي مطلع عام ٢٠١١م وبخاصة الثورة التونسية وثورة ٢٥ يناير المصرية اللتين أطاحتا بالرئيس التونسي زين العابدين ابن علي والرئيس المصري حسني مبارك. وقاد هذه الاحتجاجات الشبان اللبنانيون للمطالبة بإصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية. كان من الأسباب الرئيسية لهذه الاحتجاجات هو النظام الطائفي الذي يحكم لبنان منذ أكثر من سبعة عقود، حيث إن الرئاسات الثلاث (الدولة، الحكومة، مجلس النواب) مُقسمة بشكل طائفي منذ

أيام الانتداب الفرنسي واستمر حتى بعد جلائه عن لبنان عام ١٩٤٦م. فجاءت هذه المظاهرات للمطالبة بنظام علماني مدني ينهي التقسيم الطائفي للبلاد الذي كان وقودًا للحرب الأهلية اللبنانية التي اندلعت بين عامي١٩٧٥م و١٩٩٠م.

فلسطين

الاحتجاجات الفلسطينية لإنهاء الانقسام:

هي حملة من المظاهرات والمسيرات والاعتصامات بدأت في ١٣/ ٢/ ٢٠١١م قام بها مجموعة من الشباب تحت اسم الحملة الوطنية الشبابية لإنهاء الانقسام والاحتلال، علمًا بأن الفكرة طرحت وبدأ العمل بها في مؤتمر الشباب الفلسطيني بتاريخ ٨-٩/ ١٢/ ٢٠١٠م وتأخر انطلاق برنامجها نتيجة الأحداث في تونس، وكانت أول فاعلية في ٢٤/ ٢/ ٢٠١١م في الضفة وغزة والشتات والداخل الفلسطيني ١٩٤٨م وتوجت في أكبر فاعلية مشتركة في ١٥ آذار/ مارس عام ٢٠١١م في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة لإنهاء الانقسام الفلسطيني (بين حركتي فتح وحماس)، متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي مطلع عام ٢٠١١م وبخاصة الثورة التونسية وثورة ٢٥ يناير المصرية اللتين أطاحتا بالرئيس التونسي زين العابدين بن علي والرئيس المصري حسني مبارك. وقاد هذه الاحتجاجات الشبان الفلسطينيون مع بعض الفصائل الفلسطينية للمطالبة باستعادة الوحدة الوطنية ورفع الحصار عن قطاع غزة.

الانتفاضة الفلسطينية الثالثة:

مجموعة من المسيرات المليونية كان قد خطط لها الشبان الفلسطينيون على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك في يوم ١٥ أيار/ مايو عام ٢٠١١م (الذكرى ٦٣ للنكبة) للعودة إلى فلسطين، تمت الدعوة إليها بعد اندلاع موجة الاحتجاجات العارمة في الوطن العربي مطلع عام ٢٠١١م. وقد أطلق عليها اسم مسيرة العودة إلى الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨م، والتي تم تهجير أجدادهم وآبائهم منها ومن ثم تأسيس دولة إسرائيل على أنقاضها. ويعتمد المتظاهرون في مسيرة العودة على القرار الأممي ١٩٤ الذي ينص على

حق الشعب الفلسطيني بالعودة إلى القرى والمدن التي تم تهجيرهم منها نتيجة لحرب ١٩٤٨م. وكان موعد الانطلاق حسب موقع فيسبوك من ٣٠ نقطة تنتشر على طول حدود الدول المحيطة بفلسطين التاريخية؛ وهي الأردن، سوريا، لبنان ومصر وفي يوم ١٥/ مايو/ ٢٠١١م اندلعت التظاهرات في عدة نقاط تماس منها حاجز قلنديا الذي يربط بين مدينتي رام الله والقدس الذي أصيب عنده ١٥٠ من الشبان الفلسطينيين وتم اعتقال بعضهم بمساعدة فرقة "المستعربين" في الجيش الإسرائيلي، وعند الحدود مع لبنان في قرية مارون الراس الحدودية زحف الشبان الفلسطينيون نحو الحدود وقاموا برشق الجنود الإسرائيليين الموجودين على الجانب الإسرائيلي من الحدود بالحجارة مما حذا بالجنود الإسرائيليين إطلاق النار على المتظاهرين، وفي تلك اللحظة حاول الجيش اللبناني إبعاد الفلسطينيين عن الحدود عبر إطلاق النار في الهواء لكنه لم يفلح في ذلك، وانتهى الأمر بمقتل عشرة فلسطينيين بالرصاص على أيدي القوات الإسرائيلية، وتمثل أهم اختراق للمتظاهرين هو قطع الأسلاك الشائكة والمرور من حقول الألغام والدخول إلى قرية مجدل شمس داخل الجولان المحتل، ورأت الصحف الإسرائيلية بأن ذلك الاختراق يمثل فشلاً أمنيًا ذريعًا لإسرائيل، عندها خرج رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو قائلاً في تصريح تليفزيوني مقتضب "نأمل عودة الهدوء سريعًا ولكن لا يساور أحدًا شك في أننا عازمون على الدفاع عن حدودنا وسيادتنا" وانتهت المشكلة في مجدل شمس بترحيل من قطعوا الحدود إلى حيث جاؤوا وتسليم جثث الفلسطينيين الأربعة الذين كانوا قد قتلوا خلال عبورهم إلى القرية وأصيب في ذلك اليوم نحو ١٧٥ مشاركًا برصاص الجيش الإسرائيلي، وفي مصر منعت السلطات عبور المصريين إلى سيناء وذلك لأنهم كانوا ينوون التوجه بأعداد كبيرة إلى غزة، وعلى الحدود الأردنية الإسرائيلية حاول العديد من الشبان الوصول إلى جسر الحسين ومن ثم عبوره، إلا أن قوات الدرك الأردنية فرقتهم ومنعتهم من إكمال مسيرتهم، وفي نهاية الأمر توقفت الاحتجاجات في نفس اليوم وليس حسب ما خططت صفحة "الانتفاضة الفلسطينية الثالثة" على فيسبوك.

هل لتنظيم القاعدة دور في ثورات الربيع العربي؟

ظل الغرب عبر القرون يتخذ الحركات الإسلامية في العالم كفزاعة لشعوب العالم وللأنظمة العربية الحاكمة مصورًا التيارات الإسلامية بالإرهابية والأصولية والتي تعني التشدد والقتل والتدمير ووصفها بكلمة (الخطيرة) أو (الإرهابية) وقد نسي الغرب أو تناسى أن التطرف الإسلامي ما هو إلا نتيجة للسياسات الغربية تجاه العالمين العربي والإسلامي واتخاذ المواقف والقرارات المناوئة لكل ما هو عربي وإسلامي في عداء لم تجد له العقلية الإسلامية أي مبرر مما أسهم في ظهور بعض التيارات المتشددة نتيجة لتراكم الغبن الإسلامي من السياسات الغربية الجائرة وخصوصًا فيما يتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي والذي كان الموقف الغربي تجاهه منحازًا بصورة صارخة بلا خجل أو مواربة، وكان دومًا يتبنى قرارات تصب في مصلحة الكيان الصهيوني من أجل تأمين مصلحة الكيان الصهيوني وضمان استمراريته وتفوقه في المنطقة. وفي الحقيقة أن الموقف الغربي الداعم لإسرائيل لم يكن موقفًا معاديًا للفلسطينيين فحسب، وإنما كان موقفًا معاديًا للعرب والمسلمين عمومًا بحكم السياسة الغربية التي اتجهت ولا تزال إلى الحفاظ على المصالح الإسرائيلية والعمل على ترجيح كفتها على المصالح العربية وضمان تفوق إسرائيل على العرب، كل ما ذكر أدى إلى إشعال شرارة العنف والإرهاب في الشرق الأوسط بل ومنه إلى إفريقيا وأوروبا وأمريكا نفسها (أحداث ١١ سبتمبر) بظهور حركة القاعدة الإسلامية المتشددة والتى وقفت بقوة في وجه العنجهية الغربية بالأسلوب الذي ترى أنه الأمثل وهو (العنف) ردًا على العنف الغربي في دول كأفغانستان والعراق وفلسطين والصومال فشكل تنظيم القاعدة صداعًا شديدًا للغرب ولأمريكا وإسرائيل على وجه الخصوص، مما شكل حالة من الخوف عرفت بـ (فوبيا الإسلام) فأصبح الغرب يتفنن في ابتكار الحيل لمحاربة هذا التنظيم، فغرس في أذهان شعوب العالم ككل خطورة الإسلام كدين دموي يجب محاربته وكان الجزء الأكبر من رسائله موجه إلى العالم العربي حكامًا وشعوبًا واستخدم في ذلك الإعلام الموجه وأنشأ لذلك محطات وقنوات فضائية بتكاليف مالية ضخمة من أجل ترسيخ هذه الرسائل السالبة عن التنظيمات الإسلامية،

بل وسعى إلى محاربة كل الأنظمة الإسلامية في المنطقة كالنظام السوداني والنظام الأفغاني والنظام الإيراني وحكومة حماس الإسلامية، لكن التشبع الإسلامي لدى الشعوب وكراهية الشعوب العربية للتسلط الغربي وأذياله من الأنظمة المنجرة خلفه في العالمين العربي والإسلامي جعلت هذه الجماهير تنحاز إلى التيارات الإسلامية كبديل أفضل للأنظمة الدكتاتورية فظهرت الصبغة الإسلامية على الثورات العربية، هذا الأمر جعل الغرب يسرع في التخويف من هذه التيارات الجديدة وظل يسعى لإيجاد وسيلة لربط هذه التيارات الإسلامية بتنظيم القاعدة المستهدف دوليًا كتنظيم يجب القضاء عليه إلا أن الشعوب العربية ولما تملكه من دراية ووعي عاليين كانت تعلم ما الغرض من هذه الحرب على التيارات الإسلامية الحديثة، ونحن بدورنا نؤكد أن هذه التيارات الحديثة ما هي إلا قوى إسلامية تنتمي إلى الإسلام الوسطي وبعض الحركات الإسلامية المعتدلة، وليس لها علاقة بتنظيم القاعدة والتنظيمات المتشددة من قريب أو بعيد وإنما التيارات الإسلامية في كل من مصر وليبيا لا تنتمي إلى التيارات الأصولية، وقد تكون هناك بعض المجموعات السلفية إلا أنها لم تكن هي القوى الغالبة في ثورات الربيع العربي. فبذلك تكون الإجابة أن تنظيم القاعدة ليس له علاقة مباشرة بما يحدث من ثورات في العالم العربي، ولكن هذا لا ينفي تعاطف قادة تنظيم القاعدة مع الثورات الإسلامية في المنطقة فهي قد وجدت مباركتهم على اقتلاع الحكام الطغاة أذيال الغرب على حسب زعمهم.

المهددات والمخاطر التي تهدد نجاح ثورات الربيع العربي

التهافت في العلاقة مع أمريكا وأوروبا من أجل مباركة الثورات في العالم العربي

إن أمريكا وأوروبا اللتين فقدتا كنوزًا استراتيجية لا تعوَّض بسقوط الرؤوس والأنظمة التي أطاحت بها الثورات، ولأنهما غير قادرتين على التصدّي لهذه الثورات وإجهاضها بالقوّة والحصار والانقلابات العسكرية، أو إغراءات المساعدات لم تجدا أمامهما غير تملّق تلك الثورات بتسميتها "ربيعًا عربيًا"، وبإعلان الانفتاح على الحوار مع القوى الجديدة وفي مقدّمهم من فازوا أو سيفوزون من خلال صناديق الاقتراع حتى لو كانوا من الإخوان المسلمين والسلفيين، أو القوميين والوطنيين المعادين للإمبريالية تاريخيًا

وهذا يعد واحدًا من أكبر المهددات التي تواجه ثورات الربيع العربي والخوف من تغيير مسارها إلى منحى آخر يحقق المصالح الغربية ويعصف بالآمال العربية.

على أنها (أمريكا وأوروبا) أمام ما وجدتا من رغبة مقابلة في مبادلة الترحيب بالترحيب والموقف الإيجابي بالموقف الإيجابي، والأنكى أمام ما بدر من البعض من تهافت إلى حد التهالك في طمأنتها واسترضائها راحتا تطرحان قضية "الموقف من إسرائيل"، والموقف من المعاهدة المصرية الإسرائيلية أو اتفاقات أخرى على الطاولة، وذلك في محاولة لاستدراج التنازلات المسبقة والمجانية حتى قبل أن تقلع الطائرة (النظام الجديد)، أي قبل أن يصل المرشح إلى الرئاسة أو السلطة، هنا بدأت تخرج أصوات تتبرّع بالقول إن المعاهدات والاتفاقات السابقة سوف تُحترَم، والبعض راح يتحدث عن هدنة طويلة جدًا جدًا مع الكيان الصهيوني. وبعض آخر تحدث عن أن الأمر متروك للفلسطينيين، بل قيل أيضًا إن من الممكن مع الهدنة الطويلة أن يعترف الطرفان في فلسطين ببعضهما.

ثمة حرج في اتخاذ مثل هذه المواقف مع القول إن مقتضيات المرحلة الجديدة تقتضي ذلك. وبالمناسبة كل التنازلات التي سبق أن قدّمها الرؤساء المخلوعون تمّت بحجّة مقتضيات المرحلة والظروف، و"سياسة الممكن"، كما تحت غطاء م.ت.ف (ما يرضى به الفلسطينيون) إذ "كيف يجوز أن تكون ملكيًا أكثر من الملك؟!".

لنضع في البداية جانبًا، ولو مؤقتًا، ما كان يُعتبَر من المبادئ والثوابت بالنسبة إلى القضية الفلسطينية، ولندخل في مناقشة السياسة الواقعية وموازين القوى وتقدير الموقف. وهنا سنجد مبالغة في "الطمأنة"، وفي الانفتاح والإيجابية مع أمريكا وأوروبا تزيد كثيرًا عما تقتضيه ظروف المرحلة، بل سوف نجد أن لا حاجة إلى تقديم التنازلات أو اقتراح الحلول في ما يتعلق بالقضية الفلسطينية والموقف من المعاهدات والاتفاقات والكيان الصهيوني.

يمكن للمرء أن يتفهم موقف الثورات عندما ركزت على الحريّة والكرامة وعلى إسقاط الرئيس والنظام. وهذا يسير، أو يتماشى، مع تحديد الأولوية الاستراتيجية، كما مع عدم الدخول في معارك جانبية، أو التبرّع بتوسيع جبهة الأعداء حين يتراجع بعضهم

بسبب هزائمه أو ضعفه أو سواه.

ويمكن، بل يجب أن يتفهم المرء حاجة القوى الجديدة وهي متجهة نحو السلطة، وهي منخرطة في صراع مع ارتداد قوى النظام السابق عليها، إلى أن تُقابِل ترحيب أمريكا وأوروبا بها بترحيب مماثل. كما السعي إلى إعادة تأسيس العلاقات بينهما على أسس جديدة من الندّية وعدم التدخل في الشؤون الداخلية والتعاون المتبادل.

ولكن هذا يجب أن يتم بقدر من التحفظ بعيدًا عن التهالك والتهافت، وذلك ضمن تأكيد أن كل ما كان مع النظام السابق يجب أن يُعاد النظر فيه على ضوء العلاقات الجديدة، وهو ما يقرّره البرلمان والرئاسة والحكومة في المرحلة القادمة وليس المرشح أو الحزب منذ الآن، فالإجابة المسبقة متعجّلة وفي غير مكانها ولا حاجة إليها.

شح القيادات وسط الثورات الشبابية

ظاهرة هامة لفتت أنظار الراصدين لميادين وساحات عواصم دول الربيع العربي، وهي عدم وجود قيادات متميزة لهذه الجماهير الهائلة العدد. فمن تَحدث عن هذه الثورات في وسائل الإعلام المختلفة ودخل في تفصيلات كثيرة تتعلق بأسبابها وحاضرها ومستقبلها، هم محللون سياسيون وإعلاميون وليسوا ناطقين باسمها أو قياديين فيها أو واضعي رؤاها أو مساهمين في رسم استراتيجيتها، فهذه الثورات لم تكن لها قيادات واضحة المعالم.

فعلى الضد مما لوحظ من ثراء الميادين الثائرة بالجمهور، لوحظ شح في القيادات، وهي ظاهرة مشتركة إلى حد ما في ميادين الثورات في عواصم الدول الشمولية، وذلك لأسباب موضوعية عديدة. أبرز هذه الأسباب، هو أن الأنظمة الحاكمة قد عمدت إلى انتهاج استراتيجية تصفية ممنهجة، لكل من يبدو عليه أو يصدر عنه ما يشي بتململه أو اعتراضه على الوضع السياسي القائم. فقد شهدت العقود الماضية تصفيات على مستوى واسع للمعارضة، تباينت بين التصفيات الجسدية أو السجن أو الإبعاد.

مما قلص إلى حد كبير قدرات المعارضة في الداخل، واضطر بعضها إلى التخلي عن معارضته والقبول بالأمر الواقع، في حين اضطر بعضها الآخر إلى التوجه نحو الخارج،

والقبول مرغمًا بالهامش الضئيل الذي أتيح له ليلعب من خلاله دورًا محدودًا، لا يساعد على صناعة قيادات جديدة فاعلة، لأنه يفتقر إلى الميدان الحقيقي الذي تصنع فيه القيادات وهو البلد نفسه، حيث المعايشة المباشرة اليومية مع ناسه ومشكلاتهم وقضاياهم، وحيث الاحتكاك المباشر مع السلطة الغاشمة.

إلا أن التصفيات الممنهجة هذه ليست السبب الوحيد لغياب القيادات وشحها في الميادين الثائرة، فهناك سبب آخر جد مهم يكمن خلف ذلك، وهو فشل الأحزاب والحركات التقليدية التي خلبت ألباب الشباب في خمسينيات وستينيات القرن المنصرم (الحركات القومية العروبية والحركات اليسارية الاشتراكية)، وعزوف جمهورها عنها بسبب جمود قياداتها وعجزها عن تفهم روح العصر ومواكبة أطروحاته، وخلو أجندتها من البرامج التي تتعلق بحقوق الإنسان، وفشلها في تجديد رؤاها وتحديث خطابها وتغيير أساليب عملها.

الدولة العميقة

أول من استخدم هذا المصطلح هو المفكر المصري عمرو الشوبكي في صحيفة مصر اليوم (الدولة العميقة) أو دولة داخل دولة بحيث إذا أزيل الرأس (الرئيس وأسرته وزبانيته الكبار) ظهرت الدولة العميقة التي كانت تحكم تحت مظلة الرئيس وأسرته وكبار زبانيته لدينا في السودان مثل دارجي يقول (بطنوغريقة) وهذا يعني كما يقول الكاتب السوداني د. عبد اللطيف البوني في عموده حاطب ليل في صحيفة السوداني بتاريخ ١٧ يونيو٢٠١٢م إن لديه قدره على امتصاص الهجمة الأولى وعدم إظهار أي تبرم ثم فيما بعد في الوقت المناسب يتحرك وينتقم وبصورة ناعمة أو خشنة فهو يظهر التسامح ولكنه حقيقة لا ينسى ولا يتنازل، فردة فعله ليست سريعة إنما يكتم مشاعره، غير أن هذا يحتاج إلى مناخ خاص والأهم أن الدولة العميقة تعتمد على التراكم الكمي بعامل الزمن أو بمعنى آخر السردبة وهي أيضًا كلمة محلية سودانية.

الدولة العميقة بعد أن تسردب يمكن أن تأتي ضربتها سريعة كما حدث في الجزائر عام ١٩٩٢م عندما ألغى الجيش الجزائري نتائج الانتخابات التشريعية التي حققت فيها

الجبهة الإسلامية للإنقاذ فوزًا ساحقًا ثم بدأت وتيرة العنف بين الإسلاميين والجيش الجزائري واستمرت عشر سنوات سميت بالعشرية السوداء، كذلك السيناريو الروماني حيث انشق فصيل من الحزب الشيوعي الذي كان يرأسه **شاوسسكو** وشكل حزبًا سياسيًا وفاز في أول انتخابات ١٩٩٢م وأعاد رومانيا إلى كوادر الحزب الشيوعي أو بعد حين كما فعل المجلس العسكري في مصر وعبر المحكمة الدستورية ألغى مجلس الشعب المنتخب بعد ثورة ٢٥ يناير والذي اكتسحه الإسلاميون الذين وقفوا في فترات عصيبة بعد الثورة معضدين للمجلس العسكري فصب عليهم ماءً باردًا شل تفكيرهم وأبعدهم عن القوى الثورية وهل هذه تدخل ضمن خطة القوى الغربية في محاولة احتواء وإضعاف قوى الربيع، والأقرب إلى السيناريو المصري هو السيناريو الأوكراني الذي في ظله فشلت قوى الثورة في التوصل إلى توافق فيما بينها يطمئن الجماهير ويستجيب لطموحاتها، فضاقت بها واعتبرت الثورة التي قامت عام ٢٠٠٤م عبئًا عليها ومن ثم ازداد حنينها إلى النظام القديم مرة أخرى وفي أول انتخابات حرة اختارت الجماهير عودة النظام القديم حين فاز فيكتور يانكوفيش بالانتخابات وهو من أسقطته الثورة البرتقالية قبل ست سنوات وكان السبب أن النظام البديل الذي قاده فيكتور يوشينكو فشل في عملية الإصلاح حتى اعتبره الناس أسوأ من سابقه.

يمكن للدولة العميقة أن تتماشى مع الثورة وأهدافها إلى أن تحدث تصدعات أو فتنة في صفوف الثوار وتضعف همتهم ثم تكشر عن أنيابها، أي الدولة العميقة (الجيش والأمن وفلول الحزب الحاكم للنظام السابق) فتحل المجالس المنتخبة وتعود الى أساليبها الأولى.

مآلات ثورات الربيع العربي

لقد سقطت حواجز الخوف والطاعة (وما زالت تسقط تدريجيًا) التي صرفت الأنظمة على تشييدها الكثير من ثروات المواطنين وقوت عملهم وعرق جبينهم.

ومع دخولنا عام ٢٠١٢م فقدت السلطة السياسية في البلاد العربية الكثير من هيبتها ومن شرعيتها السياسية، ويتضح أنها في طريقها إلى فقدان المزيد من الشرعية حتى لو لم

تقع ثورة في مواجهتها في كل دولة، فالشرعية أمر محسوس في الشارع وفي المؤسسات في المجتمع. إن تراجع الشرعية العربية في عام ٢٠١٢م سيعني ضعف قدرة السلطات على استعادة توازنها في المجتمعات العربية التي لم تقع فيها الثورات. لهذا فتوازن هذه الدول أصبح مرتبطًا بمدى مقدرتها على إدارة تغيير جوهري في العلاقة مع المواطن خاصة الشباب من الجيل الصاعد. هذا سيتطلب السير نحو تحول ديمقراطي حقيقي والعودة إلى مشروع بناء الدولة الحديثة وجوهره حقوق ثابتة للمواطن في تقرير شؤون السياسة في وطنه.

ونكتشف أيضًا أنه في الدول التي وقعت فيها الثورات مثل مصر لم تنتصر الثورة بالكامل، لهذا تتصادم بحقائق صعبة في المرحلة الانتقالية تتعلق بدور الجيش والمجلس العسكري في السياسة والاقتصاد، ونكتشف أن روح القمع وتحديد الحريات والحد منها ومواجهة وسائل الإعلام وحبس الصحفيين والتعسف وقتل المتظاهرين ما زالت مستمرة في الدول التي وقعت فيها الثورات كما هو حاصل في مصر اليوم. وهذا يدفع مصر بالتحديد إلى الاستمرار في الثورة وربما السير نحو جولة ثانية من الثورة. إن استمرار سعي الجيوش للسيطرة على الحياة السياسية سيبقي الاقتصاد الوطني محدودًا وسيحد من النمو وسيبقي الفساد منتشرًا وسيؤدي بطبيعة الحال إلى فشل كبير في حل المشكلات التي سببت الثورة على الديكتاتورية.

ومن الواضح أن عام ٢٠١٢م سيكون عام الإسلام السياسي وتمكنه في الدول العربية. الإسلام السياسي يقود المرحلة، ويتحول إلى ممرنا الأهم كعرب للدخول إلى العالم الديمقراطي. لقد تحول الجامع بمكوناته النفسية والدينية والسياسية إلى مكان جامع، وذلك بعد أن حرمنا من السياسة على مدى عقود عدة. وعلى رغم كل المشكلات التي تكتنزها بعض أفكار الإسلام السياسي فإن الشق السياسي لهذا الإسلام فيه الكثير من القوة والقدرة على التغيير. في الإسلام السياسي أجيال مختلفة التوجهات والتجارب والرؤى، بل من المرجح أن التيارات الإسلامية ستتواجه هي الأخرى مع تغيرات كبرى وأجيال صاعدة في تنظيمها ممن يفهمون العالم المحيط بهم من زوايا أكثر تفهمًا للآخر. عام

٢٠١٢م سيفرض على الإسلام السياسي تحديات رئيسية كالتعامل مع البنوك والاقتصاد والتنمية والمرأة والسياحة والترفيه وكل ما يصطدم بالحريات. سيضطر الإسلام السياسي، سواء كان في السلطة أو متحالفًا معها، إلى تحديد موقف من القمع ومن استمرار الثورة في بعض الحالات ومن انتهاكات حقوق الإنسان في حالات أخرى. قد يجد الإسلام السياسي أنه يخسر قواعده في مناطق بينما يكسب قواعد أخرى في مناطق أخرى. في هذا الحراك الجديد قد يخسر الإسلام السياسي الكثير من قوته إذا فشل في التعامل مع الحريات والتنمية والحقوق والديمقراطية والجيل الثوري بمرونة وانفتاح، كما قد يكسب مزيدًا من النفوذ والقوة إذا نجح في التأقلم مع مجتمعات حرة وبلاد متحولة وانفتاح حتمي.

الفصل الخامس
مستقبل علاقات العرب بالعالم بعد ثورات الربيع العربي

توطئة:

أتناول في هذا الفصل ومما تقدم استقراءً لمستقبل علاقات العرب مع العالم، والتطور الذي يمكن أن يحدث فيها على ضوء التغييرات الراهنة في الساحة السياسية العربية. وعلينا أن نأخذ هذا الاستقراء بحذر فكما يشير عنوان الكتاب أن هذه الثورات أي الربيع العربي ثورات لم تكتمل بعد، ومهما أحسن الظن بها وبمسيراتها نحو الحرية والديمقراطية والاستقرار والتنمية إلا أننا لا نبتعد عن الحقيقة عندما نقول إن هنالك على الأقل احتمالين أساسيين فإما أن تتغلب على العرب خلافاتهم ونزاعاتهم وفتنهم وأطماعهم والمؤامرات الداخلية والخارجية فترتد الثورة وتأكل بنيها وتذهب ريحها ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وإما أن يعصمهم دينهم ومبادئهم وشعاراتهم ودروس الماضي فيتوحدوا ويمضوا إلى الأمام.

هذا الاستقراء عن المستقبل لعلاقات العرب مع العالم قائم على الاحتمال الثاني، الوحدة والعصمة بالدين والأخلاق ونبذ الفرقة والشتات ونجاح الثورات في تحقيق أهدافها وحيث إن القوى الصاعدة للحكم، والتي أفرزتها ثورات الربيع العربي وأعني بها القوى الإسلامية أو ما يسمى بقوى الإسلام السياسي والتي عبرها عبرت الجماهير العربية أن الإسلام يعتبر موجهًا أساسيًا للشعوب العربية ومركوزًا في وجدانها، قد انطلقت بشعارات ومرجعيات جعلت من الأخلاق والقيم قاعدة أساسية للسلوك البشري في إدارة شؤون الحكم (إنما بعثت لأتمم مكارم الخلاق) حديث شريف. وهذا المنطلق يتصادم ويتعارض مع ما ظل يدعو إليه الميكافيليون العرب الذين ظلوا يدعون إلى إبعاد الدين والقيم والأخلاق عن الحكم. فالوصول إلى الحكم عبر وسائل ديمقراطية ليس هو نهاية المطاف إن لم يكن محكومًا بالقيم والأخلاق التي تجعل الحاكم يفي بوعوده

تجاه شعبه فالديكتاتور الألماني هتلر وصل إلى الحكم عبر انتخابات ديمقراطية لكنه بعد ذلك كان يخفي تحت وسادته كتاب " الأمير" لميكافيللي ينام هانئًا تحت وصيته الشهيرة (الغاية تبرر الوسيلة) وتروي ذات الحكاية عن ستالين وموسيليني وفرانكو وغيرهم من الديكتاتوريين الذين أباحوا لأنفسهم استخدام أشنع أساليب القمع والاضطهاد من أجل غايات رسموها لأنفسهم وأهداف وضعوها فوق كل اعتبار أود أن أذكر بعض الخصائص التي تميز هذه القوى الصاعدة بعد الربيع العربي والتي يمكن استخدامها كمؤشر لما ستكون عليه علاقات العرب مع العالم بعد صعود هذه القوى للحكم. أولى هذه الخصائص الشرعية الشعبية هي قوى منتخبة من قبل الشعب ترتكز على قناعة شعبية واسعة لا بد أن تراعي رغباتها وتوجهاتها مما يجعلها أكثر استقلالاً في اتخاذ القرار وأكثر تحررًا من التأثر بالضغوطات الأجنبية التي تجد طريقها في الأنظمة الديكتاتورية، ثانيًا هذه القوى ملتزمة بشعارات الثورة التي انتفضت ضد الاستبداد والفساد والتبعية وبالتالي ستكون أكثر استعدادًا للالتزام بقواعد حقوق الإنسان. ثالثًا مرجعياتها إسلامية والدولة في الإسلام هي دولة القانون مهمتها تحقيق العدل ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]، وللإسلام مواقف واضحة تجاه قضايا الظلم والمستضعفين في الأرض مثل قضية فلسطين وقضايا إفريقيا والشعوب النامية، وجنوح الدول الكبرى إلى الهيمنة وتدخلها في شؤون الآخرين لا بد لهذه القوى الصاعدة أن تضع هذه المواقف في الحسبان في علاقاتها الإقليمية والدولية.

ولمزيد من التفصيل نستقرئ هذه المواقف وانعكاساتها المتحملة على العلاقات العربية الإقليمية والدولية.

أولاً: العلاقات الإقليمية

أ: علاقة العالم العربي مع الكيان الصهيوني (إسرائيل)

فمن المؤكد والذي لا شك فيه، أن تغييرًا جذريًا سيحدث في علاقات هذه البلدان الثائرة مع إسرائيل إذ أن نوعية علاقات الأنظمة البائدة في هذه الدول مع إسرائيل

كان واحد من الأسباب الرئيسية لقيام هذه الثورات، وقد وضح ذلك في مصر وما حدث من اقتحام للسفارة الإسرائيلية وإنزال وحرق العلم الإسرائيلي، وإلغاء اتفاقية بيع الغاز لإسرائيل ما هو إلا دليل على ذلك وفيه رمزية ثورية للتحرر من العلائق مع إسرائيل، وتبع ذلك المناداة بفتح معبر رفح الحدودي بين مصر وقطاع غزة لإيصال الدعومات إلى الفلسطينيين، مع مناداة صريحة من ثوار الربيع العربي في مصر وليبيا واليمن وتونس وسوريا لقطع العلاقات مع إسرائيل وفورًا، إضافة إلى أن الأنظمة الإسلامية الحاكمة في دول الربيع العربي تتمتع بقدر كبير من حرية القرار مما يمنحها مساحة كبيرة لتشكيل علاقاتها الخارجية بعيدًا عن الإملاءات والضغوط، مع استحالة تسخير الأنظمة الجديدة لخدمة إسرائيل، فالسند الشعبي الذي وجدته هذه الثورات يحتم الانحياز الكامل إلى نبض الشارع العربي الغاضب من وجود إسرائيل في أرض فلسطين المحتلة. وهذا موقف أمة وليس موقف ثورات أو أفراد.

بل إنه من المتوقع أن تطرأ تغييرات كبرى في العلاقات الدولية العربية نتيجة لما ستؤول إليه علاقة الأنظمة العربية الإسلامية الحديثة (أنظمة دول الربيع العربي) مع إسرائيل في ظل الانحياز الغربي الكامل لإسرائيل، وعمل الغرب على تسخير واستخدام علاقاته مع العرب وثرواتهم ضدهم ولخدمة إسرائيل وأمنها في انحياز واضح.

مع الأخذ في الاعتبار قوة التسلح الإسرائيلي ممثلة في الأسلحة النووية والكيميائية المحرمة دوليًا، والتي ترجح كفة القوة لصالح إسرائيل في ظل ضعف التسلح العربي الذي لا يعدو كونه تسليحًا تقليديًا في حماية أمريكية أوروبية لإسرائيل ومساندتها في المضي قدمًا في هذا الاتجاه بل والعمل على استثنائها من برنامج نزع الأسلحة المحرمة دوليًا باعتبارها دولة صغيرة ومستهدفة من جيرانها العرب على حسب زعمهم، وكذلك تشجيعها لتطوير ترسانتها من الأسلحة لمجابهة الإرهاب الإسلامي العربي ومدها بآخر ما وصلت إليه تكنولوجيا الأسلحة وأنظمة التحكم من بعد وتكنولوجيا الأقمار الاصطناعية لاستخدامها في حماية أمن إسرائيل والتجسس على جيرانها، مع

العلم بأن ذات هذه الدول تنادي بإيقاف برنامج إيران النووي ومن قبلها اجتاحت هذه الدول العراق بحجة وجود أسلحة نووية وكيميائية في تحيز سافر يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الانحياز الغربي الكامل لإسرائيل ضد جيرانها العرب، على الرغم من المصالح الضخمة التي تربط الغرب مع العالم العربي في عدة مجالات، وأهمها المجال الاقتصادي باعتبار الشرق الأوسط هو أكبر الأسواق الدولية لمنتجات الغرب وكذلك استثمار الأموال العربية في مؤسسات غربية، هذا غير اعتماد أوروبا بنسبة كبيرة على البترول العربي. فاستقراء المستقبل للعلاقات العربية الإسرائيلية يوحي بأن هذه التطورات ستخلف بيئة شرق أوسطية أكثر صعوبة وتعقيدًا بالنسبة إلى إسرائيل واتفاقية السلام مع مصر والأردن.

ب: العلاقات العربية الإيرانية

إن التحولات الثورية التي تشهدها المنطقة منذ مطلع العام المنصرم أثرت بشكل مباشر على اندلاع الاحتجاجات في كثير من البلاد العربية، والذي ما زال يؤثر بدوره ويشكل جاد على علاقات الدول المذكورة مع دول الجوار، وعلى علاقاتها مع الدول غير العربية التي ترتبط بعلاقات استراتيجية مع تلك الدول العربية آنفة الذكر، ومن المؤكد أن تؤثر الثورات الشعبية على علاقات تلك الدول العربية بدول الجوار كإيران وتركيا.

لكن كيف ترى إيران التي باتت قوة رئيسية التطورات المتسارعة في المنطقة؟

وما مدى تأثير تلك التطورات في المنطقة على علاقتها مع العرب؟

للإجابة على التساؤلات أعلاه سنلقي الضوء على:

١ -سياسة إيران الخارجية

تسعى إيران منذ قيام الثورة الإسلامية عام 1979م بقيادة آية الله الخميني مؤسس الجمهورية الإسلامية الإيرانية من خلال سياستها الخارجية إلى الانفصال عن التبعية للغرب وإلى الابتعاد عن الولايات المتحدة الأمريكية، وقد اتجهت في إطار ما سماه البعض سياسة تصدير الثورة نحو الخليج والشرق الأوسط بهدف أن تكون قوة إقليمية في المنطقة. كما سعت في عهدي خاتمي ورفسنجاني إلى إعادة النظر في سياستها

مع الغرب ومع الولايات المتحدة الأمريكية بهدف الامتثال للقانون الدولي، ومع ذلك فقد تأزمت علاقات إيران مع الولايات المتحدة الأمريكية ومع الاتحاد الأوروبي مرة أخرى في عهد أحمدي نجاد باتخاذه محور الشرق بدلاً عن محور الغرب باعتباره هدفًا أساسيًا لسياسته الخارجية.

رغم الانتكاسات التي عرفتها سياسة إيران الخارجية وما واجهها من عقبات، فإنه يجب القول: إن إيران حافظت على ديمومة عناصر حياديتها، وكان هدف إيران في استراتيجية سياستها الخارجية خلق هذه الديمومة ورسم خطوط لها طويلة الأمد، ويتضح من سياسة إيران على المدى المتوسط والطويل، أنها معتمدة على محاور الحيادية لتكون هدفها المستقبلي. وقد أظهر الرئيس خاتمي في سياسته الخارجية توافقًا وانسجامًا مع الغرب من خلال النقاشات الدائرة في إطار حوار الحضارات. ورغم أنه كان يظهر ليبرالية أكثر من أي رئيس إيراني آخر، فإنه لم يتوانَ في صرف مبالغ أكثر من غيره للتسليح العسكري، ونلاحظ أن جميع رؤساء إيران كانوا متناغمين مع رجال الدين لمتابعة البرنامج النووي الممتد من زمن الشاه وكذلك متابعة سياسة الخميني المناوئة لإسرائيل مما يصب في مصلحة الأمن العربي وليس العكس. ومن عناصر استمرارية سياسة دولة إيران، وربما الأهم من بينها: سعي إيران أن يكون لها "دور إقليمي فاعل" ابتداء من الخميني ورفسنجاني، ومرورًا بخاتمي حتى أحمدي نجاد، فقد ظل الهدف الرئيسي لرؤساء وزعماء إيران هو الرقي بإيران حتى تتربع على عرش الدولة القائدة في جغرافية الشرق الأوسط.

إن المستجدات والمتغيرات التي نشهدها اليوم في منطقة الشرق الأوسط والتي أطلق عليها اسم "الربيع العربي" لا توفر لإيران مجالات واسعة للمناورة من الناحية الجيوسياسية، خصوصًا في ضوء سياسة إيران الخارجية المتهمة عربيًا بتصدير الهوية العرقية والمذهبية (التشيع) مما أوجد حذرًا في التعامل العربي.

ثمة وجهة نظر أخرى تقول إن هذه الثورات ما هي إلا صحوات إسلامية تمثل امتدادًا للثورة الإسلامية في إيران، وعليه فالأصل أن تكون متصالحة معها متقاربة

منها خصوصًا أن الأنظمة الديكتاتورية السابقة (مصر، تونس، ليبيا) ظلت في خصومة مع جمهورية إيران الإسلامية.

٢- الربيع العربي والسياسة الإيرانية

مع انطلاق الربيع العربي من تونس ثم مصر ثم اليمن، وبعد وصول الثورة إلى ليبيا، ظلت إيران تراقب مسيرة هذه الثورات عن قرب، ومما لا شك فيه أنه من الممكن القول إن تسارع تطورات الأوضاع في المنطقة دفع إيران إلى توسيع نطاق تأثيرها الإقليمي ونفوذها في المنطقة، مع الأخذ بعين الاعتبار ما يزعمه البعض بالطموحات الإيرانية بإقامة الهلال الشيعي في المنطقة، ويظهر ذلك في دعمها للنظام السوري، بل والوقوف ضد المقاومة السورية في موقف مخالف لمواقفها تجاه الثورات في مصر وليبيا وتونس واليمن والتي كانت من أول المباركين لها.

ومع قرار الولايات المتحدة الأمريكية الانسحاب من العراق، شعرت إيران بارتياح شديد وبالسعادة البالغة لتأثير الأخطاء الأمريكية المرتكبة في العراق في دفع شعوب المنطقة إلى الإطاحة بحكوماتها، فالإطاحة بحكومتي مبارك وزين العابدين المواليتين لإسرائيل يعتبر تطورًا شديد الأهمية بالنسبة إلى طهران، خصوصًا أن مصر كانت تتحرك في ظل الإدارة الأمريكية وتعد من أقوى دول المنطقة وأكثرها تأثيرًا في السياسة العربية وعلى قرارات جامعة الدول العربية والتي أصبحت عاجزة عن اتخاذ القرارات القوية في القضايا العربية، وذلك لتواطؤ الحكومة المصرية السابقة مع أمريكا والغرب من أجل حماية أمن إسرائيل وكذلك الحال في تونس والتي لا تقل خنوعًا عن سابقتها.

ومن أجل التقارب العربي الإيراني لا بد من اتخاذ الخطوات التالية:

- الاعتراف وعدم تجاهُل إيران، فهى دولة هامة وفاعل أساسي في العديد من القضايا الإقليمية والعربية ولا يمكن تجاوزها.
- أهمية التنسيق مع إيران، ووضع آلية للحوار العربي -الإيراني.
- ضرورة تجاوز الصور الذهنية النمطية عند الطرفين التي ترسخت على مدى

العقود الثلاثة الماضية منذ الثورة الإسلامية، والنظر إلى مواطن الخلاف والتلاقي، الأمر الذي يقتضي إرادة سياسية وتواصُل شعبي ونخبوي بين الطرفين.

- أهمية البدء بتعزيز علاقات التعاون التجاري والاقتصادي فهذا يُمثل إطارًا عامًا مُشجعًا للحوار السياسي.
- ضرورة اتخاذ ما يُسمى بـ"إجراءات بناء الثقة" بين الطرفين العربي والإيراني وتفهُم كل طرف لمصالح الطرف الآخر وعدم تدخل أي طرف في الشؤون الداخلية للآخر وعدم إيواء المتطرفين والإرهابيين من الطرفين.
- التنسيق مع إيران فيما يتعلق بالخطاب الديني أمر هام لأنهُ يجب أن يكون هُناك خطاب ديني إسلامي متناغم، ويُعتبر هذا أحد المحاور الأساسية للتعاون العربي الإيراني.
- أن إيران يجب عليها أن تبذل جُهدًا لتهدئة مخاوف الدول العربية خصوصًا دول الخليج، والمُبادرة بمد جسور التعاوُن في مُختلف المجالات لا سيما الاقتصادية والثقافية والاهتمام بالشعوب ومُخاطبة الشعوب العربية والتقارُب معها.
- أهمية تشكيل الوعي العربي بإيران وبلورة رؤية مُشتركة.
- يجب أن تكون هُناك سياسة خارجية تفاعُلية وإيجابية وخصوصًا مع إيران.
- أهمية التعاون بعيدًا عن الصراعات المذهبية والفصل بينها وبين المصالح المُشتركة.
- العمل على الاستفادة من التقدُم العلمي الإيراني في العديد من المجالات، ومن ثم فتح باب التبادُل العلمي بين العالم العربي وإيران.
- على إيران أن تلعب دورًا إيجابيًا في سوريا بدفع النظام السوري إلى الإصلاح والمرونة والتوجيه بوقف القتل والدمار، فالعالم العربي ينظر إلى دور إيران بشيء من التوجس، لذا على إيران اتخاذ خطوة جدية في إنهاء الأزمة السورية باعتبارها الحليف الأساسي للنظام السوري.

- تأكيد وحدة العالم الإسلامي بغض النظر عن الانتماءات الطائفية والفكرية والأيدلوجية الضيقة، والعمل على قتل المخطط الأمريكي الذي يصور المد الشيعي على أنه الأخطر على العالم العربي من الوجود الإسرائيلي.
- البعد عن التراشق الإعلامي بين ما يعرف بالكتلتين السنية والشيعية وتوظيف الأجهزة الإعلامية في إبداء حسن النوايا وتقوية نقاط الالتقاء وعدم التطرق إلى نقاط الاختلاف وتنقية الأجواء الإعلامية من الأصوات المتطرفة والنشاز الفكري.

أخيرًا، يجب توفر الثقة – ولا شيء غير الثقة - فبها تطفأ نار الخلاف، وتتقارب وجهات النظر، وتموت الفتنة، ويذهب الكدر عن العلاقات العربية الإيرانية، فيكون الأمن ويكون الاستقرار، ومن ثم تكون الوحدة، وبها نمتلك القوة– قوة العالم الإسلامي – فيكون ذلك بمثابة آخر إسفين في نعش المكر الأمريكي الصهيوني، والذي ظل يروج وبلا توانٍ لخطورة الدور الإيراني في المنطقة، مصورًا إيران بأنها العدو الأول... لكن ذلك لن يغيب عن فطنة النخب الإسلامية الحديثة الحاكمة في بلدان الربيع العربي ولا عن فطنة الشعوب العربية والإسلامية، فهي تعرف من هو العدو ومن هو الصديق، فليس للأمة العربية إلا عدو معروف للجميع وهو الكيان الصهيوني المغتصب، أما إيران فهي دولة إسلامية وإن كانت هنالك اتهامات لإيران بمحاولة تصدير الثورة الإسلامية والمذهب الشيعي إلى بلدان العالم العربي والإسلامي، إلا أن ذلك حتمًا لا يضعها في موضع العدو بأي حال من الأحوال فحتى الدول العربية والتي لها خلاف مباشر مع إيران تدرك تمامًا أن إيران ليست هي العدو وأيضًا تدرك أن التعصب المذهبي موجود في أي بلد من بلدان العالم المسلمة وغير المسلمة أيضًا فهو شيء له علاقة بطبيعة النفس البشرية والتي تنزع إلى التعصب للدين أو الطائفة أو القبيلة أو اللون أو اللغة أو البلد... إلخ، لذا فلا خوف على العلاقات العربية الإيرانية إذا ما التزم الجميع الوسطية في تناول الأمور والتي تعني حقيقة واحدة لا غيرها، وهي أن الكل (شيعةً كانوا أو سنة) ينضوون تحت لواء الإسلام

وكلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم).

خلاصة:

العلاقات العربية الإيرانية بعد الربيع العربي ستشهد تطورًا كبيرًا في ظل وجود نقاط التقاء كثيرة بين الطرفين أكثر من نقاط الاختلاف إلا أن ذلك يتطلب وجود قيادات بمواصفات خاصة، من أجل قطع الطريق على التطرف المذهبي الذي يرتكز على نقاط الاختلاف رغم قلتها.

تأكيد حقيقة أن العدو واحد لكلا الجانبين العربي والإيراني مما يستدعي المزيد من التقارب والتنسيق لمجابهة هذا العدو ولأجل إعداد العدة الملائمة للتصدي للتربص الغربي والصهيوني بالعالم الإسلامي.

تقارب الطرفين يكمن أساسًا في سد الطريق أمام المحاولات الغربية التي تحاول بكل ما أوتيت من حيل ومكر للإيقاع بين الشيعة والسنة في العالم الإسلامي.

ج: العلاقات العربية التركية

باركت تركيا ومنذ الوهلة الأولى التغيير الإيجابي الناجم عن الربيع العربي وظلت تبذل جهودًا كبيرةً من أجل تخفيف حدّة دوامات الخراب الناجمة عن رياح ثورات الربيع العربي التي عصفت بالمنطقة وتحديدًا في سوريا، كما أنها تسعى جاهدة لإحلال الأمن والسلام في المنطقة وقد أكدت تركيا منذ انطلاق الثورات العربية عن مساندتها للشعوب العربية بشكلٍ واضح، لتؤكد لنا حقيقتين اثنتين:

الحقيقة الأولى: أن المرحلة الجديدة التي تمر بها الدول العربية مرحلة صحية تمامًا، وأن استمرار الأنظمة العربية الاستبدادية، التي هي من بقايا الحرب الباردة، وقد ذهبت غير مأسوف عليها وفي ظل هذا التغيير فإن الإصلاح والتغيير أمران لا بدّ منهما. وفي هذا السياق دعت تركيا على لسان رئيس الوزراء ووزير خارجية حكومة حزب العدالة والتنمية قادة الدول العربية أن يكونوا قادة الإصلاح والتغيير بدلاً أن يقفوا في وجه رياح التغيير.

الحقيقة الثانية: أن الدول العربية والإسلامية هي الأقرب وجدانيًا لتركيا، كما أن

هنالك قواسم مشتركة كثيرة تجمع بين تركيا والعالم العربي، فالتاريخ خير شاهد على عمق هذه العلاقات والوشائج ومن أقواها وأعظمها وشيجة الدين الإسلامي. فتركيا دولة إسلامية ولا غبار في ذلك مهما حاولت الأيدي العلمانية العابثة أن تطمس هويتها الإسلامية، فتركيا وفي تاريخ قريب كانت صاحبة أكبر إمبراطورية إسلامية في المنطقة، وكانت إستانبول من أكبر مراكز الإشعاع الإسلامي على مستوى العالم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، قبل وصول مؤسس تركيا العلمانية مصطفى كمال أتاتورك إلى سُدة الحكم في تركيا وما فعله من محاولات لطمس الثقافة الإسلامية لحساب الثقافة الغربية وعلى مقربة من مسجد السلطان عبد الحميد والذي يقف شامخًا مدللاً بمآذنه على الانتماء الإسلامي لتركيا وشعبها، إلا أن أتاتورك وسدنته حاولوا جاهدين قيادة تركيا في منحى مختلف عن المسار الطبيعي ومغايرًا لثقافة وأيدولوجية الشعب التركي المسلم، قبل أن يعيد إسلاميو تركيا الحديثة الأمور إلى نصابها لتعود تركيا إلى حظيرة الدول الإسلامية.... ومن الشواهد على ذلك، أن تركيا بذلت جهودًا خرافية للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي إلا أن أوروبا كانت تتحجج بحججٍ سياسية واقتصادية واهية، إلا أن السبب الرئيسي وكما هو معلوم لكل مسلم هو انتماء تركيا إلى العالم الإسلامي ودين الإسلام، والذي تعتبره أوروبا أكبر مهدد أمني لها في المنطقة، والحقيقة الجلية هي أن جماعات الضغط المناهضة للدين الإسلامي، والكنيسة البابوية والمنظمات المسيحية والصهيونية هي وراء عدم انضمام تركيا الإسلامية إلى الاتحاد الأوروبي، عليه فإن تركيا هي الأقرب إلى العالم العربي، وأن وصول الإسلاميين المعتدلين إلى الحكم في العالم العربي بعد ما يسمى بالربيع العربي، يساعد تركيا كثيرًا في تعميق وتمتين علاقاتها مع العالم العربي، وستلعب تركيا دورًا كبيرًا في المنطقة خصوصًا مع التراجع المتوقع للعلاقات العربية مع أمريكا ودول الاتحاد الأوروبي، فبالإضافة إلى العنصر التاريخي، فالموقع الجغرافي لتركيا استراتيجي ومهم جدًا للأمن العربي ففي حال تمتين العلاقات التركية العربية وانحياز تركيا الكامل إلى القضايا العربية، فسيضمن العالم العربي ألاّ يؤتى الأمن العربي من بوابة تركيا وكذلك ضمان عدم

استخدام الأجواء التركية وأراضيها في توجيه أي ضربات عسكرية لدول الشرق الأوسط العربية والإسلامية وقطع الطريق أمام المساعدات الأوروبية للكيان الصهيوني، كما أن تركيا قد تصبح دولة ربط بين العالمين العربي والغربي في حال رغب الغرب في تغيير استراتيجيته مع العالمين العربي والإسلامي وفقًا للمعطيات والشروط العربية للعلاقات مع أوروبا، إضافة إلى ذلك فإن تركيا تعتبر قوة اقتصادية ناهضة في المنطقة ودولة معتدلة في علاقاتها الخارجية. فكل الدلائل تشير إلى علاقات متميزة متوقعة بين تركيا والعالم العربي على ضوء التطورات الحديثة. خلاصة الأمر تعتبر تركيا الحصان الرابح حتى الآن في خضم أحداث الربيع العربي خصوصًا أن الكثير من المحللين يقارن بين حزب العدالة والتنمية التركي وأحزاب إسلامية ناشئة أو قديمة كحزب العدالة والتنمية المغربي أو حزب الحرية والعدالة المصري أو حزب النهضة التونسي والتي ربما تستلهم التجربة التركية في الحكم وهو ما تدركه تركيا جيدًا وتسعى إلى دعم دورها الريادي في المنطقة على أساس أنها ملهمة القوى الإسلامية في المنطقة، خصوصًا مع تراجع الدور الأمريكي وقد أعلنت تونس مؤخرًا اعتماد اللغة التركية كلغة رسمية تدرس في المدارس التونسية.

د: رؤية مستقبلية لعلاقات العرب الإقليمية أو المثلث (العربي -التركي – الإيراني)

من خلال تعرضنا فيما سبق للعلاقات العربية الإيرانية والعلاقات العربية التركية وهي في حقيقة الأمر علاقات (إسلامية - إسلامية) فوصول التيارات الإسلامية في دول الربيع العربي وكذلك تركيا وإيران يرفع الطموح الإسلامي لبناء مثلث إسلامي أضلاعه إيران وتركيا والعالم العربي في ظل التقارب السياسي والاقتصادي المتوقع في ظل التغيرات الحاصلة في منطقة الشرق الأوسط مما يبشر بحلف سياسي اقتصادي قوي يشكل نواة لكتلة عربية إسلامية دولية قوية تعطي ضوءًا أخضر لعالم إسلامي موحد ومتفق وجدانيًا وسياسيًا وأيدلوجيًا وترسل إشارة حمراء إلى أعداء الإسلام لتنبيههم حتى لا يستمروا في غيهم وعنجهيتهم في التعامل مع دول العالمين الإسلامي والعربي. وهذا هو المبتغى والمأمول من هذا التقارب الثلاثي، فإذا كان في تحالف

وتوحد هذا الكيان الثلاثي قوة ضاربة فإن في تنافر أضلاع هذا المثلث تبديدًا لهذه القوة وهدم لصرح العالم الإسلامي المرجو وضياع لفرصة الوحدة الإسلامية والعربية والتي هي حلم ظل يراود كل الأجيال منذ مغيب شمس الأندلس ومن بعدها الدولة العثمانية وإلى يومنا هذا، ففي ظل غياب التوافق السياسي وعلو كعب الشطط الفكري فإن الأمر لن يتوقف عند التباعد والمقاطعة بين دول الشرق الأوسط خصوصًا الدول العربية وإيران، بل فإن الأمر قد يتطور إلى الاحتراب والتقاتل (لا قدر الله) في ظل مباركة غربية ظلت تبذر بذور الفتنة والشقاق بين العرب وإيران من جهة وتركيا وإيران من جهة أخرى، ومن المؤكد أنها سوف تعمل بكل ما أوتيت من قوة لمنع هذا المثلث من التقارب لعلمها التام أن مثل هذه التحالفات فيها خطورة على التسلط الغربي ومصالحه في المنطقة وعلى الكيان الصهيوني ووجوده في الساحة، كما أن هذا يعني استقلالية عربية إسلامية عن الغرب مما يهدد مصالح الغرب وينذر بفقدان الأموال والنفط العربيين اللذين هما عماد الاقتصاد الغربي الذي أصابه الوهن بعد الأزمة المالية الدولية.

لكن من خلال قراءتنا للواقع السياسي استنادًا إلى التاريخ ماضيه وحاضره ومستقبله فإن حلفًا إسلاميًا سيولد مستقبلاً وسيكون قوام تكوينه هذا الثلاثي آنف الذكر لأسباب أظنها مقبولة وهي:

أن لكل ضلع من أضلاع هذا المثلث مزايا وخصائص لا تتوفر في غيره مما يعطي صفة التكاملية بين هذا الثالوث، فالعرب لديهم الأموال والثروات وإيران لديها القوة العسكرية والعقول المفكرة والتقدم العلمي وتركيا تجمع ما بين الإرث الحضاري الإسلامي القديم والانفتاح والحداثة مع ميزة التكنولوجيا والعمق الاستراتيجي.

الضغوط الكبيرة التي يواجهها الشرق الأوسط الإسلامي خصوصًا هذا الثالوث من العالم الغربي كلٌ على حده... فتركيا تواجه استهدافًا مباشرًا لمشروعها الحضاري الإسلامي الذي ينادي ببعث روح التكامل الإسلامي الشامل، وإيران تواجه استهدافًا لبرنامجها الإسلامي والذي تطمع معه إيران إلى أسلمة كل الأنظمة الحاكمة في الجوار

العربي والآسيوي فيما يعرف بـ (تصدير الثورة الإسلامية) والتي ترمي من خلالها إلى الوحدة والتقارب الإسلامي والتحرر من التبعية إلى الغرب وكذلك تواجه استهدافًا مباشرًا لبرنامجها النووي والتكنولوجي والذي يعتبر مهددًا للوجود الإسرائيلي الغاصب، والعالم العربي يواجه حملة غربية منظمة لسرقة ثرواته وأمواله بذريعة الحماية من التطرف الشرق أوسطي والدول المتطرفة في سيناريو ترويع وتخويف لهذه الدول من عدو ليس له وجود على أرض الواقع، في حين أن العدو الحقيقي هو إسرائيل التي بلا شك سوف تعمل القوى الإسلامية الصاعدة على التحالف مع بعضها البعض لمقاطعتها ومحاربتها وعدم التعامل معها والعمل على اقتلاعها من العالم العربي ومناصرة الشعب الفلسطيني وتحرير بيت المقدس بإذن الله العلي القدير.

انضواء الدول الغربية وغيرها في تحالفات سياسية واقتصادية وعسكرية (الناتو مثلاً) وتوجيهها لتطويع وترويع دول العالم الحر بما فيها دول (الشرق الأوسط الإسلامي) مما يستدعي وجود تحالفات مماثلة لمقابلة الاستهداف الغربي للشرق الأوسط على وجه الخصوص الأمر الذي يجعل من الأوجب التقارب السياسي بين تركيا وإيران والعالم العربي من أجل خلق كيان إسلامي قوي يكون صمام أمان أمام الأطماع الغربية ويكون آلية إسلامية خالصة تفصل في قضايا المنطقة وفض النزاعات السياسية التي تحدث عادة بين الجيران مما يسهم إيجابًا في استقرار المنطقة دون السماح للقوى ذات الأجندة بالتدخل في الشؤون الداخلية لدول العالم الإسلامي والشرق الأوسط.

من النقاط أعلاه نجد أن ميلاد هذا الحلف الإسلامي متوقع وفي المستقبل القريب وما ميلاده إلا مسألة وقت ليس إلا، بل إنه سيفرض نفسه بصورة ملحة للأسباب آنفة الذكر وستدعمه المصالح المشتركة بين هذه الدول وتكاملية الأدوار، وتأتي حتمية الحدوث في ظل تربص غربي دائم يستدعي التقارب بين أضلاع هذا المثلث وإن كان ذلك على حساب تنازلات من كل الأطراف في الوقت الراهن وتحكيم مصلحة الكل على مصلحة الجزء ومصلحة الأمة على مصلحة الشعوب ليتم للأمة عزها وقوتها

وكرامتها السلبية وفي حالة عدم التحالف والتكامل بين أضلاع هذا المثلث يكون البديل حرويًا لا تنتهي بين أضلاع المثلث الثلاثة.

هل هناك إمكانية ليكون التحالف الثلاثي رباعي يضم إسرائيل؟

يرى العديد من السياسيين والمفكرين العرب أنه في ضوء السيطرة الأمريكية على العالم وانحيازها الواضح تجاه إسرائيل أصبحت حقيقة واقعة على الأقل في الوقت الحاضر، على العرب الاستعداد لقبول إسرائيل كواقع وإمكانية أن تكون جزءًا من تحالف رباعي في المنطقة يضم تركيا وإيران والعرب في مقابل تنازل إسرائيل وإعطاء الفلسطينيين حقوقهم المشروعة. إلا أن هذه الأصوات ما زالت خجولة خوفًا من غضبة الجماهير العربية ويهزمها أيضًا التعنت المستمر والعدوان الإسرائيلي على الأرض والشعب الفلسطينيين.

هـ : مستقبل علاقات العرب مع العالم الإسلامي:

إن قيادة التيارات الإسلامية لثورات الربيع العربي والطبيعة الأيدلوجية والثقافية إسلامية التوجه لهذه الثورات، واعتدال القيادات الإسلامية الصاعدة وانتمائها إلى اليمين الوسطي المعتدل تفتح الباب واسعًا أمام علاقات عربية إسلامية قادمة تتعدى في نطاقها الجغرافي الرقعة العربية والشرق الأوسط إلى الدول الإسلامية في جنوب شرق آسيا وآسيا الوسطي وإفريقيا وأوروبا الشرقية، فالدول الإسلامية وفي جميع بقاع العالم أصبحت تتوق إلى تقارب إسلامي خصوصًا مع دول الشرق الأوسط الإسلامية في تلهف شديد لصحوة إسلامية توحد هذه الشعوب في أقاصي الأرض وأدناها في ظل تحديات دولية تجابهها هذه الدول الإسلامية البعيدة وجدانيًا عن العالم الإسلامي ويجابهها الدين الإسلامي في ظل الحرب الدولية على الإسلام وانتشاره وربطه بالعنف والإرهاب والصعوبات التي تعاني منها الأقليات المسلمة في بلدان كثيرة مثل الهند وبعض دول غرب إفريقيا وشمال شرق آسيا وشرقي أوروبا كما في أذربيجان والجبل الأسود والبوسنة والكاميرون وبوركينا فاسو وغيرها من دول آسيا وإفريقيا، فالمتوقع ظهور تواصل شعبي ورسمي بين شعوب العالم الإسلامي المختلفة وانطلاق الفاعليات الإسلامية كالمؤتمرات والمهرجانات والوفود الشعبية بين الدول الإسلامية في كل بقاع العالم بعد الربيع العربي

فالدول الإسلامية لا شك تخطط للاستفادة من التغييرات التي حدثت في الساحة العربية للتقارب معها وتوقيع اتفاقيات تواصل من أجل الوصول إلى كتلة إسلامية دولية سياسية واقتصادية، فهناك دول إسلامية تمثل قوة اقتصادية وعسكرية ناهضة تشكل نواة حقيقية لحلف إسلامي قوي جدًا منها على سبيل المثال ماليزيا وباكستان وإيران وتركيا وإندونيسيا ونيجيريا بالإضافة إلى الكتلة العربية الغنية مما يبشر بميلاد الحلف الإسلامي الذي يحلم به كل مسلم، خصوصًا أن محاولات سابقة قد طرحت كأطروحة الرئيس التركي السابق نجم الدين أربكان التي دعا فيها إلى تأسيس الكتلة الإسلامية الاقتصادية وتوحيد العملة الإسلامية وأن يصبح الدينار هو العملة الموحدة لدول العالم الإسلامي للتعامل بها فيما بين الدول الإسلامية بدلاً عن اليورو والدولار الأمريكي إلا أن أطروحته لم يتحقق لها النجاح في ظل التنافر والتشظي الذي يعاني منه العالم الإسلامي تحت سقف حكومات متواطئة مع الغرب، ولا تؤمن بالنهوض الإسلامي بل تسخر من مثل هذه الخطوة الجريئة، مع فكرة خلق التوازي بين القوى الغربية والقوى الإسلامية بإنشاء المجموعة الإسلامية في مقابل المجموعة الغربية التي تقوم على الثقافة الدينية وما يعرف بالنادي المسيحي في ظل الاستهداف الواضح من المنظمات التبشيرية للإسلام والتي تعمل في ظروف الأزمات والحروب مستغلة الفقر والضياع وسط الأقليات المسلمة في إفريقيا مثلاً لتنصير أكبر أعداد ممكنة من المسلمين مستخدمة في ذلك الترغيب والترهيب ما يعرف بسياسة العصا والجزرة من أجل التأثير في فقراء المسلمين مما يتوجب تقارب المسلمين ومساعدة الدول الإسلامية الغنية للأقليات الفقيرة بالاستفادة من آليات العالم الإسلامي المالية والاقتصادية وغيرها كالبنك الإسلامي للتنمية ومنظمة الهلال الأحمر ومنظمات رابطة العالم الإسلامي وغيرها من الصناديق والمؤسسات المالية العربية والإسلامية في إنشاء مشاريع تسهم في إزالة الفقر عن الأقليات المسلمة في مختلف بلدان العالم الإسلامي.

المتوقع مزيد من التقارب بين العرب والعالم الإسلامي والارتقاء بالعلاقات العربية مع الدول الإسلامية على ضوء ثورات الربيع العربي ومزيد من التفكير في القضايا

الإسلامية والتي آن الأوان للالتفاف حولها والاتفاق عليها كالتناصر والتعاضد والتقوي من أجل الوقوف في وجه الاستهداف الغربي لدين الإسلام.

ثانيًا: العلاقات الدولية

أ: العلاقات العربية الإفريقية

تاريخ العلاقات العربية الإفريقية ضارب بجذوره في أعماق التاريخ القديم تاريخ ما قبل الميلاد وما بعده، ثم جاءت الهجرات العربية لإفريقيا وما كان لها من أثر كبير في العلاقات اللاحقة وأثر الروح العربية والإسلامية والتي جاءت مع دخول الإسلام لإفريقيا عن طريق البحر الأحمر وسيناء وقيام ممالك إسلامية كبرى في غرب ووسط وشمال وشرق إفريقيا، كممالك الهوسا والفولاني في غرب إفريقيا ومملكة وداي في الوسط الغربي لإفريقيا وتأثيرات اليمنيين في إثيوبيا وجيبوتي والبوسعيديون العمانيون في زنجبار وتنزانيا دار السلام وما جاورها من الدول والجزر وكذلك حركة التجارة العربية القديمة مع السواحل الشرقية لإفريقيا وبعثات الحجاج الأفارقة والتي تمر عبر الكثير من الدول العربية والإسلامية كلها عوامل وضعت بصمة في الوجدان الإفريقي الذي أصبح يحن إلى كل ما هو عربي وإسلامي في لهفة واضحة للعلاقات مع العرب رغم المحاولات المستميتة من قوى الاستعمار الغربي لطمس الروح العربية والإسلامية من الوجدان الإفريقي مثل:

سياسة المناطق المقفولة ومثال على ذلك جنوب السودان مما أفضى إلى الانفصال فيه.

سن قوانين لمحاربة الثقافة الإسلامية في اللغة والمظهر والمسميات والعادات والشعائر.. إلخ.

لكن التاريخ الإفريقي لم يغفل دور العرب والمسلمين في النهوض الحضاري والفكري لإفريقيا وشعوبها ونجد الأثر الإسلامي في الأسماء العربية والملبس والموسيقى والعادات المشتركة وقد تناول بعض مؤرخي إفريقيا المحايدين هذا الدور في بعض كتاباتهم وإن جاءت خجولة ودون المستوى المطلوب.

نقاط التلاقي بين العرب والأفارقة:

هناك عدة نقاط تلتقي عندها الشعوب العربية والإفريقية:

كل العرب والأفارقة اكتووا بنار الاستعمار والذل وامتهان الكرامة وسرقة الثروات، فالشعوب العربية والإفريقية دفعت الثمن غاليًا في سبيل الحصول على استقلالها عن القوى الغربية الاستعمارية والتي بدورها زجت بهذه الشعوب في حروب القوى الاستعمارية مع بعضها البعض وقدمت هذه الشعوب قرابين لأطماعها التي لا تنتهي.

النزعة التحررية لدى الشعوب من الاستعمار الغربي في السابق، ومن التبعية والانقياد الأعمى للغرب في الوقت الحاضر، لذا نجد أن هناك التقاء تاريخيًا وتعاونًا مشتركًا بين حركات التحرر العربية والإفريقية في السابق.

المجاورة والانتماء: فالقوى العربية والإسلامية في إفريقيا تشكل حجم مقدر من مساحة إفريقيا فهي تشكل أكثر من ثلث المساحة الإجمالية لإفريقيا مع وجود 200 مليون عربي هم سكان الدول العربية الإفريقية في عشرة دول عربية.

العمق الاستراتيجي: فلنضرب مثلاً بالسودان، فالسودان يشكل نافذة عربية على إفريقيا ونافذة إفريقية على العرب فهو محور التلاقي ومفتاح التواصل بين إفريقيا والعرب كما أن السودان دولة تشكل عمقًا استراتيجيًا للجانبين العربي والإفريقي فهو مصهر للدمين العربي والإفريقي والثقافات العربية والإفريقية كما أن السودان كان له دور مقدر في دعم حركات التحرر الإفريقية وهو من الدول المؤسسة للمؤسسات والاتحادات الإفريقية السياسية والاقتصادية والرياضية والثقافية كمنظمة الوحدة الإفريقية والاتحاد الإفريقي لكرة القدم واتحاد الكتاب الأفارقة وجامعة إفريقيا العالمية وغيرها. لذا من المتوقع أن يلعب السودان دورًا هامًا في العلاقات العربية الإفريقية على ضوء التطورات العربية الراهنة.

محاولات الاستعمار تشويه العلاقات العربية الإفريقية وطمس جوهرها:

حاول الاستعمار الغربي بشتى السبل بذر بذور الشقاق والتفرقة بين العرب

والأفارقة وقد نجح إلى حد كبير في ذلك مستخدمًا أكثر من وسيلة. تصوير العلاقة بين العربي والإفريقي على أنها علاقة بين مالك ومملوك في إشارة واضحة إلى تجارة الرقيق وتصوير العربي على أنه تاجر رقيق وأن الإفريقي هو سلعته. وكذلك العزف على وتر التفرقة العنصرية بين العرب والأفارقة ومثال لذلك أزمة دافور التي صورها الغرب على أنها تطهير عرقي عربي للوجود الزنجي في دارفور (عرب وزرقة) وكذلك على وتر صراع الأديان في استغلال واضح لإفريقيا المسيحية والعرب المسلمين مصورة التداخل العربي مع إفريقيا على ندرته بأنه محاولة عربية لطمس ومحاربة الدين المسيحي وأسلمة الأفارقة، وإمعانًا في التخويف من التعامل مع العالم العربي أصبح الغرب يصور العالم العربي بأنه المصدر الرئيسي للإرهاب العالمي مستغلاً في ذلك أحداث الحادي عشر من سبتمبر وتفجيرات برجي مقر منظمة التجارة الدولية في أمريكا والتفجيرات في كينيا والتوترات في القرن الإفريقي والعنف الطائفي في نيجيريا (حركة بوكوحرام) المسلمة وغيرها من الأحداث العالمية.

ولكن في ظل التحول الكبير في العقلية الإفريقية في إدارة قضاياها وشؤونها ومع الانفتاح الكبير لإفريقيا على العالم الخارجي والتحول الديمقراطي الواضح في أنظمة الحكم الإفريقية أصبح بالإمكان ووفقًا لهذه المعطيات التنبؤ بما ستؤول إليه العلاقات العربية الإفريقية، والتي نتوقع لها مسقبلاً مشرقًا في ظل الوعي السياسي الإفريقي وصحوة العقلية الإفريقية من الانخداع للغرب وحيله في صناعة الفتن والأزمات، مع إمساك كامل بخيوط اللعبة والتحكم في مصائر الشعوب ليظهر بمظهر الناصح والمنقذ، فإفريقيا تعلم أن تبعية الأنظمة العربية السابقة وانقيادها للغرب وديكتاتورية الحكام وغياب الديمقراطية هي الأسباب الرئيسية لقيام ثورات الربيع العربي لذا نجد أن إفريقيا تبارك مثل هذه الثورات الإصلاحية وتعتبرها امتدادًا للإصلاحات الإفريقية الحديثة، لكن لا بد من الإشارة إلى وجود بعض التوجس والريبة التي تنظر بها بعض الدول الإفريقية لثورات الربيع العربي خوفًا من الطبيعة التمددية لهذه الثورات والتي تنتقل من قطر إلى آخر بسرعة كبيرة، إلا أن هذا الحذر سوف ينتفي بعد فترة قصيرة

مع استقرار الأوضاع العربية.

ب: العلاقات العربية مع آسيا

الدول الآسيوية الكبرى والتي تشكل كتلة اقتصادية عملاقة كالصين واليابان والهند وباكستان وماليزيا وكوريا وغيرها أثبتت أنها دول محايدة ضد سياسة الهيمنة والنزعة الاستعمارية التي تتميز بها الدول الغربية وهي دول أقرب إلى خلق الصداقات والتحالفات منها للخلاف والسيطرة، فإذا أخذنا العلاقات الصينية العربية كنموذج للعلاقات العربية الأسيوية نجد أن الصين لديها استراتيجية واضحة في علاقاتها مع الدول فالصينيون يؤمنون على نحو متزايد بأنه ليست هناك صداقة أبدية وإنما هناك مصالح دائمة وعلى ذلك تبني الصين استراتيجيتها في العلاقات الخارجية لذا نجد أن تمتين الصين لعلاقاتها مع الدول العربية يجيء ضمن أهداف عدة منها تعميق وتوثيق العلاقات مع الدول العربية في إطار استراتيجية الصين لما يعرف بتعزيز العلاقات مع دول الجوار الموسع والمقصود به آسيا الوسطى والشرق الأوسط، لأهمية واستراتيجية الشرق الأوسط في الخارطة العالمية وكما هو معلوم فالسياسات الدولية السياسية والاقتصادية في معظمها تنبني على الشرق الأوسط، فهناك قضايا شديدة الحساسية في هذه البقعة الجغرافية بين الخليج والمحيط الأطلسي، فالملفات كمحاربة الإرهاب والعلاقات العربية مع الكيان الصهيوني وملفات التسلح النووي والتقلبات السياسية في الأنظمة العربية وحرب المياه وحرب النفط وغيرها من الملفات جعلت من الشرق الأوسط بهذه الأهمية والحساسية، لذا فمن مصلحة الصين التقارب مع المحيط العربي للأسباب آنفة الذكر. وبالتالي فمن المأمول تطور العلاقات الصينية العربية في ظل التطورات في الساحة العربية (الربيع العربي) فالعالم العربي الحر سوف يتجه إلى الصين كدولة محترمة وليس لها أي أجندة خفية أو ميول استعمارية كما ذكرنا آنفًا آخذين في الاعتبار أن الصين أيضًا تنزع إلى التحرر من التبعية الغربية لتقدم نموذجها الخاص للعالم والذي يرتكز على خلق الصداقات والتحالفات والمصالح المشتركة بعيدًا عن المهددات الأمنية والتدخلات السياسية لذا ستنجذب الصين إلى دول الربيع العربي

لعلمها لسوء الصورة الغربية في أذهان القوى العربية الحديثة التي سئمت التدخلات الغربية في الشؤون الداخلية لبلادها.

أما أهمية العلاقات العربية مع الصين تحديدًا ففيها مكاسب جمة على الصعيدين السياسي والاقتصادي:

أ- سياسيًا: فبوجود علاقات عربية صينية أعمق تعطى ثقلاً كبيرًا ومجال مناورة أوسع يعظم من مكاسب الدول العربية مع القوى الدولية الأخرى بحسبان أن الصين هي واحدة من دول الفيتو ذات الثقل الدولي الكبير ومقدرتها الكبيرة على الضغط داخل المنظومة الأممية وتأثيرها المباشر في صنع القرار الدولي.

ب- اقتصاديًا: الصين دولة ذات ثقل اقتصادي وسكاني ضخم وهي دولة صاعدة بقوة لتتبوأ مقعدًا متقدمًا في قيادة العالم اقتصاديًا فهي صاحبة أكبر احتياطي نقدي في العالم وأكبر تجارة دولية كما أنها أكبر سوق عالمية نسبة إلى القوة السكانية الكبيرة (1.3 مليار نسمة) كما أنها من أكبر الدول استهلاكًا للطاقة كالنفط والغاز الطبيعي، وهذا يصب بلا شك في مصلحة الدول العربية المنتج الأكبر للنفط والغاز الطبيعي في العالم.

بالاضافة إلى آفاق التعاون الواسعة في عدة مجالات كالتكنوجيا والتخطيط والتنمية البشرية وإدارة الموارد والمشاريع العملاقة والتي تتميز بها الصين عن كثير من دول العالم.

ج: العلاقات الأوروبية العربية

العلاقات الأوروبية مع العالم العربي ينطبق عليها ما ينطبق على العلاقات العربية الأمريكية، فأوروبا تنتهج نفس السياسة الأمريكية في التعاطي مع الشأن العربي، فالقرار الأوروبي في العلاقات الخارجية هو قرار أمريكي بعد نصف ساعة من إعلانه رغم أن هناك بعض الميزات التي كان يجب أن تستغلها أوروبا في تطوير وتعزيز علاقاتها مع العالم العربي كالآتي:

- القرب الجغرافي لأوروبا من العالم العربي خصوصًا دول حوض البحر الأبيض المتوسط.

- يعتبر العالم العربي أكبر سوق للمنتجات الأوروبية وهو المزود الأساسي لأوروبا بالنفط والغاز الطبيعي.
- حجم التبادل التجاري الضخم بين الجانبين.
- العلاقات الثقافية والفكرية بين العالمين العربي والأوروبي مع الإشارة إلى أن النخب العربية ظلت تتلقى وتستمد زادها الفكري والثقافي من المؤسسات الفكرية الغربية، كما أن أغلبها تلقت تعليمها في الدول الغربية.
- يعتبر العالم العربي هو المعبر الأهم للتجارة الدولية العالمية والأوروبية على وجه الخصوص وهو الرابط الأساسي بين الشرق الأسيوي وأوروبا عبر (الخليج، البحر الأحمر، قناة السويس، البحر الأبيض المتوسط) كل هذه المعابر المائية تقع في العالم العربي.
- تشكل دول العالم العربي ودول حوض البحر الأبيض المتوسط على وجه الخصوص، حزامًا أمنيًا لأوروبا في وجه الهجرات البشرية وعصابات تهريب البشر وما يعرف بالرق الأبيض، وكذلك عصابات تهريب المخدرات والأسلحة، والجماعات الإرهابية المتشددة وغيرها من المهددات الأمنية.

لكن رغمًا عن كل ما ذكر فإن أوروبا اختارت المساندة لإسرائيل في انحياز صارخ بدون مواربة وبلا توازن في التعامل مع القضية العربية الإسرائيلية، الأمر الذي قد يؤثر سلبًا في علاقاتها مع الدول العربية خصوصًا على ضوء التغيير الكبير المتوقع في الخارطة السياسية العربية بعد ثورات الربيع العربي.

كما أن هناك عوامل كثيرة تصب في مصلحة الدول العربية في تشكيل علاقاتها مع الغرب وفقًا لشروطها، فالعالم العربي سيكون أكثر جرأة في التعامل مع الغرب وفقًا لهذه العوامل وهي:

- انتهاء فترة الرخاء الاقتصادي في أوروبا والتي أصبحت تعاني من تراجع خطير في مؤشرات النمو الاقتصادي وتعاني من أزمة اقتصادية كبيرة.
- الوفرة في الأموال العربية والمطلوبة بشدة من المؤسسات الاقتصادية الغربية

التي هي في أمس الحاجة إليها لمعالجة الأزمة الاقتصادية في دول الاتحاد الأوروبي.

- موضوع الهجرة غير الشرعية وأهمية السيطرة عليها.

هذه العوامل تعتبر ورقة ضغط عربية لمساومة أوروبا لتغيير استراتيجيتها تجاه العالم العربي وخصوصًا القضية الفلسطينية، أي الأموال العربية مقابل الحياد الأوروبي تجاهها، فعلى أوروبا أن تغير من سياستها مع العالم العربي إن كانت ترغب في العلاقات والأموال العربية، فليس من المعقول أن تأخذ أوروبا؟ الأموال العربية وتستخدمها ضد العرب فهذا أمر غير مقبول، إذن التغيير المتوقع في العلاقات الأوروبية العربية رهين بما ستسفر عنه النظرة الأوروبية لواقع التغييرات في العالم العربي وكذلك رهين أيضًا للرؤية العربية الجديدة للعلاقات مع أوروبا على ضوء التطورات التي يشهدها الجانبان ممثلاً في الأزمة الاقتصادية الأوروبية، وما يعرف بالربيع العربي.

د: العلاقات العربية الأمريكية

توقع سياسيون وخبراء عرب أن تشهد العلاقات العربية الأميركية مزيدًا من التراجع في المرحلة المقبلة أي مرحلة ما بعد الربيع العربي بعد رفض واشنطن الاعتراف بالدولة الفلسطينية كاملة العضوية في الأمم المتحدة. وأن طريق الحل السلمي في المنطقة وصل إلى نفق مظلم مسدود بحكم التعنت الإسرائيلي المدعوم أمريكيًا دعمًا غير محدود، الأمر الذي عمق الشعور بالإحباط لدى العرب، وزاد في تأجيج الغضب العربي. وأن أمريكا وحدها ما زالت ترى الصورة ضيقة في حدود التزاماتها لإسرائيل. وإن الموقف الأمريكي من إعلان الدولة الفلسطينية المستقلة كان متوقعًا من واشنطن لذلك لا يتوقع أن ينشأ موقف عربي جديد منها، ولكن هذا لا يعني أن العلاقات العربية الأمريكية ليست مرشحة لمزيد من التراجع في المرحلة المقبلة ."إضافة إلى أن العلاقات الشعبية المنشأ تراجعت في أكثر من قطر عربي لأمر يعتبر حاليًا أكثر إلحاحًا من المواقف الأمريكية المكررة والمتوقعة تجاه فلسطين، وهو

مجريات الربيع العربي والتي كانت حكومات دول الربيع العربي تخضع للرعاية والوصاية الأمريكية. وإنه ضمن هذا المنظور الأشمل للعلاقة بواشنطن يصبح الفيتو الأمريكي على الدولة الفلسطينية تحصيل حاصل لا يضيف شيئًا إلى الصورة التي اتسعت دائرة تغطيتها لتصبح بانورامية في صورة انتفاضة الربيع العربي." ومما لا شك فيه أن السياسة التي اتبعتها الولايات المتحدة الأمريكية منذ قيام الكيان الصهيوني المغتصب وحتى الحال الحاضر والتي تجسد انحيازًا أمريكيًا واضحًا لهذا الكيان ودعمًا غير محدود له - على الرغم من كل ما ارتكبه من ظلم وإجرام وتجاوز وتعنت وتآمر - قد أثرت تأثيرًا سلبيًا على العلاقة العربية الأمريكية، سواء على المستوى الشعبي أو الرسمي حتى باتت عقدة العقد في هذه العلاقة بحكم ما أوجدته من حاجز نفسي بين الطرفين، وبحكم ما خلقته من انطباعات وتصورات سلبية عند العرب عمومًا ليس إزاء السياسة الأمريكية فحسب، وإنها إزاء ما رفعته الولايات المتحدة الأمريكية من شعارات ونادت به من عنجهية.. إن موقف الولايات المتحدة الأمريكية، من الكيان الصهيوني يشكل ضربة جوهرية لمصداقيتها السياسية والحضارية، وأن ذلك أفضى إلى حالة عدائية ليس لمجرد العمل بالمبدأ القائل "صديق عدوي عدوي"، وإنها لأجل أن أمريكا قد اتخذت مواقف عدائية في حقيقتها للعرب بسبب دعمها للكيان الصهيوني وحمايتها لمصالحه في المنطقة وترجيحها على المصالح العربية. "لقد توجت الولايات المتحدة الأمريكية مواقفها العدائية تلك بغزوها الغاشم للعراق واحتلاله والعمل على إيجاد شرق أوسط جديد يقوم على التفتيت والتمزيق والقضاء على الهوية الوطنية والعربية والإسلامية الجامعة لحساب هويات عرقية وطائفية لتحقيق عدة أهداف، من أبرزها تأمين مصلحة الكيان الصهيوني وضمان استمراريته وتفوقه في المنطقة. وفي الحقيقة فإن الموقف الأمريكي الداعم لإسرائيل لم يكن موقفًا معاديًا للفلسطينيين فحسب، وإنها كان موقفًا معاديًا للعرب عمومًا بحكم السياسة الأمريكية التي اتجهت ولا تزال إلى الحفاظ على المصالح الإسرائيلية والعمل على ترجيح كفتها على المصالح العربية وضمان تفوق إسرائيل على العرب". وأن الإدارات الأمريكية المتعاقبة تعاملت

مع العرب بقدر كبير من الفوقية والاستهتار والاستخفاف لا سيما فيما يتصل بإسرائيل والصراع العربي- الصهيوني. وإنه ليس خفيًا أن السياسة الأمريكية في المنطقة ترسم في ضوء المصالح الإسرائيلية، وليس في ضوء ما يجب أن تقوم عليه السياسة في العلاقات الدولية من رعاية المصالح المشتركة لأطراف العلاقة". وإن ما زاد الأمر تعقيدًا أن جملة من الذين يديرون السياسة الأمريكية تخطيطًا وتنفيذًا يحملون عقلية صهيونية أو متصهينة معادية للعرب والثقافة العربية والإسلامية، وموالية لإسرائيل، وأن الخطاب السياسي الأمريكي يؤكد القيم المشتركة بين أمريكا وإسرائيل، الأمر الذي يعني اشتراك القيم الأمريكية مع القيم الصهيونية التي هي قيم عدائية للعرب وثقافتهم وقيمهم، مما يجعل الولايات المتحدة الأمريكية بطبيعة الحال في موقف العداء للعرب. وإنه على الرغم من وجود مصالح حيوية للولايات المتحدة الأمريكية في العالم العربي على أساس جملة أمور في مقدمتها البترول العربي والموقع الاستراتيجي للعالم العربي، وحاجتها إلى العرب في المعادلات والتوازنات الدولية وكون العالم العربي محور ثقافي له تأثيره الكبير بحكم هذه الثقافة المؤثرة على الساحة الدولية، وسوق اقتصادية على درجة عالية من الأهمية، إلا أن الإدارات الأمريكية ضربت ذلك كله بعرض الحائط لحساب المصالح الصهيونية والإسرائيلية، إنه من المتوقع أن تتأثر العلاقات العربية الأمريكية سلبيًا في حال أقدمت واشنطن على استخدام حق النقض "الفيتو" ضد طلب إعلان دولة فلسطين في مجلس الأمن أو ضد أي من القضايا العربية في المستقبل. وأنه قد تتحاشى دول عربية فتح آفاق التعاون الاقتصادي والأمني مع الولايات المتحدة ردًا على خطوتها المذكورة، ومن ذلك مساهمتها - أي الدول العربية - في إيجاد حلول للأزمات المالية العالمية، فضلاً عن مشاركتها في الحرب على الإرهاب خارج حدودها. ويتوقع أن تلجأ عدد من الدول العربية إلى التقرب من الصين وروسيا والبرازيل والهند وفنزويلا في محاولة منها لتكوين ضغوطات جديدة على الإدارة الأميركية التي تواجه ضغوطات كبيرة على الصعيد الاقتصادي من قبيل تفشي البطالة وتزايد المديونية، كما قد تلجأ هذه الدول إلى شراء أسلحة من مصادر جديدة وتحديدًا

من قبل الصين وروسيا والهند وجنوب إفريقيا، كما يتوقع أن تخفض مستوى اعتمادها على الجامعات الأميركية كخيار رئيسي للبعثات الدراسية السنوية. وتجدر الإشارة إلى أنه قد لا يمكن لهذه الدول اتخاذ موقف صارخ ضد السياسات الأميركية في الوقت الراهن، غير أنها تمتلك القدرة على المناورة في ملفات ثانوية، مع إبقاء الباب مفتوحًا على مصراعيه لاستخدام الأموال العربية والنفط كوسيلة ضغط جديدة قديمة. مع الإشارة إلى أن الدول العربية ساهمت في لعب دور رئيسي في مواجهة الإرهاب متعاونة بشكل مطلق مع الإدارة الأمريكية السابقة في عهد الرئيس جورج بوش الابن، غير أن ذلك التعاون قد شابه البرود النسبي في مراحل لاحقة.

لذا ستكون المعادلة كالآتي: الأموال الشرق أوسطية مقابل الحياد الأمريكي فعلى أمريكا أن تختار بين انحيازها لإسرائيل وفقدان الأموال العربية وعلاقاتها والتعامل العادل والحيادي تجاه القضايا العربية وعلى رأسها القضية الفلسطينية إذا ما رغبت في استمرار علاقاتها السياسية والاقتصادية مع الدول الإسلامية والعربية. هذا ومن المتوقع أن تقوم الولايات المتحدة على وجه الخصوص والغرب على وجه العموم بالمبادرة بفتح قنوات الاتصال والحوار مع الإسلاميين للحد - على الأقل - من سوء الفهم ومحاولة إيجاد بيئة صالحة لهذه التطورات.

علاقات العرب مع القوى الصاعدة في العالم

(الصين، روسيا، البرازيل، اليابان، جنوب إفريقيا، الهند):

في ظل التحولات الاقتصادية الضخمة التي يشهدها العالم بدأت بعض القوى الحديثة تصعد إلى سطح المسرح الاقتصادي العالمي لتشكل كتلة جديدة تهدد احتكارية القوى العظمى للمسرح الاقتصادي والسياسي العالمي ونجد أن غالبيتها تتشابه في بعض السمات مع العالم العربي الحر مما يسهم في تعزيز علاقاتها بالعرب في المستقبل القريب ومن هذه السمات نجد:

- أن أغلب دول هذه القوى الصاعدة لا تنتمي إلى أي من التكتلات الاستعمارية الدولية.

- انتفاء النزعة الاستعمارية وحب السيطرة عن هذه الدول.
- هذه الدول كانت إلى وقت قريب تنتمي طبقيًا إلى نفس الطبقة التى تنتمي إليها دول العالم العربي وهي ما يعرف بالدول النامية أو ما يعرف بدول العالمين الثاني والثالث.
- بعض هذه الدول كانت تشارك الدول العربية معاناتها في التعامل مع القوى العظمى وكانت تعاني ويلات الاستعمار والمذلة، وهناك رفقة نضال بينها وبين العرب مثل حركات التحرر في كل أنحاء العالم.
- غالبية دول هذه القوى الصاعدة تشعر باعتزاز لنجاح تجاربها الاقتصادية والسياسية وتريد أن تنقلها إلى دول أخرى متقاربة معها ومشابهة لها.. فهي تريد التعامل مع دول لها قرار وسيادة، وثورات الربيع العربي تحقق هذه الجزئية الهامة.

روسيا والصين تطمعان في لعب دور أكبر في المجتمع الدولي فهما دولتان لهما طموح كبير أن يكون لهما دور مقدر في قيادة العالم وخلق التوازن المطلوب في القوى الدولية لذا نجدهما تعملان على تطوير علاقاتها الدولية مع دول العالم الثالث ودول العالم الحر والدول العربية على وجه الخصوص لموقع العالم العربي وأهميته في الخارطتين السياسية والاقتصادية على المستوى الدولي.

بقية الدول في هذه المجموعة كالهند واليابان وجنوب إفريقيا والبرازيل لها تطلعاتها في الانطلاق الاقتصادي والدخول في تحالفات جديدة تتبادل معها الأدوار والمنافع والعالم العربي هدف استراتيجي في السوق العالمية لذا نجد كل دول العالم تطمع في تكوين علاقات جيدة معه ولكن غالبية هذه الدول كانت لا تستطيع دخول هذه المنطقة في ظل وجود الدول العظمى التي تفرض سيطرتها على المنطقة العربية، لذا من المتوقع أن تستغل هذه الدول التراجع المتوقع في العلاقات العربية الغربية بعد ثورات الربيع العربي في تكوين تحالفات جديدة مع العرب.

الدول العربية أيضًا تبحث عن فرص جديدة وسوق جديدة لمنتجاتها للتحرر من السيطرة الغربية مما يعطيها مساحة أوسع للعب أدوار أهم في خارطة السياسة الدولية.

مما سبق يتبين لنا أن هناك مستقبلاً كبيرًا ينتظر علاقات العرب بالقوى الصاعدة في العالم وسيشكل ذلك تحولاً كبيرًا في السياسة العالمية وفي خارطة العلاقات الدولية مما يسهم في توازن القوة الدولية والذي بدوره يؤثر بلا شك على السلم والأمن الدوليين.

تأثير الثورات العربية على علاقات العرب مع السودان:

العلاقات السودانية العربية هي علاقات أزلية وتاريخية تستند إلى إرث تاريخي قوامه اللغة والدين، والمصالح المشتركة مع تبادل أدوار الدعم بين الطرفين كل تجاه الآخر ولو أردنا أن نتطرق إلى ماهية هذه العلاقة فإن الحديث سيطول، لذا سنركز على هذه العلاقات على ضوء الراهن السياسي في العالم العربي.

هناك حقائق يجب أن نؤكد عليها أولاً في تناول لما كان يجب أن تكون عليه علاقة السودان بالعالم العربي وما كان فعليًا على أرض الواقع:

- السودان كدولة عربية إفريقية يكتسب أهمية كبيرة في الخارطة الدولية لميزات عدة لم تتوفر لأي قطر آخر في المنطقة.
- الموقع الاستراتيجي في وسط العالم العربي وقلب إفريقيا مع ساحل ممتد على البحر الأحمر.
- الانتماء المزدوج إلى إفريقيا والعالم العربي.
- التنوع العرقي والثقافي والحضاري.
- وقوع السودان ضمن دول حوض النيل.
- السودان بلد حضارات قديمة وضاربة بجذورها في التاريخ كجزء مقدر من حضارة وادي النيل والتي تكتسب أهمية كبيرة على المستوى العالمي.
- الإمكانيات الاقتصادية الضخمة جدًا، كالأراضي الخصبة ووفرة المياه والغابات والمعادن والثروة الحيوانية والثروة البشرية وغيرها.
- السودان نافذة العرب على إفريقيا ونافذة إفريقيا على العالم العربي.
- السودان يشكل العمق الاستراتيجي للأمن العربي.
- السودان هو المنفذ الأكبر للسوق الإفريقية.
- التنوع المناخي والجيولوجي الفريد الذي يتمتع به السودان.

هذه العوامل المذكورة أعلاه كانت كفيلة بجعل السودان الدولة رقم واحد في العالم العربي سياسيًا واقتصاديًا، إلا أن المشكلات التي واجهها السودان ومنذ استقلاله وحتى الآن هي التي حالت دون أن يحتل السودان موقعه الريادي المستحق وسط الدول العربية والإفريقية، وجاء ذلك في غياب شبه تام للدور العربي تجاه السودان وقد تباينت علاقات الدول العربية مع السودان بين الجودة الوسطية والضعف والفتور بل والعداء أحيانًا كما في حالة ليبيا مثلاً.

نعم.. إن السودان يتمتع بعلاقات جيدة مع أغلب الدول العربية إلا أن هناك بعض الحكومات في الدول العربية ناصبت السودان العداء تنفيذًا لأجندة غربية بحتة بعيدًا عما يمليه الانتماء المشترك إلى العروبة والإسلام بل إن بعض الدول كانت أذرع هدم للعلاقات السودانية عربيًا وإفريقيًا ولا أذكر للسودان أي حالة للمبادرة بالعداء لأي دولة من دول الجوار طيلة تاريخه الطويل ولكنه ظل يتلقى الطعنات من هنا وهنا ويتعامل معها في حلم وحكمة.

العداء للسودان هو في حقيقة الأمر عداءً للتوجه الإسلامي لحكومة السودان والذي يتضارب مع مصالح هذه الدول فكانت المساعدات تنهال على حركات التمرد السودانية لضرب الحكومة السودانية ولتقويض النظام الإسلامي في الخرطوم، وأيضًا إيواء ورعاية المعارضة السودانية، مع تحريض للعرب والأفارقة للمقاطعة والحصار الاقتصادي والوصم بالرق والإرهاب تنفيذًا حرفيًا للأجندة الغربية المناهضة للعروبة والإسلام. بل أن بعض هذه الأنظمة كانت ترى في استقرار السودان واستقلاله لثرواته كالمياه والأرض الخصبة هو خصم على تنميتها وإمكاناتها المائية والزراعية.

ونحمد الله أن الدول المشار إليها فيما سبق تقع ضمن دول ما يعرف بالربيع العربي، مما يبشر بأمل كبير في علاقات متميزة مع دول الربيع العربي فالسودان يجد قبولاً شعبيًا كبيرًا وسط شعوب دول الربيع العربي لأسباب أذكر منها:

- العداء السافر الذي يجده السودان من العالم الغربي بلا مبررات منطقية.
- حجم الظلم الواقع على السودان نتيجة استقلاله بقراره وعدم تبعيته للغرب.

- التوجه الإسلامي الواضح والمعلن بلا خوف للنظام الحاكم في الخرطوم.
- الشجاعة الكبيرة والمقدرة على مواجهة التحديات التي تميز النظام الحاكم في السودان.
- مناصرة السودان حكومة وشعبًا للقضايا العربية.
- الاستهداف الواضح الذي يلاقيه السودان من مؤسسات المجتمع الدولي.
- المواقف القوية للشعب السوداني تجاه قرارات المحكمة الجنائية الدولية في استهداف القيادات السودانية.
- التفاعل الشعبي والرسمي السوداني مع ثورات الربيع العربي مع الدعم المادي والمعنوي لهذه الثورات.
- الإحساس بالتقصير من هذه الدول تجاه السودان خصوصًا فيما يتعلق بانفصال جنوب السودان والموقف السلبي لدول العالم العربي تجاه هذه القضية.
- الرغبة في التكفير عما ارتكبته الأنظمة المخلوعة في هذه الدول تجاه السودان من عداء ومؤامرات.

لذا فمن المأمول أن تتطور العلاقات السودانية العربية تطورًا إيجابيًا مشهودًا بل قد تصل العلاقات مع بعض الدول إلى درجة التكامل السياسي والاقتصادي وظهور حلف عربي قوي يرتكز على أواصر الأخوة والدين واللغة والمصير المشترك لتقدم نموذجًا جيدًا لما يجب أن تكون عليه العلاقات العربية فيما بينها. إضافة إلى الاستفادة من تجربة الإسلام السياسي في السودان والذي سبق الدول الديمقراطية العربية في تطبيق نظام الحكم الإسلامي فالنخب الإسلامية السودانية تمثل مرجعية لهذه الأنظمة الإسلامية لحداثة تجربتها في العمل السياسي، ومن المؤكد أن السودان سيقوم بدور إرشادي واستشاري وسيلعب دورًا حيويًا تجاه هذه القوى الصاعدة في تجرد كامل يقدم فيه تجربته بإيجابياتها وسلبياتها وذلك من أجل استقرار هذه المنطقة وأنظمتها الجديدة. بينما يرى البعض أن الصورة ليست وردية بالطريقة التي أوضحتها فالكثيرون من قوى ثورات الربيع العربي (إسلامية وغير إسلامية) تستنكر الطريقة التي عبرها وصل

الإسلاميون إلى الحكم في السودان ولا يرون في ذلك سوى انقلاب عسكري اغتصب الحكم بطريقة غير ديمقراطية بصرف النظر عن الأسباب التي يبرر بها إسلاميو السودان سلوكهم أو اختيارهم هذا الطريق. ويصل الأمر بالبعض أن تتبرأ من التجربة السودانية باعتبارها تجربة إسلامية وتذهب الشعوب العربية، خصوصًا في مصر، في سخطها على أنظمتها السابقة بتحميلها وزر انفصال جنوب السودان لعدم تقديمها الدعم المطلوب للسودان وللتواطؤ مع الغرب في ذلك لكنها في نفس الوقت لا تبرئ النظام الإسلامي الحاكم في السودان بل تتهمه بالتفريط في وحدة البلاد بقبوله حق تقرير المصير وإجراء الاستفتاء على وحدة السودان وبالتطبيق الخاطئ لبنود اتفاقية السلام وفشله في التعامل مع الجنوبيين للتصويت لصالح وحدة السودان.

وتذهب بعض قوى الربيع العربي خصوصًا (اليسارية والليبرالية) إلى أن عدم حدوث ربيع عربي في السودان يرجع إلى كبت الحريات ومصادرة الصحف واستخدام أجهزة الأمن لقمع الناشطين وليس لقناعة الشعب السوداني بسياسات حكومته كما يزعم البعض. أضف إلى ذلك أن هذه القوى (الربيع العربي) مرتبطة بجماهيرها وتحرص على إرضائها، الأمر الذي سيجعلها مترددة من حسم قضايا حساسة مثل قضية حلايب التي أصبحت للكثيرين في مصر قضية داخلية تمس السيادة المصرية.

وكما هو معلوم فإن سرعة وحسم واتخاذ القرار يتأثر كثيرًا في النظم الديمقراطية حيث يتحتم عليها التشاور مع عدد من المؤسسات قبل اتخاذ القرار بينما في الأنظمة الشمولية والدكتاتورية لا تحتاج إلى كل ذلك. وأخيرًا فإن الحريات التي اتسعت في بلدان الربيع العربي ستكون متاحة للقوى المعارضة في السودان مثلها مثل القوى الإسلامية الموجودة في الحكم. لكل هذا يرى هؤلاء أنه من السابق لأوانه الجزم بما ستكون عليه علاقات السودان مع القوى الحاكمة في دول الربيع العربي.

الخاتمة

ومن خلال ما استعرض فيما سبق من وجهات نظر وقراءة للتطورات المتوقعة في علاقات العرب مع العالم نخلص إلى أهمية العالم العربي والشرق الأوسط بالنسبة إلى المجتمع الدولي، وبالتالي فإن التغيير في العالم العربي تنسحب عليه تغييرات كبيرة في العالم لما للعالم العربي من أثر مباشر على العلاقات الدولية والاقتصاد العالمي، وقد لمسنا ذلك في التوترات التي حدثت في العالم العربي في العقد الماضي وأثرها المباشر على أسعار النفط وسوق الطاقة العالمية، والهلع والخوف الذي أصاب القوى العظمى لذا نجد أن العالم ينظر بحذر ووجل إلى أي تغييرات أو تطورات في العالم العربي على الرغم من أن كل التغييرات والاضطرابات التي كانت تحدث في هذه المنطقة هي من صنيعة الغرب كحروب الخليج والتوترات العربية الإيرانية وغيرها، لذا نجد أن الغرب يحرص في أحايين كثيرة على تأمين مصالحه أكثر من اهتمامه بحل المشكلات في المنطقة لإمساكه بكل خيوط اللعبة، أما التغييرات الحديثة بعد ثورات الربيع العربي هي الأشد إقلاقًا للدول الغربية لأنها ثورات حرة وتغييرات انطلقت بعيدًا عن الوصاية الغربية لذا فمن المتوقع صحوة عربية إسلامية مع تأكيد تدخلات غربية لتغيير وجهة هذه الثورات، لكن ما يدعو إلى التفاؤل بنجاح هذه القوى الثورية في إحداث التغيير المنشود هو الوعي العالي لقادة هذه الثورات وتمتعهم بحرية أكبر في اتخاذ القرار بعيدًا عن الوصاية الغربية الأمر الذي يجعلهم مؤهلين لصياغة دول وأنظمة بمواصفات جديدة تحقق تطلعات الشعوب العربية والتي تشكل سندًا ودعمًا قويًا يضمن لها النجاح ويمثل ضامنًا من حدوث أي انحراف في سير هذه الثورات نحو التغيير المنشود. لذا نحن ذكرنا ما ذكرنا ليس علمًا للغيب ولكن استقراءًا واستشرافًا للمستقبل على ضوء واقع مكشوف وواضح للعيان من خلال متابعاتنا للتطورات في المنطقة والعالم ككل مع الرفض العربي الشعبي للضعف والهوان الذي ظلت تعانيه الأمة العربية لزمن طويل والرغبة الملحة من هذه الشعوب للتغيير مما دفعها إلى الثورات في وجه الظلم والانكسار العربي وهي بلا شك لن تتنازل عن المطالبة

بتصحيح الأوضاع العربية بالصورة التي تحفظ للعالم العربي كرامته ومكانته التي يجب أن يكون عليها في مقدمة الأمم وسوف تعمل هذه القوى الثورية على خلق صداقات وتحالفات مع كل دول العالم الحر في جميع قارات العالم، وكل ما نرجوه ونأمله هو تحقيق القوة والأمن والاستقرار للعالمين العربي والإسلامي والتوفيق لهذه القوى الإسلامية الحديثة في قيادة شعوبها لما فيه الخير والأمن والنماء لها وللأمة الإسلامية جمعاء.

المصادر والمراجع

(١) انظر المحبر، لابن حبيب: ٣٧١ وما بعدها. المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت.

(٢) كتاب غسان، عن تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، ح ٤: ١٣٥. المجمع العلمي العراقي بغداد، ١٩٥٠م.

(٣) المصدر السابق: ١٣٧.

(٤) تاريخ ملخوس الفيلادلفي، عن المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، ح ٢: ٦٥٣ وما بعدها. دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٩م.

(٥) انظر المفصل في تاريخ العرب، لجواد علي، ج ٢: ٦٥٥.

(٦) انظر ملوك كندة، لجونار أولندر: ٩٣ وما بعدها، ترجمة عبد الجبار المطلبي، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٧٣م.

(٧) المصدر السابق: ٩٤.

(٨) ديوان امرئ القيس: ق٤، البيت ٣٣، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩م.

(٩) انظر من هذه القصص في الأغاني، ح ٩: ٣٢١٩ وما بعدها، طبعة دار الشعب، مصر ١٩٦٩م وفي الكامل لابن الأثير ح١: ٣٠٨ وما بعدها. الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧م. وفي ديوان امرئ القيس: تعليقة القصيدة ٤٦.

(١٠) انظر تاريخ الجاهلية، لعمر فروخ: ٩٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٤م.

(١١) انظر الأغاني ح١٩: ٦٦٢٠.

(١٢) انظر نهاية الأرب، للنويري، ح ١٥: ٣٠٥، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٤٩م.

(١٣) انظر الأغاني ح ١٩: ٦٦٢٠.

(١٤) انظر تاريخ الطبري ح: ١١٧ وما بعدها، مكتبة خياط، بيروت، والكامل لابن الأثير ح: ٢٥٤ وما بعدها.

(١٥) الأغاني ح ١٩: ٦٦٢٦ وما بعدها.

(١٦) نهاية الأرب للنويري ح ١٥: ٣٠٩.

(١٧) تاريخ الطبري ح ٢: ١١٥.

(١٨) الأغاني ح ١٩: ٦٦٢٧ وما بعدها. وانظر تفصيل الخبر وتمامه في السيرة النبوية لابن هشام ح١: ٦٢ وما بعدها، الطبعة الثانية، مكتبة البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٥م. وتاريخ الطبري ح ٢: ١١٥ وما بعدها. والكامل لابن الأثير ح١: ٢٦٣ وما بعدها.

(١٩) انظر مروج الذهب للمسعودي ح٢: ٥٧، الطبعة الثانية، دار الأندلس، بيروت، ١٩٧٣م.

(٢٠) انظر المحبَّر لابن حبيب: ١٩٦.

(٢١) انظر تفصيل الخبر في الأغاني ح ٢: ٥٢٤ وما بعدها. وتاريخ الطبري ح ٢: ١٤٧ ونهاية الأرب ح ١٥: ٣٢٢- وما بعدها. وتاريخ اليعقوبي ح ١: ١٧٣ وما بعدها، المكتبة المرتضوية، النجف، ١٣٥٨ه.

(٢٢) انظر الخبر في الأغاني ح ٢: ٥٣٦ وما بعدها، وتاريخ الطبري ح ٢: ١٤٩ وما بعدها، وتاريخ اليعقوبي ح ١: ١٧٤ وما بعدها.

(٢٣) انظر تاريخ الجاهلية لعمر فروخ: ١٣٨ وما بعدها.

(٢٤) انظر الأغاني ح ٢: ٥٤٠ وما بعدها. وخزانة الأدب للبغدادي ح ١: ٣٨٤ وما بعدها، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م. وتاريخ الطبري ح ٢: ١٥٠ وما بعدها.

(٢٥) انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ح ١: ٢٣٠ دار المعارف بمصر، ١٩٦٦م. ومروج الذهب ح: ٧٨.

(٢٦) انظر النقائض لأبي عبيدة ح ٢: ٧١٣ وما بعدها. دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٠٩م وشرح ديوان الحماسة للخطيب التبريزي ح ٤: ٢٠٥ وما بعدها، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٩٣٨م.

(٢٧) انظر العقد الفريد لابن عبد ربه ح ٢: ٤ وما بعدها. لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٥م.

(٢٨) المحاسن والمساوئ للبيهقي ح ٢: ٣٢٥، مكتبة نهضة مصر، ١٩٦١م.

(٢٩) انظر المعارف لابن قتيبة: ٢٦٢ وما بعدها، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٧٠م. والنقائض لأبي عبيدة ح ١: ٤٦٢ وما بعدها.

(٣٠) انظر الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ح ٢٤: ٥٤ وما بعدها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ١٩٧٤م.

(٣١) انظر ديوان الأعشي: ق ٣٤، مكتبة الآداب بالجماميز، مصر، ١٩٥٠م.

(٣٢) انظر يوم ذي قار في تاريخ الطبري ح ٢: ١٥٢ وما بعدها، وتاريخ ابن الأثير ح ١: ٢٨٥ وما بعدها. والأغاني ح ٢٤: ٥٤ وما بعدها.

(٣٣) انظر ذيل الأمالي لأبي علي القالي: ٢٠١. الطبعة الثالثة، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٤م.

(٣٤) سورة قريش (١٠٦).

(٣٥) جمهرة نسب قريش وإخبارها للزبير بن بكار ح ١: ٣٦٧، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٨١هـ.

(٣٦) المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ح ١: المثل ١١٨٨، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٧م.

(٣٧) انظر العقد الفريد ح ٢: ٢١ وما بعدها.

(٣٨) تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ح ٣: ٢٠٤.

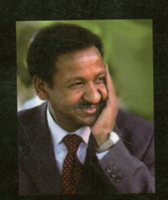
(٣٩) جمهرة نسب قريش وأخبارها ح ١: ٤٢٥ وما بعدها.

(٤٠) انظر مختار الأغاني لابن منظور ح ٥: ٢٤٧، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥م.

(٤١) انظر سيرة ابن هشام ح ١: ٣٣٣ وما بعدها.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
الفصل الأول	٩
الفصل الثاني	٢٧
الفصل الثالث	٥١
الفصل الرابع	٧١
الفصل الخامس	١١٩
الخاتمة	١٤٩
المصادر والمراجع	١٥١



الربيع العربي.. ثورات لم تكتمل بعد

إن التغييرات الحديثة بعد ثورات الربيع العربي هي الأشد إقلاقًا للدول الغربية لأنها ثورات حرة وتغييرات انطلقت بعيدًا عن الوصاية الغربية، لذا فمن المتوقع صحوة عربية إسلامية مع تأكيد تدخلات غربية لتغيير وجهة هذه الثورات. لكن ما يدعو إلى التفاؤل بنجاح هذه القوى الثورية في إحداث التغيير المنشود هو الوعي العالي لقادة هذه الثورات وتمتعهم بحرية أكبر في اتخاذ القرار بعيدًا عن الوصاية الغربية الأمر الذي يجعلهم مؤهلين لصياغة دول وأنظمة بمواصفات جديدة تحقق تطلعات الشعوب العربية والتي تشكل سندًا ودعمًا قويًا يضمن لها النجاح ويمثل ضا... انحراف في سير هذه الثورات نحو التغيير المنشود.



